المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التاريخ



الفتوحات المشرقية في عهد الدولة الأموية

(٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)

مقوماتها ومعوقاتها

دراسة وتحليل

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي

الطالبة: سُمية بنت عابد بن محمد السفياني

الرقم الجامعي: ٤٣٣٧٠٠٢٤

إشراف:

ا.د/محمد بن صامل العلياني السُلمي

١٤٤٢/١٤٤٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم
UMM AL-QURA UNIVERSITY

ملخص

الفتوحات المشرقية في عهد الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) مقوماتها ومعوقاتها

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، للباحثة: سُمية بنت عابد بن محمد السفياني

إشراف: ا.د/ محمد بن صامل السُلمي

تميز العهد الأموي بكثرة الفتوحات واتساعها، فشملت آفاقاً لم يعرفها المسلمون في العهد الراشدي، وبلغ العرب المسلمون شأواً عظيماً في خلافة بني أمية، ونشروا سلطانهم على ما تلاهم من ممالك الأرض، ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر اليسير، بل بذلوا من أنفسهم وأموالهم في سبيل رفع راية الإسلام الشيء الكثير، وهذا البحث يدرس مقومات الفتوح في بلاد المشرق ومعوقاتها.

ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع. وأسباب اختياره، والمنهج المتبع فيه، وبيان خطة البحث.

التمهيد: واشتمل على بيان معاني الفتح، ودوافعه، ومراحل الفتح في القرن الأول الهجري.

الفصل الأول: واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول وعنوانه: الوصف الجغرافي لبلاد المشرق، واشتمل على تعريف مصطلح المشرق الإسلامي، وتحديد نطاق البحث المكاني.

المبحث الثاني وعنوانه: سكان بلاد المشرق أصولهم ومعتقداتهم، واشتمل على موضوعين اثنين: الأول: الأعراق البشرية والتركيبة السكانية للمنطقة قبل الفتح الإسلامي، والثاني: الحالة الدينة في المنطقة قبل الفتح الإسلامي.

الفصل الثاني: واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول وعنوانه: مصادر المرويات التاريخية للعهد الأموي، واشتمل على ذكر لأهم من صنف في تاريخ الدولة الأموية.

المبحث الثاني وعنوانه: آثر التوجهات السياسية والعقدية في تدوين مرويات فتوح بلاد المشرق في العهد الأُموي، واشتمل على أسباب وقوع الدس والتشويه في التاريخ الأموي، وصوره، وذكر لأبرز الإخباريين والمؤرخين الغلاة.

الفصل الثالث: واشتمل على مبحثين:

المبحث الأول وعنوانه: مقومات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق، واشتمل على تعريف المقومات، وتقسيمها إلى خمسة أقسام: مقومات معنوية، واشتمل على ثلاثة مواضيع: الأول: الدعوة إلى الله، والثاني: الجهاد في سبيل الله، والثالث: سماحة الإسلام، والاضطهاد الديني؛ ومقومات سياسية، واشتملت على أربعة مواضيع: الأول: حماية الخليفة من الاغتيال، والثاني: ولاية العهد، والثالث: منح الولاة صلاحيات واسعة، والرابع: القضاء على الفتن والثورات الداخلية؛ والمقومات الاجتماعية، واشتملت على ثلاثة: مواضيع: الأول: هجرة القبائل العربية وأثرها في تثبيت الفتح، والثاني: الموالي كعامل قوة واستقرار، والثالث: التعريب اللغوي لبلاد المشرق؛ والمقومات العسكرية، واشتملت على أربعة مواضيع: الأول: حسن اختيار القيادات العسكرية، والثاني: عناصر الجيش الأموي، والثالث: التنظيمات العسكرية، والرابع: العناية بالجيش المسلم وتجهيزاته القتالية؛ والمقومات الاقتصادية، واشتملت على مواضيع: الأول: أوجه عدالة سياسة الضرائب عند المسلمين، والثاني: الزكاة، والعشر، والخراج، والفيء، والجزية كمصدر من مصادر الدخل في الدولة الإسلامية.

المبحث الثاني وعنوانه: معوقات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق، واشتمل على تعريف المعوقات، وتقسيمها إلى أربع معوقات: الأول: طبيعة جغرافية منطقة الفتح وسكانها؛ والثاني: اضطراب الأوضاع الداخلية في بعض فترات حكم دولة الخلافة الأمويّة، واشتمل على ثلاث محاور: الأول: دور الثورات في اضطراب الأوضاع الداخلية، والثاني: دور العصبية القبيلة في ضعف سلطة الدولة الاموية، والثالث: دور الموالي في إضعاف الدولة الأموية؛ والثالث: وقوع الظلم والعسف؛ والرابع: ظهور الدعوة العباسية.

خاتمة: اشتمل على أهم النتائج التي خرجت بها الباحثة.

Abstract

Eastern conquests in the era of the Umayyad dynasty (66-1324 / 61 6-700) (Related and obstacle)
A thesis submitted to obtain a PHD degree in Islamic history
by researcher: Sumaya Abed Muhammad Al-Sufyani.
Supervised by prof: Muhammad Samil Al-Solami.

The Umayyad era was characterised by the abundance and breadth of conquests, which included horizons that the Muslims did not know during the Rashidi era, The Muslim Arabs reached Umayya, and they spread their authority over the kingdoms that followed them, and achieving this was not an easy matter. Rather, they gave a lot of themselves and their money in order to raise the banner of Islam, and this research studies the elements of conquest in the countries of the East and its obstacles.

The research consists of an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion, as follows.

Introduction: It included the importance of the topic, the reasons for choosing it, the approach followed, and a statement of the research plan. Preface: It included a statement of the meanings of the conquest, its motives, and the stages of conquest in the first century AH.

The first chapter: It includes two chapters The first topic and its title: Geographical description of the countries of the Orient, and included the definition of the term Islamic Mashreq, and defining the scope of spatial search. The second topic, entitled: The people of the East, their origins and beliefs, and it included three topics: The first: human and complex races.The population of the region before the Islamic conquest, the second: the religious situation in the region before the Islamic conquest, and the third: the tongues and languages of the countries of the East.

The second chapter: It includes two sections The first topic and its title: Sources of historical narratives of the Umayyad era, and included a mention of the most important of the types in the history of the Umayyad state. The second chapter: It includes two sections,The first topic and its title: Sources of historical narratives of the Umayyad era, and included a mention of the most important of the types in the history of the Umayyad state. The second topic and its title: The impact of political and doctrinal trends in the recording of the narratives of the conquests of the countries of the East in the Umayyad era, and included On the reasons for the occurrence of intrusion and distortion in the Umayyad history, and its images, and mentioned to the most prominent news sources and extrusive historians.

The third chapter: It includes two sections The first topic and its title: The elements of the Islamic conquest in the Umayyad era of the countries of the East, and it included the definition of the ingredients, and their division It is divided into five sections: moral components, and it included three topics: the first: the call to God, the second: jihad for the sake of God, and the third the tolerance of Islam, religious persecution; Political components, and it included four topics: The first: protecting the Caliph from assassination, and the second The mandate of the covenant, and the third: granting the rulers wide powers, and the fourth: eliminating sedition and internal revolutions; social components,It included three topics: the first: the migration of Arab tribes and its impact on consolidating the conquest, the second: the loyalist as a factor of strength and stability, and the third:Linguistic Arabization of the lands of the east; Military components, and it included four topics: the first: good selection of military leaders, the second: the Umayyad army's elements, the third: military organizations, and the fourth: caring for the Muslim army and its combat equipment; and economic components, and it included topics: the first: aspects of the justice of tax policy among Muslims, and the second: zakat, tithe, tax, alkhrag, and tribute as a source of income in the Islamic state. The second topic and its title: Obstacles to the Islamic conquest in the Umayyad era of the countries of the East, and included the definition of obstacles, and their division into four obstacles: the first: the geography of Al-Fateh region and its inhabitants; The second: the turbulence of the internal situation during some periods of the rule of a state The Umayyad Caliphate, and it included three axes: the first: the role of revolutions in disrupting internal conditions, and the second: the role of tribal nervousness in Weakness of the authority of the Umayyad state, and the third: the role of the guardian in weakening the Umayyad state; Fourth: the occurrence of injustice and abuse; And the fifth: the emergence of the Abbasid call.

Conclusion: It included the most important results that the researcher came up with.

إهداء

إلى جدي، أهدي عملي هذا، محبةً ووفاء،

راجية من الله القبول.

بَنو أُمَيَّةَ لِلأَنباءِ ما فَتَحوا وَلِلأَحاديثِ ما سادوا وَما دانوا

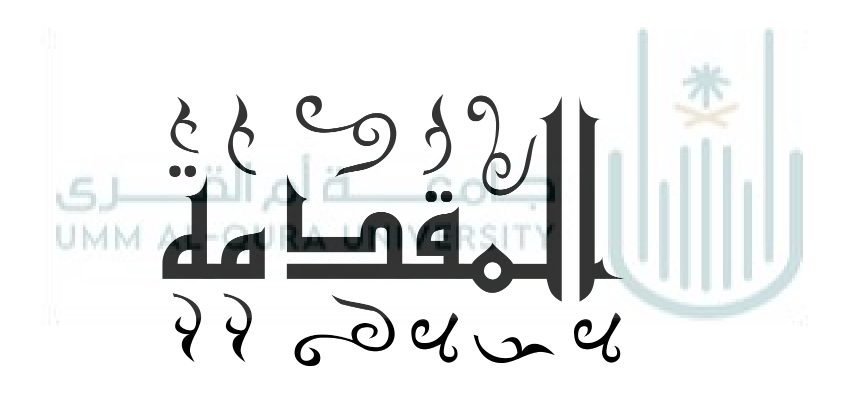
كانوا مُلوكاً سَريرُ الشَرقِ تَحتَهُمُ فَهَل سَأَلتَ سَريرَ الغَربِ ما كانوا

عالينَ كَالشَمسِ في أَطرافِ دَولَتِها في كُلِّ ناحِيَةٍ مُلكٌ وَسُلطانُ

في الأَرضِ مِنهُم سَماواتٌ وَأَلوِيَةٌ وَنَيِّراتٌ وَأَنواءٌ وَعُقبانُ

لَولا دِمَشقُ لَما كانَت طُلَيطِلَةٌ وَلا زَهَت بِبَني العَبّاسِ بَغدانُ

أحمد شوقي


المقدمة

الحمد لله الذي جعل في تداول الأيام عبرة لمن اعتبر من الأنام، وأرجأنا عنهم لنعلم أحوالهم بنقل الألسن والأقلام، وأشهد أن لا إله إلاّ الله حكم على الأعمار بالآجال، وتفرد بالعظمة والبقاء والجلال، وجعل الدنيا دولاً لا تستقر على حال، ليعتبر العاقل ويرتدع الفخور المختال، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه الميامين الأغيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

حكم الأمويون دولة الخلافة الإسلامية قرناً إلاّ تسع سنين (٤١-١٣٢هـ)، تولى فيها الحكم منهم أربعة عشر خليفة، أولهم أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وآخرهم مروان بن محمد بن مروان رحمه الله، ويعتبر العهد الأُموي العهد الذهبي للفتوحات، إذ بلغت فيها دولة الإسلام أقصى اتساع، وتركوا لبني العباس دولة مترامية الأطراف، من حدود الصين شرقاً لجنوب بلاد الغال غرباً ومن شواطئ بحر قزوين شمالاً حتي المحيط الهندي جنوباً، ولم يكن توسعهم مجرد توسع عسكري يسعى لاستغلال الشعوب ونهب ثرواتها، بل كان فتحاً دينياً وحضارياً، إذ سعى الأمويين لنشر الإسلام وتثبيته في البلاد المفتوحة، فاحسنوا معاملة شعوبها، واحترموا عهودهم ومواثيقهم، فأقبل الناس إلى الإسلام زرافات ووحدانا، وذابوا في بوتقته وصاروا مكون أساسياً من مكونات المجتمع المسلم.

ويعدّ الفتح الإسلامي في العهد الأموي من أثبت الفتوح وأرساها ـ بعد فتوح الخلفاء الراشدين ـ وأبقاها أثراً، ففتوح من جاء بعدهم قد ضاعت ولم تترك أثراً كما تركت فتوح أهل القرن الأول، وقد جهد بنو أمية في نشر الإسلام وتوطين قبائل العرب في البلاد التي فتحوها، حتى وسمهم المستشرقون بالدولة العربية، ولولا هجمت الشعوبية الشرسة وضعف العنصر العربي أيام الدولة العباسية لكان مشرق الدولة الإسلامية عربي اللسان كمغربها، وإن كان أثر اللغة بقي في الحرف المكتوب والكلمات المنطوقة.

وتختص دراستي هذه بالجبهة الشرقية، إذ حقق المسلمون فيها انتصارات عظيمة وفتوح مباركة، وعبروا النهر العظيم نهر جيحون، وانطلقوا في سهول سجستان حتى حدود مملكة الصين في وقتهم آنذاك، ورفرفت راية الإسلام عالية على جبال بامير والهندوكوش.

ويشمل هذا المحور البلاد والأقاليم الواقعة شرق العراق، واتسمت الأمم التي كانت تسكن تلك المناطق بالتعدد العرقي والحضاري، وكانت تدين بالوثنية كالمجوسية والهندوسية والبوذية، وسارت الفتوحات في هذه المنطقة على خطين، أحدهما شمالي إلى بلاد ما وراء النهر، والآخر جنوبي باتجاه بلاد السند.

وشكل هذا المحور أكثر الجبهات غلياناً، إذ أن قادة الفتح واجهوا انتفاضات متكررة، فلم يشهد الفتح فيها أول أمره استقراراً وثبوتاً ـ كما استقر في أرض الشام والمغرب وبلاد الأندلس ـ، في فترة الخلافة الأموية، بل كانت تموج بحركات العصيان والتمرد على حكم المسلمين حتى زمن الخلافة العباسية.

ومما دفعني لاختيار هذا المكان والزمان لدراستي قلة الروايات والمادة المنقولة عن تفاصيل فتح بلاد المشرق، إذ لم أجد نقلاً زاخراً بتفاصيل فتوحات بلاد المشرق كما نُقل عن فتح غيرها من البلاد في عهد بني أمية، وربما يرجع ذلك لأمرين اثنين:

الأول: أن تدوين تاريخ الخلافة الأموية لم يحظ بعناية خاصة وممنهجة من خلفاء بني أمية في وقتهم، بل كان الاعتماد على النقل والتدوين الذاتي، لذا نجد للشيعة والشعوبيين بصمة ظاهرة في تدوين تاريخ تلك الحقبة وبخاصة ما يختص بتاريخ بلاد المشرق، فهي بالنسبة لهم أرض أجدادهم ومهوى أفئدتهم، والعرب هم أعداءهم وهادمي دولتهم، وهم مادة الفتح وعماده في ذلك الوقت، لذلك قلّ نقلهم لتفاصيل ما وقع من أحداث إبّان فتح تلك البلاد، وركزوا على نقل أخبار الفتن والثورات.

والثاني: يرجع ـ بتقديري ـ للحملة الشرسة التي شنّها المغول على بلاد المشرق الإسلامي، إذ تفننوا في إبادة البشر والحجر، ففقدنا كماً هائلاً من تراثنا، ومنه ولا شك ما اعتنى أهل الفضل بتدوينه من تاريخ الفتح الإسلامي الأول، ولعل هذا سبباً في عزوف الباحثين المعاصرين عن الكتابة في تاريخ المنطقة في القرن الأول.

وقد أحببت أن أولي هذه الناحية اهتمامي وأُطفئ ظمأ فضولي بدراسة ما ورد من مرويات وأخبار عن الفتح الأول لبلاد المشرق، وعلى هذا الأساس قدمت خطة بحثي الأولى، غير أن مجلس القسم رأى أن جمع المرويات في هذه الفترة ودراستها باب قد طرقه الكثيرون قبلي، ورأوا أن دراستي لمقومات الفتح ومعوقاته فيه من الجدة ما يجعله بحثاً مؤهلاً لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، فأجمعت أمري بعد استخارة واستشارة للخوض في غمار هذا الموضوع، سائلةً المولى ﷻ أن يعينني ويُخرج على يدي دراسة تُضيف جديدًا إلى التاريخ الأموي.

ومن الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الفتح الإسلامي لبلاد المشرق في تلك الفترة:

١) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول: دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية، إعداد: شكري عمر فيصل، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٥١م.

٢) القبائل العربية في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأُموي دراسة تاريخية حضارية، إعداد: عبد الرحمن فريج العفنان، إشراف: د. جميل عبد الله محمد المصري، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٣هـ.

٣) القبائل اليمانية في العراق وخراسان خلال القرن الأول الهجري دورها في الفتح والاستقرار، إعداد: محمد أحمد القحطاني، إشراف: د. عبد الله بن إبراهيم العسكر، بحث مكمل لمتطلبات الدكتوراه، جامعة الملك سعود، ١٤١٥هـ.

٤) حركة هجرة القبائل العربية واستقرارها في المشرق من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة الأموية، إعداد: فوزان بن إبراهيم الشايع، إشراف: د. عبد العزيز بن إبراهيم العمري، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٦هـ.

وأمّا عن المنهج المتبع في هذه الرسالة فهو مزيج من المنهج التاريخي الوصفي الذي حاولت من خلاله الوقوف عند الوقائع التاريخية كما عرضها أو رآها أصحابها، وذلك للمحافظة على روح الموضوعية والحياد، والمنهج التحليلي الذي كان الهدف منه الوصول إلى حقائق القضايا والآراء المتمثلة في منطلقات أصحابها العقائدية والمذهبية والفكرية، وأخيراً المنهج النقدي الذي استطاع هذا البحث أن يقف ـ بتطبيقه ـ عند الحقائق الموضوعية لسير الحوادث في مسارها التاريخي المنطقي، وبه استطاعت الباحثة أن ترد على ما وقفت عليه من مغالطات تاريخية مهما كان مصدرها.

وأمّا عن المنهج المتبع في إخراج البحث، فإني أعزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية، واعتمدت الرسم العثماني في كتابتها.

واعتنيت بتخريج الأحاديث، وضبطها بالشكل إن لزم، فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بعزوه إليه، وما كان في غيرهما نقلت حكم علماء التخريج فيه، وذكرت الكتاب والباب ورقم الحديث.

واعتنيت ببيان مواضع الأماكن والبلدان بالرجوع إلى مصادر الجغرافيا التاريخية وضبطت ما أشكل منها، وبينت الغريب من الألفاظ بالرجوع إلى معاجم اللغة.

ووثقت مصادر البحث ومراجعه عند النقل منها بذكر المؤلف والكتاب ورقم الجزء والصفحة، مع ذكر معلومات الطبع عند الأخذ من الكتاب للمرة الأولى.

وقسمت البحث إلى **مقدمة** تحوي أهمية الموضوع والتعريف به وأسباب اختياره، **وتمهيد** عرفت فيه الفتح وبسطت في الحديث عن دوافعه ومراحله حتى نهاية العهد الأموي، **وثلاثة فصول** في كل فصل مبحثين، **الأول** منها شمل على مبحثين، **أولها:** بعنوان: **جغرافية بلاد المشرق، والثاني:** بعنوان **سكان بلاد المشرق أصولهم ومعتقداتهم.**

أمّا **الفصل الثاني** فجاء في مبحثين اثنين، **الأول:** بعنوان **مصادر المرويات التاريخية للعهد الأموي،** بسطت فيه الحديث عن مصادر المرويات التاريخية للعهد الأموي، وذكرت سبعاً منها، أمّا المبحث **الثاني** فجاء بعنوان **آثر التوجهات السياسية والعقدية في تدوين مرويات فتوح بلاد المشرق في العهد الأُموي،** وعرضت فيه لآثر التوجهات السياسية والعقدية في تدوين مرويات فتوح العهد الأُموي.

وجاء **الفصل الثالث** في مبحثين أيضاً، **الأول** وسمته بـ: **مقومات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق**، ذكرت فيه مقومات الفتح الإسلامي وأثرها على حركة استقرار الفتح الإسلامي لبلاد المشرق في العهد الأموي، **والثاني** بعنوان: **معوقات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق** حصرت فيه معوقات الفتح الإسلامي وأثرها في عرقلة حركة الفتح الإسلامي لبلاد المشرق في العهد الأموي.

وختمته **بخاتمة** حوت النتائج التي توصلت لها، وخدمته **بفهارس** للمصادر والمراجع **وثبتٍ للمحتويات** ألحقته بآخر البحث.

وأمّا عن أهمّ المصادر التي استقيت منها مادة البحث:

- تاريخ خليفة بن خياط (ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق: أكرم ضياء العمري، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- فتوح البلدان للبلاذري أحمد بن يحيي (ت:٢٧٩هـ)، عُني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- تاريخ اليعقوبي لأحمد بن إسحاق اليعقوبي (ت:٢٨٤هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- كتاب الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفي (ت:٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، طبعة دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- مسالك الممالك للاصطخري إبراهيم بن محمد (ت:٣٤٦هـ)، تحقيق: دي غويه، وطبعة مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م.
- صورة الأرض لابن حوقل البغدادي (ت بعد:٣٦٧هـ)، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

- كتاب الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق (ت:٤٣٨هـ)، طبعة دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي (ت:٦٢٦هـ)، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

والحق أن البحث في هذا الباب واسع بذلت جهدي في حصره ما استطعت، إذ تعددت فيه الدراسات والمناهج والتوجهات المبنية على كل خبر دُس لتشويه تاريخ القرن الأول، والمتأمل لمرويات العصر الأموي يجد أن كل من عجز عن الدس في سيرة المصطفى وسنته وسيرة خلفائه من بعده اتخذ من قصة العداء الهاشمي الأموي عكازاً يتوكأ عليه للدس في تاريخ القرن الأول وتشويهه، وكان لاهتمام رجال ذلك القرن بحفظ القرآن والسنة وسيرة المصطفى وصحابته وأخبار الفتنة وما ترتب عليها ـ خاصة وأنها تمركزت في ولاية العراق ـ أثر في قلة ما وصلنا من روايات موثقة لحركة الفتح في بلاد المشرق، إضافة لعدم توفر دارسة مستقلة اهتمت بحصر مرويات فتوح بلاد المشرق ودراستها بشكل خاص، فكان لزاماً عليّ أن اتتبع الروايات في مصادرها ـ وإن لم يكن هذا البحث مخصصاً لسردها ودراستها ـ فأخذ مني ذلك جهداً ووقتاً لا يستهان به.

ويعلم الله أني بذلت غاية الوسع والطاقة، فإن أحسنت ففضل من الله ونعمة، وإن أسأت فبتقصير مني وتفريط، والله أسأل أن يجعل عملي هذا مباركاً نافعاً للأمة حاضرها ومستقبلها ـ على ما فيه من قصور وعلل ـ، فالكمال عزيز، والنقصان حاصل، وآملي في الله أن يجبر النقص ويرزقني المزيد.

والشكر لكل من أعان ونصح وسدد، وأولهم أمي وأبي العزيزين، فقد والله بذلا من الجهد ما الله به عليم، فجزاهما الله عني خير ما يجزي به والد عن ولده.

ولابد لي من أن أوفي صاحب الحق حقه، وذا الفضل فضله، وإن صاحب الحق والفضل بعد الله أستاذي الفاضل ا.د. محمد بن صامل السلمي – حفظه الله ورعاه –، فقد شرُفت بالتتلمذ على يده، لمرحلتي الماجستير والدكتوراه وله الشكر إذ أولاني رعايته واهتمامه ومنحني الكثير من وقته وفكره وصبره، ولم يكن لهذا البحث أن يبرز لولا فضل الله ثم توجيهه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول مع الدعاء لسعادة الأستاذة د. وفاء بنت زبن الرحيلي، وسعادة الأستاذ ا.د. الريح بن حمد النيل أن بذلا من وقتهما وجهدهما وعلمهما لتصحيح هذه الرسالة ومناقشتها، ولأساتذتي الفضلاء، وأستاذاتي الفضليات، وزميلاتي العزيزات، والقسم الموقر، فلهم كل حبٍ وتقدير، وشكرٍ وعرفان.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى كل من أسهم معي في عملي هذا، واخص بالذكر خالتي الحبيبة أم عبد الله صباح بنت محمد القثامي، أهديهم وافر شكري وعظيم امتناني داعيةً المولى ﷻ أن يجزيهم عني خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****　　　****　　　****


التمهيد

الفتح: تعريفه ودوافعه ومراحله في القرن الأول.

جاء الفتح في لغة العرب بعدة معانٍ: أولها: نقيض الغلق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(2).

وثانيها: بمعنى طلب القضاء والحكم بين الخصوم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(3)، ومنه ما رواه قتادة عن ابن عباس قال: ما كنت أدري ما قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾(4) حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها :تعال أفاتحك، أي: أحاكمك، فالفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك(5).

---

(1) ص: ٥٠.

(2) فاطر: ٢.

(3) إبراهيم: ١٥.

(4) الأعراف: ٨٩.

(5) ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد العبسي، المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ: ١٢٢/٦ كتاب فضائل القرآن، باب ما فسر بالشعر من القرآن، حديث رقم: (٢٩٩٨٤).

والفتح: الماء الجاري على وجه الأرض تسقى به، وكل ما انكشف عن شيء فقد انفتح عنه، وجاء في الحديث: ((ما سُقي فتحاً، أو سقته السماء ففيه العُشر))[١]، والفتح :أول مطر الوسمي، وقيل: أول المطر، وجمعه فتوح، والفتح: يطلق على النصر، واستفتح الله على فلان: سأله النصر عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[٢]، ويطلق "على دخول الغازي بلاد عدوه لأن أرض كل قوم وبلادهم مواقع عنها، فاقتحام الغازي إياها بعد الحرب يشبه إزالة الغلق عن البيت أو الخزانة، ولذلك كثر إطلاق الفتح على النصر المقترن بدخول أرض المغلوب أو بلده، ولم يطلق على مجرد انتصار كانت نهايته غنيمة وأسر دون اقتحام أرض فيقال: فتح خيبر وفتح مكة ولا يقال: فتح بدر وفتح أحد، ومن أطلق الفتح على مطلق النصر فقد تسامح، وكيف وقد عطف النصر على الفتح في قوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[٣]، ولعل الذي حداهم على عدّ النصر من معاني مادة الفتح أن فتح البلاد هو أعظم النصر، لأن النصر يتحقق بالغلبة وبالغنيمة فإذا كان مع اقتحام أرض العدو فذلك نصر عظيم لأنه لا يتم إلا مع انهزام العدو أشنع هزيمة وعجزه عن الدفاع عن أرضه"[٤].

---

(١) عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، كتاب الزكاة، باب ما تسقي السماء، حديث رقم: (٧٢٣٣).

(٢) الأنفال: ١٩.

(٣) الصف: ١٣.

(٤) محمد الطاهر عاشور، تفسير التحوير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ١٤٣/٢٨-١٤٤؛ وانظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ٥٣٦/٢-٥٤٠.

والمراد بالفتح: ما فتح من البلاد عنوة، وقد يقال: فتح البلد صلحاً، فلا يفهم الصلح إلا بأن يقرن بالفتح، فصار الفتح في الصلح مجازاً(١).

ونستطيع أن نقول إن **الفتح الإسلامي**: هو تحويل دار الشرك إلى دارٍ للإسلام صلحاً أو دعوة أو عنوة عن طريق الحملات العسكرية الاستباقية التي سيرتها دولة الخلافة الإسلامية لصد تحركات القوى الكافرة ضد دولة الإسلام.

وعقيدة الجهاد في سبيل الله أبرز ما يميز العسكرية الإسلامية في القرون الأولى، وعليه قامت الفتوحات، وقد وردت أدلة وجوبه في الكتاب والسنة، ويشمل الحرب الدفاعية والحرب الاستباقية، ويهدف إلى التغلب على العقبات التي تعترض طريق الدعوة إلى عقيدة التوحيد وتحول دون تبليغها للبشر، وإلى رد الاعتداء ودفعه، وحماية بيضة الإسلام أن تستباح، ونجدة المستضعفين في الأرض.

أمّا **دوافع الفتح** فالمقصود بها المؤثرات والقوى التي تدفع الأفراد أو الدول للتحرك والقيام بالفتوح(٢).

وتتنوع الدوافع وتتعدد باختلاف مشارب الأمم ومذاهبها وأحوالها، وقد تطرق عدد غير قليلٍ من دارسي التاريخ ـ باختلاف مشاربهم ومذاهبهم ـ لدوافع الفتوح الإسلامية، وعرض بعض المستشرقين عللاً وأفكاراً لتفسير حركة الفتح الإسلامي، وهي لا تخرج عادةً عن ثلاث دوافع، أولها: الدافع الاقتصادي، وثانيها: الدافع الاجتماعي القومي، مع تهميشهم للدافع الأساسي وهو الدافع

---

(١) شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م: ١٦/٢٦١.

(٢) صالح أحمد العلي، الفتوحات الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م: ٤٣.

العقدي[1]، إذ لم يخرج أولئك الفاتحون إلا لإخراج العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد ـ كما قال ربعي بن عامر ﷺ لرستم الفرس حين سأله ما جاء بكم؟ ـ، وإقصائهم لمبادئ الإسلام التي تحلى بها جيش الفتح ، ومنها: أن يكفلوا للناس حريتهم، ويخلوا بينهم وبين هذا الدين، فإن شاءوا أسلموا وكانوا من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن شاءوا ظلوا على ما كانوا عليه بشرط عدم حربهم للإسلام والمسلمين، فهم ـ أي المسلمون ـ لم يغزوا تلك البلاد طمعاً في دنيا أو طلباً لها، بل كان السبب الرئيس لبذلهم الأنفس والأموال وتحمل المشاق والصعاب هو إخراج العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد، وحمل أمانة النبيّ ﷺ إلى حيث انتهى بهم المسير، فهو قدوتهم بأبي هو وأمي، ساروا على نهجه وسعوا إلى أن يخلوا ما بين الناس وبين الإسلام بعتقهم من نير العبودية للبشر الذي طوقهم به أباطرتهم وساداتهم، فما كانوا يجبرون أحداً على الإسلام، ومما يدل على تسامح الفاتحين المسلمين وتطبيقهم لمبدأ حرية العقيدة بقاءُ كثير من العقائد سواءً كانت كتابية أو وثنية في المنطقة حتى يومنا هذا في مجتمعات غالبيتها يدين بالإسلام منهجاً وعقيدةً، فالمتأمل لتاريخ الفتح يجد أن الفاتحين قد حملوا الإسلام لغيرهم من شعوب الأرض بالفتح ولم يحملوا الناس على الإسلام بهذا الفتح.

إن امتداد الفتح الإسلامي ورسوخه بهذه السرعة والقوة التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ، حتى قيل إن العرب فتحوا في ثمانين سنة أكثر مما فتحه الرومان في ثمانمائة سنة، وبسطوا سلطانهم على نصف الدنيا في نصف قرن، والأعجب من سرعتها ثباتها وما تمخض عنها من تغيرات عقدية

---

(١) انظر: العلي، الفتوحات الإسلامية: ٤٦.

وسياسية وحضارية واجتماعية ما زالت ماثلة أمامنا حتى اليوم، جعل الكثيرين ممن امتهروا قراءة التاريخ يتسألون ما هي الدوافع والأغراض التي كانت وراء هذا الفتح، وما سر نجاحه.

يقول لورد ستروب: "فكلما زدنا استقصاءًا باحثين عن سر تقدم الإسلام، زادنا ذلك العجب العجاب بهراً، ..، عرفنا أن الأديان العظمى إنما نشأت تسير في سبيلها سيراً بطيئاً، ...، حتى أن قيض الله لكل دينٍ ما أراده من ملك ناصر، وسلطان قاهر، انتحل ذلك الدين، ثم أخذ في تأييده، والذب عنه، حتى رسخت أركانه، وصفت جوانبه، فبطل النصرانية قسطنطين، وبطل البوذية أسوكا، وكلاً منهما ملكٌ جبار، أيد دينه الذي انتحله بما استطاع من القوة والأيْد، إنما ليس الأمر كذلك في الإسلام، الإسلام الذي نشأ في بلاد صحراوية، ..، حيث القبائل الرحالة التي لم تكن من قبل رفيعة المكانة والمنزلة في التاريخ، فسرعان ما شرع يتدفق وينتشر، وتتسع رقعته في جهات الأرض مجتازة أفدح الخطوب وأصعب العقبات، دون أن يكون له من الأمم الأخرى عون يذكر، ولا أزر مشدود، وعلى شدة المكاره، فقد نُصر الإسلام نصراً عميقاً، إذ لم يكد يمض على ظهوره أكثر من قرنين حتى باتت الراية الإسلامية خفاقة في البرانس حتى هيمالايا، وفي صحاري أواسط آسيا حتى أواسط أفريقيا"(١).

ويقول ديورانت: "توفي جستنيان في عام ٥٦٥م، وهو سيد إمبراطورية عظيمة، وبعد خمس سنين من وفاته، ولد محمد من أسرة فقيرة في إقليم ثلاثة أرباعه صحراء مجدبة، قليلة السكان، أهله من قبائل البدو الرحل، ..، ولم يكن أحد في ذلك الوقت علم أنه لن يمضي قرن من الزمان حتى يكون أولئك البدو قد فتحوا نصف أملاك الدولة البيزنطية في آسيا وجميع بلاد المغرب، ومصر،

---

(١) انظر: أنور الجندي، الإسلام وحركة التاريخ، دار الكتاب المصري، ط١، ١٩٨٠م: ٧٢-٧٣.

ومعظم شمالي أفريقيا، وساروا في طريقهم إلى إسبانيا، والحق أن ذلك الحدث الجلل الذي تمخضت عنه جزيرة العرب، والذي أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط، ونشر دينها الجديد في ربوعه، لهو أعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى"[1].

لقد تساءل الفرس والروم قادةً وجنودًا وملوكًا ما الذي دفع هؤلاء العرب الذين عاشوا سنين طويلة قابعين في صحارى جزيرتهم خاضعين لمملكتي الغساسنة والمناذرة على مشارف العراق والشام إلى غزو فارس والروم معاً؟!

ورغم سماعهم رد أولئك الفاتحين على سؤالهم "ما الذي جاء بكم ؟" إلاّ أنهم لم يعقلوا التغيير الذي وقع على العرب بإسلامهم، وكان أول ما تبادر إلى أذهانهم واعتقدوه في تعليل هذه الغزوات والفتوحات هو الغرض المادي البحت، وهذا ما جرى على ألسنة كثير من قادتهم وزعمائهم.

ولم يكن هذا حال أهل ذاك العصر فقط، بل هو حال كل من يعتمد المنهج الموضوعي لتفسير التاريخ وتحليل أحداثه، إذ يصعب عليه الاقتناع بما أحدثه الإسلام في نفوس أهله من تغيير، فتَبدل حال العرب من قبائل متناحرة لا تخضع لقيادة واحدة إلى خير أمة أخرجت للناس، وأصبح ميزان التفاضل بعد الأحساب والأنساب والتفاخر بالآباء والأجداد التقوى وما يقدمه المسلم لدينه ومجتمعه.

---

(١) ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة، ت: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٦/١٣-٧؛ وانظر: دومنيك سورديل، الإسلام في القرون الوسطى، ت: علي المقلد، بيروت، ط١، ١٩٨٣م: ٦.

ولذلك نجد كثيراً من الباحثين يركزون على العامل الاقتصادي كدافع أساسي لحركة الفتح الإسلامي خارج نطاق جزيرة العرب، حتى جعلوها سلسلة من سلاسل الهجرات السامية إلى منطقة الهلال الخصيب وما وراءه ـ زعموا ـ، وكان المحرك الأساسي لها سوء الأحوال الاقتصادية لسكان جزيرة العرب ـ زعموا ـ، بسبب الجفاف والقحط المستمر إضافة إلى الحروب التي كانت بين المسلمين ومشركي العرب، وما كان لها من أثر في اضطراب حركة التجارة داخل شبه الجزيرة وإصابة كثيرٍ من أهلها ـ نتيجة ذلك ـ بضيق العيش، فليست الفتوحات في نظرهم إلاّ نتيجة هجرة جماعية نشطة قوية البأس، دافعها الجوع والحرمان والحاجة الملحة إلى أن تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح أراضي أكثر خصوبة، تحدوها الرغبة في المغنم، والطمع في بذخ الحياة ورفاهيتها، فـ"كان الشوط الأخير في عملية النزوح المتواصل على مدى الدهر من البادية القاحلة إلى ما يتاخمها من أنحاء الهلال الخصيب هو آخر الهجرات السامية العظيمة"(١).

وقد تزعم هذا الرأي نفرٌ من المستشرقين ووافقهم عليه من اقتدى بهم من تلاميذهم من العرب، وليس غريباً أن تصدر مثل تلك التفسيرات من قبل أولئك المستشرقين الذين تحكمهم مبادئ

---

(١) فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥١م: ١٩٦/١؛ وانظر: توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م: ٦٤؛ برنارد لويس، العرب في التاريخ، ت: نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م: ٧٥؛ دانيل دينيت، الجزية والإسلام، ت: فوزي جاد الله، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م: ٤٨؛ ول ديورانت، قصة الحضارة: ٧١/١٣-٧٢؛ فيليب حتي، تاريخ العرب: ١٩٥/١- ١٩٧.

ومناهج ومعايير مادية، وينطلقون من تصورات مغرِضة عن الإسلام ورجاله، ولكن العجب كل العجب أن يتأثر بهم بعض الباحثين المسلمين ممن يتصفون بالمنهج العلمي في البحث والدراسة(١).

ومن ذلك ما كتبه أحدهم في معرض حديثه عن دوافع الفتوح الإسلامية: "لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتح بالحماس الديني، وإن الحروب التي قاموا بها تعتبر حروباً دينية ..، فنحن لا نظن أن العرب ـ ومعظمهم من البدو ـ كانت تسودهم الروح الدينية والرغبة في نشر الإسلام، فقد رأينا كيف انتقضت العرب وأنها لم ترجع إلى الإسلام إلا بحد السيف، ومهما تكن البواعث الدينية قوية عند الخلفاء وبعض أتقياء المسلمين في المدينة ومكة فإنه من غير الممكن أن يخرج البدوي ـ وهو الذي لا يهتم بالدين ـ لنشر الإسلام "(٢)، والحق أن هذا الحكم الجائر بعيد عن الحقيقة، ويتسم بالمغالطة الواضحة لحقائق التاريخ.

ويستند أصحاب هذا الاتجاه إلى نص أورده البلاذري في فتوحه أن خليفة المسلمين أبا بكر الصديق ﷺ حين أخذ في إعداد الجيوش الإسلامية وتسييرها إلى الشام كتب إلى أهل مكة والطائف

---

(١) انظر: أحمد الشامي، الخلفاء الراشدون، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م: ٨٠- ٨٣؛ أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م: ١٦٤؛ سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر: ١٩٢/٢؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٦م: ١٦٠/١- ١٧٠.

(٢) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي: ١٦٧/١.

واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب[١].

ويستدلون أيضاً بما أورده البلاذري على لسان القائد الفارسي رستم مخاطباً المغيرة بن شعبة ﷺ رسول سعد بن أبي وقاص ﷺ إليه يوم القادسية ونصه: ".. وقد علمت أنه لم يحملكم على ما أنتم فيه إلّا ضيق المعاش وشدة الجهد، ونحن نعطيكم ما تتشبعون به ونصرفكم ببعض ما تحبون.."[٢].

كما يشير البعض إلى نص أورده الطبري عند حديثه عن موقعة الولجة عن خالد ﷺ في خطبة ألقاها في المسلمين: " ... ألا ترون إلى الطعام كرُفْغ التراب!، وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلّا المعاش لكان الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن أثّاقل عما أنتم عليه .."[٣].

وبالتأمل في تلك النصوص نجدها قد أُخرجت عن سياقها لتدل على أمرٍ لا تدل عليه أصلاً، فأمّا بالنسبة للنص الأول فقد أورده البلاذري اختصاراً لفحوى خطاب الصديق ﷺ، في حين نجد النص كاملاً في فتوح الشام للأزدي، ونصه: " إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ولا تبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد .. وقد أردت أن أستنفركم إلى الروم بالشام فمن هلك هلك شهيداً وما عند الله

---

(١) انظر: أحمد بن يحيي البلاذري، فتوح البلدان، ت: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ١١٥.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٥٧.

(٣) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٣١٢/٢؛ وانظر: مصطفى أبو ضيف، دراسات في تاريخ الدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة الراشدين والأمويين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط٤، ١٩٨٦م: ٢٠٤.

خير للأبرار، ومن عاش عاش مدافع عن الدين، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المجاهدين، هذا رأيي الذي رأيت فليشر عليّ كل امرىء بمبلغ رأيه"[1].

وقد ذكر الواقدي أن أبا بكر ﷺ كتب الكتب إلى ملك اليمن وأهل مكة، وكانت الكتب نسخة واحدة، وأورد صيغتها، وفيها التعويل على الجهاد والترغيب فيه، والإشارة إلى وجوبه استدلالاً بقوله تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] وليس فيها أي إشارة للغنائم[3].

وأما النص الثاني والذي تضمن مقولة القائد الفارسي رستم، فإنه يشكل وجهة نظر الفرس للعرب قبل الإسلام، ولا يعني هذا بأنها تنطبق عليهم بعد تغيير أحوالهم وحملهم لراية الإسلام، وهي وجهة نظر رد عليها المسلمون وفندوها في وقتها، ولقد حاول المسلمون في كل مناسبة أن يصححوا لهم تلك النظرة الخاطئة، ويظهروا لهم الدافع لخروجهم للغزو والقتال، ويشرحوا لهم ما حدث لهم من تغيير مما لا يصح بعده أن تقاس حالهم ومقاصدهم بما كان قبله، فتلك شبهات أعداء العرب والمسلمين وهذه إجاباتهم، وليس من الإنصاف أن نسمع التهمة ولا نسمع الدفاع، فكان مما قاله المغيرة بن شعبة ﷺ لرستم يوم القادسية ـ رداً عليه بعد أن سمع منه ما سمع ـ: ".. ولكن الشأن غير

---

(١) محمد بن عبد الله الأزدي، تاريخ فتوح الشام، ت: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٠م: ١-٢.

(٢) التوبة: ٤١.

(٣) محمد بن عمر الواقدي، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ١/٥-٦.

ما تذهبون إليه أو كنتم تعرفوننا به، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولاً .."، ثم شرح له تبدل حالهم من حال إلى حال، ودعاه بدعاية الإسلام[1].

وأما النص الثالث الذي مداره حديث خالد بن الوليد ﵁ لأصحابه بعد معركة الولجة فإن كلامه قد تضمن ما يمنع الاستدلال به على قصد الغرض المادي، فقد قال ﵁: ".. وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله ﷿، ولو لم يكن إلاّ المعاش .. الخ"، أي أنه لو كان الغرض من قتالهم طلب العيش لكان الأولى أن يقاتلوا للحصول على المغانم الدنيوية المترتبة على انتصارهم وتمكينهم، لكن الخروج كان لأمر لازم غير الدنيا، فإنهم إنمّا خرجوا لتكون كلمة الله هي العليا، ولذلك قال المغيرة ﵁ لرستم ـ بعد أن دعاه إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ـ: "والإسلام أحب إلينا منهما"، أي من الجزية والقتال[2].

ومثل مقالة خالد ﵁ تلك مقالة وفد سعد ﵁ إلى رستم يوم القادسية، فكان مما قالوا له ـ بعد أن شرحوا له أثر الإسلام فيهم، وغرضهم من المجيء إلى بلاده، ودعوه بدعاية الإسلام ـ: "ووالله لو لم يكن ما نقول لك حقاً ولم يكن إلا الدنيا لما كان لنا عما ضرينا به من لذيذ عيشكم، ورأينا من زِبْرِجكم من صبر، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه.."[3]، ولو عند أهل اللغة حرف امتناع لامتناع،

---

(١) الطبري، تاريخه: ٢/٤٠٣.

(٢) الطبري، تاريخه: ٢/٤٠٤.

(٣) الطبري، تاريخه: ٢/٤٠٦.

فلمّا امتنع الشرط "وهو عدم لزوم الجهاد"، امتنع الجواب "وهو لزوم المقارعة على هذا الريف لمجرد العيش"، وثبت العكس وهو لزوم الجهاد في الله وانتفاء المقارعة لمجرد العيش[1].

وليس من حديث أبلغ مما قاله الحارث بن هشام ﵁ حين رأى جزع أهل مكة عليه ورغبتهم فيه لماّ أخذ أهبته وعزم على التوجه للجهاد في ميادين الفتوح في الشام، فقال يخاطبهم: "يا أيها الناس، إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد عن بلدكم، ولكن كان هذا الأمر، فخرجت فيه رجال من قريش، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتاتها، فأصبحنا والله ولو أن جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمس به أن نشاركهم في الآخرة، فاتقى الله امرؤ فعل"[2].

وعزا بعضهم سبب نجاح حركة الفتوح الإسلامية لعدة عوامل، وتلخصت معظم آراءهم في ثلاث نقاط: الأولى: أن ضعف دولة فارس والروم كان مغرياً للعرب بغزوهما، والثاني: أن تكاثر أعداد العرب في شبه الجزيرة وضعف موارد بلادهم وتفشي الفقر والجوع بينهم، كان سبباً في هجر صحاريهم المجدبة والتوجه إلى العراق والشام وغيرها من ممتلكات فارس والروم للتنعم بخيراتها، والثالثة: أن دولة الخلافة أرادت أن تشغل قبائل العرب وتصرف حميتهم في قتال فارس والروم بدل قتال بعضهم بعضاً أو الخروج عن سلطانها، ورأب الصدع الذي أحدثته فتنة الردة، وأنه نتيجة لتضاعف أعداد الجيوش

---

(١) انظر: سيبويه عمرو بن عثمن بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ: ٢٢٤/٤.

(٢) يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ١٧٤؛ عبد الله بن المبارك، كتاب الجهاد، ت: نزيه حمّاد، دار المطبوعات الحديثة: ١١٤.

العربية الظافرة تحتم الزحف بهم إلى مناطق جديدة ليحصلوا على الطعام والمغنم، فكان التوسع والاطراد(١).

كما حاولوا إلباسها لباس القومية العربية، إذ جعلوا المحرك الأساسي لها الرغبة في نجدة وتخليص قبائل العرب الرازحة تحت سيطرة فارس والروم على تخوم العراق والشام، وتحرير نواحيهم من سيطرة الأعداء، وعول كثير من المستشرقين على التقارب القومي والاجتماعي بين عرب الجزيرة وعرب العراق والشام في نجاح حركة الفتوحات، وجعلوه من أهم العوامل، ويتناسى أولئك أن أول من وقف في وجه الفتوح هم نصارى العرب في العراق والشام(٢).

---

(١) انظر: ديورانت، قصة الحضارة: ٧١/١٣-٧٣؛ برنارد لويس، العرب في التاريخ:٧٥؛ إدوار عطية، العرب، ت: محمد قنديل البقلي، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة: ٣٢؛ فيليب حتي، تاريخ العرب: ١٩٦/١؛ توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام: ٦٤؛ فان فولتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ت: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ: ٢٢؛ يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ت: محمد أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م: ٢٣؛ سيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية: ١٩٩/٢؛ عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م: ٩٦؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي: ١٦١/١-١٦٧؛ محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسة في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ: ٣٣-٣٤؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، دراسات في تاريخ الدولة العربية: ٢٠١-٢٠٤، ٢١٠.

(٢) انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ت: منير بعلبكي، دار الملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م: ٩٣/١؛ كلود كاهين، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ت: بدر الدين قاسم، دمشق، ط١، ١٩٧٣م: ٢٤؛ برنارد لويس، العرب في التاريخ: ٥٢، ٧٥؛ ول ديورانت، قصة الحضارة: ٧٣/١٣؛ موريس لومبارد، الجغرافيا التاريخية، ت: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق: ١٦؛ سيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية: ١٩٢/٢-١٩٥؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي: ١٦٧/١؛ محمد سرور، الحياة السياسية: ٣٤؛ وانظر بخصوص مواقف

وذكر بعض المستشرقين أن من دوافع الفتوحات الإسلامية التغيرات الاجتماعية التي مر بها العرب قبل ظهور الإسلام، وأن تعاليم الإسلام كانت لها بصمة واضحة في تحقيق هذا التغيير الاجتماعي، وقالوا: "وضعت تعاليم الرسول أساس نظام أو بناء جديد للمجتمع، وخلقت أداة قوية للتوسع العدواني، وجهت عمداً إلى تحقيق تلك الغاية، أو لم توجه"(١)، وصبغوها بالصبغة القومية "وكان الجهاد لإخضاع الأعاجم إلى سلطان العرب قبل كل شيء"(٢)، وجعلوها حلقة من حلقات الصراع الأزلي بين الشرق والغرب.

"فالفتوحات الإسلامية من هذه الوجهة هي عند التحقيق انقلاب اجتماعي سياسي، استرد به الشرق الأدنى مجده السامي الغابر، وجاء الإسلام مهيباً بالشرق إلى النهوض من كبوته بعد ألف سنة اجتاحته فيها سطوة الغريب"(٣).

هذه بعض التصورات المغرضة عن دوافع الفتح الإسلامي تصور جولات الفاتحين غدواً ورواحاً بأنها غارات همجية للسلب والنهب وملء البطون وقضاء الشهوات، وما هي بسبب الإسلام، وما هي من الإسلام في شي، والحق أنه بعد مجيء الإسلام انتهت الحروب وأعمال السلب والغارة التي كانت دأب القبائل العربية فيما بينها، إذ جمعهم تحت قيادة واحدة، وجعل منهم أمة واحدة

نصارى العرب في العراق من الفتح الإسلامي: عبد العزيز العمري، نصارى العرب في العراق وموقفهم من الفتوح الإسلامية في عهد الراشدين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع: ١١، ١٤١٥هـ: ١٥١-٢٠٩.

(١) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت: إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م: ٥٠.

(٢) بروكلمان، تاريخ الشعوب: ١/١٠٧.

(٣) فيليب حتي، تاريخ العرب: ١/١٩٤.

متماسكة، وإن ظل التوزيع السكاني لأهل الجزيرة العربية على حاله كما كان قبل الإسلام بعيداً عن التخلخلات السكانية التي تولد الأزمات الدافعة إلى الاضطراب والهجرة، كما لم تغص البلاد بأهلها فتدعو الحاجة إلى متسع فيما جاورها من بلاد.

وكثيراً ما قيل إن سبب انتصار المسلمين يرجع إلى "عدم وجود جيش منظم قوي يستطيع صد الفتح الإسلامي ويحمي البلاد المفتوحة، وأن الحرب الساسانية البيزنطية قد استنزفت قوى الدولتين، وأن مصاولة الفاتحين اقتصرت على السكان المحليين بطاقاتهم المحدودة"(١)، والهدف من ادعائهم هذا التهوين من شأن الفتح الإسلامي ومن شأن العقيدة الإسلامية التي ارتقت بالعقول والنفوس وكانت المحرك الأساسي للفتح، ومن شأن العرب المسلمين الفاتحين وبذلهم وتضحياتهم وكأن الأمر مجرد نزهة يستطيع أن ينهض به غيرهم، والمطلع على فتوح بلاد المشرق يجد مثالاً حيًّا يستطيع أن يقس عليه باقي فتوحات المسلمين في الأقطار الأخرى، فقد لاقى المسلمون صعوبات جمة ولم يحققوا النصر إلاّ بالتضحيات الجسام، ولعل من أهم تلك العقبات جغرافية المنطقة الصعبة ومناخها البارد المتجمد شتاءً والذي لم يعتده العرب المسلمون، والبعد المكاني عن مناطق تمركز القوى الإسلامية مما أعاق الوصول السريع للإمدادات في أحايين كثيرة، إضافة إلى ضراوة مقاومة أهل البلاد للفتح الإسلامي، خاصة وأنهم يتميزون عن غيرهم من أهل الشام ومصر وأفريقية بطريقتهم المميزة في القتال والتي لم يعهدها الفاتحون العرب، إضافة إلى وجود كيانات وممالك خاصة بهم يقاتلون دفاعاً عنها ولم يسبق أن حكمهم غازٍ وسيطر على بلادهم، فكانوا ينكثون العهد وينتفضون المرة بعد المرة، فلم يكن الفتح مجرد نزهة عابرة ولقمة سائغة للفاتحين المسلمين إذ يلاحظ المتتبع لعمليات الفتح في المشرق

---

(١) محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ١٠٧.

أنها تتسم بالتكرار، فكثير من بقاعها انتفضت وأعيد فتحها مراراً وتكراراً حتى استقر بها الإسلام ودانت له في خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ)، وفي الوقت الذي شكل فيه غزو الإسكندر المقدوني والفرس والروم والتتار بعد ذلك والاستعمار الحديث سحابة انقشعت بلا أثر يذكر، بقي الفتح الإسلامي مستداماً في أيام قوته وضعفه بارز الأثر مقاوماً لكل غزو جاء بعده بسبب تغلغله في نفوس السكان فصاروا من أهله يدينون به ويتكلمون بلسانه ويكتبون بحرفه.

وإذا ما أردنا أن نقرر دوافع الفتوح بإنصاف فلابد لنا من أن ننظر إلى منتهاها، فسنجد أن نشر الإسلام والتخلية بينه وبين الناس كان الغرض الأساسي منها، إذ لم يجعل العرب من الإسلام ديناً قاصراً على قوميتهم ـ كما فعل يهود ـ، ولم يسعوا إلى حمل الناس عليه بقوة السلاح ـ كما فعلت الكنيسة في عصورها المختلفة ـ، ولم يظهروا بعضه ويخفوا بعضه كما فعل أهل الكتاب من قبلهم، بل أصّلوا إلى عالمية الدعوة الإسلامية، فهي دعوة عامة لا تختص بجنس، وليست محصورة في جزيرة العرب كما يغالط البعض، والنصوص في كتاب الله على هذا المعنى كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، ولهذا أرسل الرسول ﷺ رسله وكتبه إلى ملوك العالم في وقته يدعوهم إلى الإسلام ويبلغهم رسالات ربه، فالأصل السلم وطلبه، والحرب في الإسلام لا تكون إلا في حالة إعاقة تقدمه بالقوى المادية،

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

والاعتداء على حرية العقيدة التي كفلها الشارع ﷻ للناس ومنعهم من العبودية لله وحده، وفتنة المسلمين وصدهم عن دينهم، والمتأمل في مشروعية القتال في الإسلام يتبين له هذا المعنى بوضوح(١).

والمتأمل لأخبار الفتوح يعرف أن العرب الفاتحين لم يكونوا "من طراز أولئك الغزاة الذين إذا دخلوا قرية أفسدوها واعتبروها بقرة حلوباً، يتركونها هزيلة عجفاء، ولا يعتبرون أنفسهم كالإسفنج يتشرب الثروة من مكان ويصبها في مكان آخر، كما كان شأن الإنجليز في الهند، وفرنسا في الجزائر والمغرب الأقصى، وإيطاليا في طرابلس وبرقة، وهولندا في إندونيسيا، بل وهب العرب البلاد التي فتحوها أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة وأخلاق وسجايا ومقدرة وكفاية وتنظيم وإدارة، وأقبلوا عليها بالعقل النابغ، والشعور الرقيق، والذوق الرفيع، والقلب الولوع، واليد الحاذقة الصناع؛ فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة، ومن عهد الطفولة إلى عهد الشباب الغض؛ فأمنت بعد خوف واستقرت بعد اضطراب، وأخذت الأرض زخرفها وبلغت المدينة أوجها، ونشأت علوم لا علم بها للأولين، وفنون وأساليب في الحضارة لا عهد لهم بها في الماضي، وانتشرت التجارة وازدهرت الزراعة، فكأنما ولدت هذه البلاد في العهد الإسلامي ميلاداً جديداً ولبست ثوباً قشيباً"(٢).

---

(١) انظر: كتب الرسول ﷺ إلى ملوك العالم في حينه ودعوته إياهم إلى الإسلام عند محمد حميد الله في كتابه مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م؛ وعن مشروعية القتال في الإسلام ومراحل ذلك انظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ت: شعيب الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٠٧هـ: ٧٠/٣؛ وعن عمومية الدعوة الإسلامية انظر: محمد عزة دروزة، القرآن والمبشرون، طبعة المكتب الإسلامي، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ٢٦٨ وما بعدها؛ محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ: ١٩ وما بعدها.

(٢) عبد الله الطرزي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، عالم المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٥-٦.

إن النظر إلى دوافع ومسببات حركة الفتح الإسلامي من اتجاه واحد بغرض إخراجها عن أصلها الذي قامت عليه، وإبراز نتائجها المادية كدافع أساسي من دوافعها فيه من الاجحاف ومجانبة الحق الشي الكثير، وقد كان هذا هو ديدن المستشرقين ممن كان غرضهم الطعن في الإسلام وفي أسباب انتشاره وقبول الشعوب بمختلف عقائدهم ومشاربهم له، ومساهمتهم الفعالة في بناء حضارته التي طوقت الأرض يومئذ، فاتخذوا من تشويه الإسلام منهجاً لصد قومهم عنه، واتسمت دراساتهم ومؤلفاتهم التي وضعوها بغرض استكشاف أغوار العالم الإسلامي بفرض اتجاهاتهم الفكرية والعقدية في تفسير وعرض أحداث التاريخ الإسلامي طعناً فيه وتشويهاً لصورة حركة الفتح عند المتلقي، فشرعوا يفسرونها وينسبونها إلى دوافع مختلفة وأهم تلك الدوافع التي زعموها الدافع الاقتصادي، فشبهوا العرب المسلمين بالأمم الجائعة كالمغول والجرمان وغيرهم، وجعلوا من حركة الفتح غزواً واحتلالاً ذا هدف مادي دنيوي بحت، ومما يسوء العاقل أن يجد لدعواهم تلك صدى في كتابات قومه من المسلمين خاصةً العرب الذين دونت مصادر التاريخ بلسانهم وجرت أحداثه على أرضهم وصدرت عن عقيدتهم التي يدينون لله بها، فتبعوا نهج عدوهم واتخذوا من التاريخ مدخلاً للطعن في دين الإسلام ـ عن قصدٍ أم عن جهالة ـ بعد أن عصم الله عز وجّل كتابه وسنة نبيه عن الكذب والدس والتدليس.

إن توجه دولة الخلافة إلى نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية هو جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية التي وضع أسسها النبي ﷺ، انطلاقاً من عالمية الرسالة وحتمية التبليغ، والمتتبع لحركة الفتح الإسلامي في بدايتها أيام العهد الراشدي يجد أنها امتداد لنهج النبيّ ﷺ وسعيه لتبليغ دعوة التوحيد وإيصال الإسلام إلى العالمين سواء سلماً أو حرباً، وقد رسم لأصحابه من بعده طريق نشر الإسلام خارج نطاق جزيرة العرب يوم الخندق في حديث الصخرة بقوله ﷺ: ((الله أكبر، أُعطيت مفاتيح

الشام، ...، الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، ...، الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، ...))[1]، وبفعله لما أرسل الرسل إلى أباطرة وملوك وأمراء الدول المحيطة بجزيرة العرب، وبخروجه إلى تبوك لملاقاة جيش الروم بغرض صدهم عن الوصول إلى مدينته ﷺ، والمعاهدات التي عقدها يومئذ، وبإرساله سرية مؤتة[2] رداً على قتل رسوله إلى غساسنة بصرى، وحين كان آخر أعماله العسكرية تجهيزه بعث أسامة إلى بلاد الأردن[3].

ولم يتوانى أبو بكر الصديق ﵁ (١١-١٣هـ) بعد توليه الخلافة عن السير على طريقة رسول الله ﷺ، فأنفذ بعث أسامة إلى البلقاء من بلاد الشام، ثم عقد الألوية إلى الشام والعراق، ففي العام الثاني عشر من الهجرة كانت جيوش خالد بن الوليد وعياض بن غنم والمثنى بن حارثة تتغلغل في نواحي العراق من أسفله وأعلاه، وفي السنة الثالثة عشر من الهجرة كانت الألوية الأربعة تتجه إلى دمشق وحمص وفلسطين والأردن، وفي عهد عمر ﵁ توجه جيش الفتح إلى قارة أفريقيا تحت قيادة عمرو بن العاص ﵁، فما انتهى عهد الخلفاء الراشدين إلاّ وراية الإسلام ترفرف على بلاد الشام ومصر وإفريقية والعراق وخراسان، وهلك كسرى الفرس، وما عاد لقيصر الروم موطئ قدم في بلاد الشام ومصر، وحرم الله عليهم أن يملكوها بعد ذلك إلى آخر الدهر مصداقاً لقول رسوله ﷺ: ((إذا

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ٣٩٧/٧، وإسناده حسن.

(٢) قرية من قرى البلقاء على حدود الشام. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٣٣٦/٤.

(٣) انظر: عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام، ت: مصطفى السقا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٦٢٤، ٧١٩، ٨١٥، ٨٩٠، ٨٦٩.

هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله))[1].

وعلى نهج الخلفاء الراشدين وطريقهم سار خلفاء بني أمّية، فتعددت الفتوح في عهدهم، فكان فتح خراسان وما وراء النهر وبلاد السند ـ وهي مادة بحثنا ـ، وفتح أذربيجان وأرمينية وبلاد الروم في آسيا الصغرى، وفتح شمال إفريقيا وجنوب أوربا، "فكانت سوق الجهاد قائمةً في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك، قد علت كلمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وبرها وبحرها، وقد أذلوا الكفر وأهله، وامتلأت قلوب المشركين من المسلمين رعباً، لا يتوجه المسلمون إلى قطر من الأقطار إلا أخذوه، وكان في عساكرهم وجيوشهم في الغزو الصالحون والاولياء والعلماء من كبار التابعين، في كل جيشٍ منهم شرذمةٌ عظيمةٌ ينصر الله بهم دينه"[2].

والمتأمل في أخبار الفتوحات الاسلامية يلاحظ أنها قامت على أساس الدعوة إلى توحيد الله عز وجلّ وإفراده بالعبادة دون سواه، وتحطيم الأصنام وتكسيرها تبياناً لضعفها وعجزها بغرض صرف الناس عن الاعتقاد فيها، مما جعل كثيراً من عبادها يعتنقون الإسلام ديناً عن رغبة وطواعية، ويسارعون إلى الدخول تحت عدل الإسلام وظله، ولولا إيمانهم بعدله لما تجشم الفتى القبطي عناء السفر من

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٦١٨. وانظر: البلاذري، فتوح البلدان: ١١٥-١١٦، ٢٤٢؛ الطبري، تاريخه: ٢/٣٠٨-٣٠٩، ٣٣١.

(٢) ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٩/١٠٤.

مصر إلى دار الخلافة في الحجاز يشكوا ظلم ولد أميرها، ولماّ رفع أهل سمرقند مظلمتهم إلى عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) ضد ملك من ملوك العرب ـ كما سمى الترك يزيد بن المهلب ـ(١).

لقد كان الدافع لحركة الفتوح الإسلامية الأساسي كسر الحاجز بين الناس وبين الإسلام، ويتشكل هذا الحاجز في الملوك والأمراء، وأساطين الكفر ـ بشتى ملله ـ، الذين كانوا ينافحون عن سلطانهم المستمد من ديانتهم الباطلة، والتي استعبدوا الناس وسخروهم بباطلها، فكان لابد لدولة الخلافة من كسر هذا الحاجز وضمان حرية الاعتقاد للناس، ورفع الاضطهاد والقمع الديني والاجتماعي عنهم، مع بسط وتبيان عقيدة الإسلام لهم، فهم ـ أي المسلمون ـ لم يغزوا تلك البلاد طمعاً في دنيا أو طلباً لها، بل كان السبب الرئيس لبذلهم الأنفس والأموال وتحمل المشاق والصعاب هو إخراج العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد، وحمل أمانة النبيّ ﷺ إلى حيث انتهى بهم المسير، فكان قدوتهم ـ بأبي هو وأمي ـ، فساروا على نهجه وسعوا إلى أن يخلوا ما بين الناس وبين الإسلام بعتقهم من نير العبودية للبشر الذي طوقهم به أباطرتهم وساداتهم.

و"لم يعمد المسلمون قط إلى القوة إلا لمحاربة القوة التي تصدهم عن الإقناع، فإذا رصدت لهم الدولة القوية جنودها حاربوها، لأن القوة لا تحارب بالحجة والبينة، وإذا كفوا عنهم لم يتعرضوا لها بسوء ... ومتى وقعت الحرب فلا قتال لأحد غير المقاتلين ولو كان من بلاد الأعداء، ولم يكن النبي عليه السلام وخلفاؤه يتركون المقاتلين من المسلمين المتوجهين إلى الحرب بغير وصاية مشددة يحاسبونهم عليها .... وخلاصة هذه الوصايا كما أجملها الخليفة الأول أبو بكر الصديق: "ألا تخونوا ولا تغدروا ولا

---

(١) انظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ت: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ: ١٩٥، وفي سند القصة انقطاع، وفيها نظر؛ وجاءت حكاية أهل سمرقند مع عمر بن عبد العزيز عند الطبري في تاريخه: ٤/٦٩.

تمثلوا، ولا تقتلوا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاّ لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرَّغوا أنفسهم له"(١).

و"كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله تعالى في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال: ((إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ، فأيتها أجابوك إليها، فاقبل منهم وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم وكف عنهم، .....، فإن هم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ...))"(٢).

وقد سار خلفاء المسلمين على نهج رسولهم ﷺ، ونقلوا وصاياه إلى قاداتهم، فتميز الفتح الإسلامي بها، فكانت جيوش المسلمين تفرض الحصار على المدينة المقصودة وتخيير أهلها بين ثلاث، الإسلام، والجزية، والقتال، "والإسلام أحب إلينا منهما".

وتميز العهد الأموي بكثرة الفتوحات واتساعها، وشملت آفاقاً لم يعرفها المسلمون في العهد الراشدي، وبلغ العرب والمسلمون شأواً عظيماً أيام الخلافة الأموية، ونشروا سلطانهم على ما تلاهم من ممالك الأرض وشعوبها، ولم يكن تحقيق ذلك بالأمر اليسير السهل، بل بذلوا من أنفسهم وأموالهم في سبيل رفع راية الإسلام الشيء الكثير، ومن ذلك أن مجاهدة الأمويين لقبائل البربر في شمال أفريقية

(١) عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة: ١٤٨، ١٥٥-١٥٦؛ وانظر وصية الصديق لبعث أسامة عند الطبري في تاريخه: ٢/٢٤٦.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين، حديث رقم: ٢٦١٢.

استمرت حوالي أربعة عقود ونيف حتى تمكنوا من إخضاعهم لسلطان الخلافة الإسلامية، وتحولوا من قبائل مقاومة للفتح إلى جنودٍ في جيشه طرق بهم خليفة المسلمين أبواب أوربا، وعبرت سفنهم مضيق جبل طارق إلى بلاد الأندلس، والمتأمل لضراوة مقاومة البربر للفتح يعلم أنها لم تكن موجهة ضد الإسلام ودولته ـ كما يحلو لبعضهم أن يصورها ـ، بل هي ناتجة عن عقود من الصراع المستميت ضد الرومان والوندال والبيزنطيين أكسبهم خبرة قتالية عالية جعلتهم يُشككون في نية كل وافد عليهم، وناتجة عن جهلهم المطلق بالإسلام كعقيدة ومنهج، لذا كان من البديهي أن يتصدوا له كتصديهم لأي تدخل أجنبي حفاظاً على استقلالهم وعلى كرامتهم مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

وفي الجبهة الشرقية في بلاد خراسان وما وراء النهر واجه المسلمون ظروفاً جغرافية لم يعهدوها من صعوبة التضاريس وبرودة المناخ خاصة في الشتاء المتجمد، ناهيك عن البعد الجغرافي بين مراكز المسلمين الحضارية وبين تلك البلاد، وطول خطوط الإمدادات، أضف إلى ذلك تميز سكان تلك البلاد بالمهارات القتالية والخبرة الحربية الناجمة عن صراع طويل بين الإمبراطوريات الفارسية المختلفة وغيرها من الدول والشعوب، إضافة إلى تميز القبائل التركية البدوية في القتال ومهاراتهم في استغلال الطبيعة الجغرافية لمنطقتهم، ومجادلتهم الشديدة للمسلمين، إذ تعددت قبائلهم وممالكهم في العمق الجغرافي لبلاد ما وراء النهر، ولم يستقر الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر حتى صار الترك من أهل الإسلام ومادته.

وترى الباحثة أن الفتح الإسلامي في القرن الأول ـ وبخاصة فتح بلاد المشرق ـ مر بأربع مراحل:

المرحلة الأولى: كانت في العهد الراشدي (١١-٤١هـ)، وفيها مزق الفاتحون عرش كسرى وكانت نهاية الإمبراطورية الساسانية الفارسية عام (٣١هـ)، وطُرد الروم من بلاد الشام ومصر وأفريقية، وكانت بداية فتح بلاد خراسان وبدايات فتوح بلاد السند والحبشة، وفيها كانت أول معركة بحرية في تاريخ المسلمين، ومُصرت الأمصار في الكوفة والبصرة والفسطاط، وغيرها[1].

والمرحلة الثانية: بدأت باجتماع أمر المسلمين لمعاوية رضي الله عنه (٤١هـ) بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له عن الخلافة، وبدأت جيوش الفتح تطرق أبواب بيزنطة من جديد، إذ سعى خليفة المسلمين معاوية بن أبي سفيان إلى قتال الروم البيزنطيين وتضّيق الخناق عليهم براً وبحراً، فكان أول غزوٍ للقسطنطينية بقيادة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)، وعرف المسلمون الصوائف والشواتي، فكانت جيوشهم تغزو الروم في كل عامٍ مرتين، وأُستأنف فتح بلاد الشمال الافريقي[2].

وفي الجبهة الشرقية عادت خيول المسلمين إلى بلاد خراسان من جديد تعيد ما خرج منها إلى حياض الدولة الإسلامية وتعمل على تثبيت راية الإسلام فيها، فكانت أول حملة بقيادة عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه عام (٤٢هـ) وتوالت الحملات ونتج عنها إعادة فتح وفتح عدد من المناطق أبرزها: هراة، وبلخ، وكابل وقندهار، وغزنة[3].

---

(١) انظر: خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ت: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ١١٧ وما بعدها.

(٢) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٢٠٥-٢٢٤.

(٣) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٢٠٥-٢٢٤.

وفي هذه المرحلة كانت بدايات حركة الهجرة والاستيطان في بلاد المشرق في العهد الأموي، ويعتبر أمير بن أحمر اليشكري أول من أنزل العرب مرو، ونقل والي العراق زياد بن أبي سفيان (ت:٥٣هـ) خمسين ألف أسرة المسلمة من بلاد العراق إلى بلاد خراسان سعياً لتحقيق استقرار الإسلام فيها، وتمهيداً لفتح ما ورائها من بلاد[1].

وفي هذه المرحلة كانت أوائل الفتوح في بلاد ما وراء النهر، وكان أول من رفع لواء الفتح فيها الحكم بن عمرو الغفاري ﷺ، ففُتحت بخارى وبيكند عام (٥٤هـ) على يد عبيد الله بن زياد (ت:٦٧هـ)، وأكمل سعيد بن عثمان بن عفان من بعده ففتح سمرقند وأعاد فتح ترمذ وبخارى ـ بعد انتفاضتهما ـ وفرض عليهم الجزية[2].

وفي هذه المرحلة كانت بدايات الفتوح الأولى لإقليم الثغر ـ ثغر الهند ـ بقيادة المهلب بن أبي صفرة (ت:٨٢هـ)، إذ خرج بجند البصرة عام (٤٤هـ) وغزا أطراف بلاد السند وفتح مكران وسجستان وكش وغيرها، إلاّ أنها لم تحكم مباشرة من قبل المسلمين حتى كان فتح محمد بن القاسم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك[3].

والمرحلة الثالثة: كانت بعد مقتل عبد الله بن الزبير ﷺ عام (ت:٧٣هـ)، واستتباب الأمر واجتماعه لعبد الملك بن مروان (٧٣-٨٦هـ)، وبدأت أعظم حركة للفتح في الإسلام بعد الفتح الراشدي، وبرزت فيها الجبهتين: الجبهة الغربية: وكان الصراع فيها بين دولة الخلافة وبين الروم

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٤٠٠.

(٢) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٢٢٢، ٢٢٤؛ البلاذري، فتوح البلدان: ٤٠٠-٤٠٢؛ الطبري، تاريخه: ٢٤٣/٣، ٢٥٠.

(٣) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٢٠٦؛ البلاذري، فتوح البلدان: ٤٢١ وما بعدها.

البيزنطيين في آسيا الصغرى وشمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط ـ بحر الروم ـ، والجبهة الشرقية: وتزعم فيها طرخانات الترك في آسيا الوسطى وملوك الهندوس في بلاد السند الوقوف أمام المد الإسلامي، وكان الحجاج بن يوسف (ت: ٩٥هـ) رجل هذه المرحلة المبرز، إذ جُمعت مقاليد الأمور في العراق بيده، فبدأ بتوجيه خيول الفتح مرة أخرى إلى بلاد ما وراء النهر وإقليم الثغر(١).

وحكم خلال هذه الفترة خليفتين من أبرز خلفاء بني أمية: عبد الملك بن مروان، وكان عامله على بلاد خراسان وما وراء النهر المهلب بن أبي صفرة، وتركزت جهوده في تثبيت أقدام المسلمين والقضاء على جيوب الخوارج في المنطقة، والوليد بن عبد الملك، وكان سيفه الحجاج بن يوسف الثقفي وقد جمع له أمر العراق وما وراءه، فولى قتيبة بن مسلم الباهلي (ت:٩٦هـ) خراسان عام (٨٦هـ)، وفي عهد كانت أوسع حركة فتح في المنطقة، إذ فتح بخارى عام (٩٠هـ)، وسمرقند ـ وكانتا قد خلعتا ثوب الطاعة ـ عام (٩٣هـ)، وغزا بلاد الشاس وفرغانة، وتمكن من مد نفوذ دولة الخلافة حتى حدود بلاد الصين عام (٩٦هـ) وأخذ من ملكها الجزية، لذا يُنظر إليه على أنه الفاتح الحقيقي لبلاد ما وراء النهر، وذلك لدوره في تثبيت سلطان الإسلام فيها، إذ اعتنى ببناء المساجد وتوطين العلماء في مدنها، وشجع أهلها على اعتناقه حتى غلب على أهلها الإسلام وفشا فيهم(٢).

وفي أيام خلافة الوليد كان الفتح العظيم لبلاد السند بقيادة الفتى محمد بن القاسم الثقفي عام (٩١هـ)، إذ فتح الديبل والملتان وهدم معابدها، وقُتل ملك السند داهر، وقُضى على سلطان

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٥٤٧/٣؛ البلاذري، فتوح البلدان: ٤٠٧، ٤٢٣.

(٢) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٥، ٣٠٢-٣٠٣، ٣٠٥-٣٠٦؛ البلاذري، فتوح البلدان: ٣٩١-٣٩٢.

الهندوس ونظامهم الطبقي فيها، وأُمن البحر لسفن المسلمين، وصارت ولاية تابعة لدولة الخلافة الأموية، فبُنيت فيها المساجد، وظهرت فيها شعائر الإسلام، وبدأ يزهر وينتشر فيها(1).

المرحلة الرابعة: ما بعد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ)، وفيها شهدت حركة الفتح والتمدد ركوداً في بلاد المشرق والمغرب، واتجهت جهود الخلفاء إلى نشر الإسلام وتثبيته والقضاء على حركات التمرد والخروج على سلطة دولة الخلافة فيها، ونشطت حركة الفتح لبلاد أرمينية واللان وبلاد الخزر، وفي الجبهة الغربية نشط المسلمون في تحصين الثغور وحفظها، وزادت عنايتهم بالصوائف والشواتي، واهتم ولاة أفريقية بغزو البحر، فغزو جزيرة صقلية وجزيرتي قرسقة وسردانية وقبرص وغيرها(2).

وقد كان لكل مرحلة أثرها في حركة الفتح الإسلامي لبلاد المشرق، فالمرحلة الأولى كسرت الحاجز بين شعوب الإمبراطوريتين الكسروية والبيزنطية وبين الإسلام، فنرى الإسلام يمضي بخطى ثابتة ووئيدة في الانتشار، ويتغلغل في كافة طبقات المجتمع، ونجد أخباراً في طيات كتب التاريخ عن إسلام أناس من الأساورة ومن عامة أهل فارس، ولا شك أن إسلام أهل السلطان كان يفتح الباب لتقبل من ورائهم للإسلام، ومعي مضي الأيام عم الإسلام المنطقة واتخذه أهلها ديناً ينافحون عنه ويسعون لنشره فيمن ورائهم(3).

---

(١) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٣٠٢-٣٠٥؛ البلاذري، فتوح البلدان: ٤٢٤، ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٣٢٩-٣٣١، ٣٣٦، ٣٣٨-٣٤٩، ٣٥١-٣٥٢، ٣٥٦.

(٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٣٦٦-٣٦٨؛ الطبري، تاريخه: ٢/٥٠٣.

والمرحلة الثانية تعلم فيها المسلمون الفاتحون درساً مهماً ـ بعد سلسلة الانتفاضات ـ عن أهمية تثبيت الفتح، فنجد خطط استقرار القبائل العربية في خراسان والتي نفذها عبد الله بن عامر ومن بعده زياد بن أبيه، وهي خطوة هامة في سبيل تثبيت الفتح الإسلامي في المنطقة، وقد سبق لذلك عمر ﷺ لما مصر الأمصار في الكوفة والبصرة والفسطاط، فجعل للمسلمين نقطة انطلاق ودعم قريبة من عمق أرض العدو من ناحية، ومن ناحية أخرى مكنهم من الخلطة مع أهل البلاد المفتوحة مما ترك أثراً ولا شك على أهل المنطقة، فكان ذلك سبباً لثبوت أقدام المسلمين في بلاد خراسان، ومن ثم حملهم راية الإسلام إلى بلاد ما وراء النهر.

أمّا المرحلة الثالثة فتميزت بقوة الخلفاء واهتمامهم بحركة الفتح، وقوة الولاة خاصة والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وتركيزيه على تثبيت قدم دولة الخلافة الأموية في العراق والمشرق، إذ أسند لواليه على خراسان قتيبة بن مسلم مهمة تثبيت الفتح في بلاد ما وراء النهر بعد أن فقد المسلمون أغلب مكاسبهم فيها بسبب الخلافات القبلية التي نشأت في خراسان على إثر تفرق الدولة الإسلامية بعد وفاة يزيد بن معاوية عام (٦٤هـ)، وانتفاض طرخانات الترك ونقضهم عهودهم مع دولة الخلافة واغارتهم على بلاد المسلمين حتى بلغوا نيسابور، مستغلين الخلافات التي وقعت بين المسلمين، وفي نفس الوقت يجهز ابن أخيه محمد بن القاسم لقيادة جيش الفتح لبلاد السند رفعاً لراية الإسلام فيها وتأديباً لملكها داهر وتأمين الطرق البحرية للمسلمين وملاحقة فلول الخارجين على سلطان دولة الخلافة[1].

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٤٠٤.

والمتأمل لسير حركة الفتح يجد أن دولة الخلافة الأموية لم تكن حريصة على فرض السيطرة الكاملة على بلاد ما وراء النهر، بل كانت تحرص على إقامة علاقات تجارية وعسكرية مع خانات البلاد، وتحرص على إنشاء حصون وإقامة حاميات في المنطقة للحفاظ على سلامة حدودها الشرقية، " وقد نجحت سياسة الحلف هذه مع الأتراك نجاحاً عظيماً، ...، وأخذت الفروق بين الحليف القوى والحليف الضعيف تزول شيئاً فشيئاً إلى أن أصبح الترك عنصراً هاماً في الدولة، وأصبحت بلادهم سداً منيعاً في وجه من وراءهم من الأتراك غير المسلمين، بل أصبحت منطقة وسطى ينزلها الترك فيستحيلون فيها إلى رعايا مسلمين"[1].

وفي المرحلة الرابعة نجد أن اتساع الرقعة الجغرافية لدولة بني أمية مع قصر مدد حكمهم واضطراب الأوضاع الداخلية الناتج عن الخلاف الحاصل في البيت الأموي، باستثناء فترة حكم هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) فإنه حكم تسعة عشر سنة، وفي عهده كانت أغلب الفتوح في هذه المرحلة، اقتصرت العمليات العسكرية على الدفع، وتوقفت حركة الفتوح والتمدد التي شهدتها دولة بني أمية في المرحلتين السابقتين[2].

**** **** ****

---

(١) عبد الهادي شعيرة، الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم، مجلة كلية الآداب، جامعة فاروق الأول، م: ٤، ١٩٤٨م: ٥٢.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٢٢٢-٢٤٧.



الفصل الأول

المبحث الأول: جغرافية بلاد المشرق

المبحث الثاني: سكان بلاد المشرق أصولهم ومعتقداتهم

المبحث الأول

جغرافية بلاد المشرق الإسلامي

يُطلق مصطلح المشرق الإسلامي على المنطقة الجغرافية الممتدة من شرق نهر الفرات إلى حدود الصين، ويعتمد تحديد مشرق الدولة الإسلامية على الجانب الإداري التنظيمي للدولة الإسلامية آنذاك، وولايات المشرق في عهد الدولة الأموية كلها كانت تتبع العراق إدارياً كما نقل صاحب معجم البلدان عن المدائني ونصه: "عمل العراق من هيت إلى الصين، والسند والهند، والري وخراسان وطبرستان، إلى الديلم والجبال، .....، وإنما قالوا ذلك لأن هذا كله كان في أيام بني أمية يليه والي العراق، لا أنه منه ..."(١).

ومنطقة دراستنا تشمل جميع ما تم فتحه في العهد الأموي من شرق نهر الفرات وحتى حدود الصين، ونستطيع أن نحددها بالمنطقة الجغرافية الممتدة من خوارزم(٢) وبخارى(٣) غرباً وحتى إقليم كاشغر(٤)

---

(١) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٦/٣.

(٢) إقليم منقطع عن خراسان وعما وراء النهر، وتحيط به المفاوز من كل جانب. انظر: إبراهيم بن محمد الاصطخري، مسالك الممالك، ت: دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م: ٢٩٩؛ محمد بن حوقل البغدادي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م: ٤٧٧/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٢/٢.

(٣) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه، كانت عاصمة ملك الدولة السامانية. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٣٠٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٨٢/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٨٠/١.

(٤) مدينة وقرى ورساتيق يُسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون. انظر: ياقوت، معجم البلدان: ١١٤/٤.

شرقاً، ومن نهر جيحون[1] شمالاً وحتى بحر الهند جنوباً، ويمكننا تقسيمها إلى إقليمين[2] اداريين اثنين: إقليم خراسان، ويتبعه إقليم ما وراء النهر، وإقليم ولاية الثغر، وكلاهما تابع لولاية العراق.

❖ إقليم خراسان

تقع خراسان إلى الشرق من بلاد فارس وحتى نهر جيحون، وتعني الأرض الشرقية، ولذلك أطلق العرب اسم خراسان بشكل عام على كل المقاطعات الإسلامية شرقي الصحراء الكبرى حتى حدود الجبال الهندية[3].

وتشمل الأرض المحصورة بين نهر جيحون شمالاً، وسجستان[4] وجبال الهندوكوش الهندية جنوبًا، ومن مفازة قوهستان[5] الفاصلة بينها وبين إقليم فارس غرباً، حتى صحراء الصين[6] والبامير شرقاً،

---

(١) نهر عظيم مشهور في وسط آسيا يعرف الآن باسم أموداريا، ينحدر من جبال بامير حتى بحيرة خوارزم، ويعتبر الفاصل الجغرافي الطبيعي بين بلاد الفرس وبلاد الترك. الإصطخري، مسالك الممالك: ٢٨٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٨٠/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٠١/٢.

(٢) الإقليم باصطلاح العامة وجمهور الأمة والجاري على ألسنة الناس ـ وهو المقصود هنا ـ : تسمية تطلق على كل ناحية تشمل عدة مدن وقرى كالصين وخرسان والشام ونحو ذلك. انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٣٢/١.

(٣) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٢١٨/٢؛ نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ٦٨-٦٩.

(٤) هي ناحية كبيرة، وولاية واسعة، ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية، أرضها أرض سهلة لا يرى فيها جبل، بها نخل كثير وتمر. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٣٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤١١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٣/٣.

(٥) وتعني موضع الجبال، لأن "قوه" هو الجبل بالفارسية، وهي الجبال التي بين هراة ونيسابور. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ١٩٥؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٠٣/٤.

(٦) بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب، وشماليها بلاد الترك، وهي في الإقليم الأول ـ حسب تقسيم الجغرافيين المسلمين ـ. انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٢١٥/٣.

ويحدها من شمالها الغربي طبرستان[1] على الشواطئ الجنوبية الشرقية لبحيرة قزوين[2].

وبالرغم من أن خراسان تم فتحها في خلافة عثمان ﷺ، إلا أن أهلها خرجوا عن حكم دولة الخلافة في نهاية خلافة عثمانﷺ، فلما تولى معاوية ﷺ أمر المسلمين عين عبد الله بن عامر والياً على البصرة سنة (٤١هـ)، وولاه حرب سجستان وخراسان، فأعاد فتحها.

وكانت خراسان من أهم المقاطعات الشرقية في عهد الخلفاء الأمويين، وولاتها يتولون الفتوحات في منطقة ما وراء النهر ومنطقة طخارستان[3].

وتشكل خراسان جزءًا مهماً من أقاليم الدولة الإسلامية في العصر الأموي، واختلف جغرافيو المسلمون في تحديد نطاقها، فبعضهم يدخل فيها منطقتي قومس وقوهستان، المتصلتين بها من جهة الجنوب الغربي، وجرجان[4] وخوارزم، وطخارستان، وما وراء النهر من جهة الشمال والشرق، والبعض

---

(١) بلاد واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذا النواحي الجبال، ومن أعيان بلداتها دهستان وجرجان واستراباذ وآمل - وهي قصبتها -، وسارية، كثيرة المياه متهدلة الاشجار كثيرة الفواكه. انظر: انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٠٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٨١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٤/٣.

(٢) وهي بحيرة خوارزم عند البلدانيين المسلمين. انظر: ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٥١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٧٩/١.

(٣) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٦٩؛ وطخارستان ولاية واسعة كبيرة تشمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وتنقسم إلى عُليا وسفلى، فالعليا شرق بلخ وغربي نهر جيحون، وأما السفلى فهي غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا، خرج منها طائفة من العلماء، ومدينة طالقان أكبر مدنها. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٧٥؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٢/٣.

(٤) انظر جرجان عند الاصطخري، مسالك الممالك: ٢١٣؛ ابن حوقل صورة الأرض: ٣٨٢/٢؛ ياقوت، =

الآخر يفصل هذه المناطق عنها، ولعل علة هذا الاختلاف أن كل تلك المناطق كانت تتبع إداريًا لوالي خراسان، وذلك لا يعني أنها كانت جغرافياً منها[1].

ونستطيع أن نقول إن بلاد خراسان اليوم تشمل الجزء الشمالي الغربي من دولة أفغانستان، إذ نجد ذكر لهراة[2]وكابل[3]وبلخ[4]في أخبار الفتوحات، وأجزاء من جنوب تركمانستان، إضافة لمقاطعة خراسان الإيرانية.

وقسم الجغرافيون المسلمون خراسان إلى أربعة أرباع، واتخذوا ـ منذ عهد الفتوحات الأولى ـ من مرو وبلخ عاصمتين لخراسان، فكانت دار الإمارة بخراسان بمرو وبلخ الى أيام الدولة الطاهرية[5].

== معجم البلدان: ٤٢/٢؛ وهي اليوم مدينة إيرانية جميلة تقع بين شاهرود وبندرشاه، وسيأتي الحديث عنها.

(١) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٥٣؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ت: دي غوبة، مطبعة بريل، ليدن، ١٣٠٢هـ: ٣٢١؛ ابن حوقل: ٤٢٦/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢١٨/٢.

(٢) مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان في الحسن والفخامة، بها بساتين كثيرة ومياه غزيرة، خربت على أيدي المغول، وهي اليوم مدينة أفغانية تقع في الشمال الغربي من البلاد على الحدود الإيرانية. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٦٤؛ ابن حوقل صورة الأرض: ٤٣٧/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٧١/٤.

(٣) تقع في الإقليم الثالث ـ حسب تقسيم الجغرافيين ـ بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وكابل: اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى اوهند، وهي ثغر طخارستان، يكثر بها العود والنارجيل والزعفران. انظر: ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٥٠/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ١١١/٤.

(٤) مدينة مشهورة بخراسان، تقع في شمال افغانستان بين كابل وأوكسوس، وهي من أجلّ مدنها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة، فُتحت على يد الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان ﷺ. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٧٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٤٧/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٧٨/١.

(٥) انظر: محمد بن أحمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر: ٣١٣؛ بيروت ياقوت، معجم البلدان: ٢١٨/٢؛ نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٦٩.

وأول هذ الأرباع بلخ، وتقع في القسم الشرقي منها، وثانيها: نيسابور[1] وتقع في قسمها الغربي، وثالثها: ربع مرو الشاهجان[2] وتقع في قسمها الشمالي، وفي جنوبها ربع هراة، وعرف كل ربع باسم قصبته، وفيما يلي تفصيلها:

الأول: إقليم بَلْخ، ويشكل القسم الشرقي من إقليم خراسان، وأكبر توابعه طخارستان، وتقع شرق بلخ، وتنقسم إلى قسمين: طخارستان العليا، وطخارستان السفلى، والأولى هي الأبعد شرقاً.

وتعرف بلخ المدينة اليوم بمزارها المعروف المشهور مزار شريف وهي من أشهر مدن أفغانستان في عصرنا الحديث وأهمها، ويصفها ياقوت بأنها من أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيرا، وأوسعها غلة، واشتهرت بلخ بكثرة خيراتها، وعدَّت من أجلّ مدن خراسان بسعة الغلَّة التي تُحمل إلى الآفاق، وبوفرة الصناعات المتعدّدة[3].

---

(١) مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، عُرفت برجالها وعلمائها، تقع اليوم في شمال إيران، كان فتحها الأول في خلافة عثمان بن عفان ﷺ سنة (٣١هـ). انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٥٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٣١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٢/٤.

(٢) قصبة خراسان ومن أشهر مدنها، تقع اليوم في جمهورية تركمستان، والنسبة إليها مروزي على غير قياس، اشتهرت بمائها البارد لكثرة ثلوجها، بها نهران الماجان، والرزيق، وهما نهران كبيران يخترقان شوراعها، من أشهر علمائها أحمد بن حنبل وسفيان الثوري. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٥٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٣٤/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٣/٤.

(٣) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٣٧٨/١؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٨٠؛ نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٦٩.

الثاني: إقليم نيسابور أبرشهر، ويشكل القسم الغربي من إقليم خراسان مدخل السائرين إلى خُراسَان من الغرب عبر الطبسين[1]، وتفترش نيسابور سهلًا واسعًا في مساحة قدّرها ابن حوقل في حينه بفرسخ في فرسخ، ولها رساتيق عامرة قدرت باثني عشر أو ثلاثة عشر رستاقًا[2].

ويشمل ربع نيسابور: ناحية بيهق[3]، وهي ناحية واسعة كثيرة البلدان والعمارة، وتشتمل على ثلاثمائة واحدى وعشرين قرية، وتقع إلى الغرب من نيسابور بينها وبين قومس وجوين[4].

وكانت نيسابور تدعى في العهود الإسلامية الأولى ابرشهر Abrashahr، وتعني مدينة الغيوم في الفارسية، وكانت مركزاً لسك النقود في عهد الخلفاء الامويين والعباسيين كما يتضح ذلك من الدراهم

---

(١) الطبس فارسية، وفي العربية الطبْس: الأسود من كل شيء، وهي تتبع قوهستان، وهما بلدتان: طبس العناب، وطبس التمر، ويقال لهما: باب خراسان لأنها أول ما فُتح من بلاد خراسان في زمن خلافة عثمان بن عفان ﷺ. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٧٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٤٦/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٠/٣.

(٢) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٥٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٣١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٢/٤؛ ورساتيق: مفردها رزتاق أو رستاق، فارسي معرب، وتعني السواد، والسواد: لفظ يطلق على التجمعات السكانية الزراعية وذلك لغلبة خضرة المزارع عليها، وسميت بالسواد لأنها لشدة خضرتها تقاربه، ومنه قوله تعالى ـ في وصف الجنة ـ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾، "وسواد كل شيء: كورة ما حول القرى والرساتيق". انظر: ابن منظور، لسان العرب: ٢٢٥/٣، ١١٦/١٠.

(٣) ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، معناها بالفارسية الأجود، وقد خرج منها عدد لا يحصى من العلماء والفقهاء والأدباء. انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٢/١.

(٤) كورة مستطيلة بين جبلين يسميها أهل خراسان كويان، وجوين تعريبها، حدودها متصلة بحدود بيهق من جهة القبلة، وتشتمل على مائة وتسع وثمانين قرية، متصلة جميعها كل واحدة بالأخرى، وينتسب لها خلق كثير من الأئمة والعلماء. انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٩٨/٢.

التي تعود الى هذين العهدين[1].

ويعمل أهل نيسابور بالزراعة، ويسقون مزارعهم من نهر شقُّوا له القنوات، إضافةً إلى اشتغالهم بصناعة المنسوجات القطنية والحريرية، حتى قيل: إنه ليس بخراسان مدينة أدوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور.

الثالث: إقليم مرو، واشتهر بالزراعة والرساتيق الكثيرة، بالإضافة إلى صناعة الحرير والقطن والثياب، ويشكل القسم الشمالي من إقليم خراسان، ويقع على نهر المرغاب[2] الذي ينحدر من جبال الغور إلى الشمال الشرقي من هراة، وتقوم المدينة في سهل واسع بعيدة عن الجبال، وتنقسم مدينة مرو الشاهجان إلى أربعة أقسام يسقي كل قسم منها نهر متفرع من نهر المرغاب، وتتناثر القرى وتمتد الرساتيق حول مرو الروذ، فـ "رستاق مرو أجل من المدن، وكثيرا ما سمعتهم يقولون: رجال مرو من قراها"[3].

الرابع: إقليم هراة، ويقع اليوم في دولة أفغانستان الحديثة، وعاصمته مدينة هَرَاة وتقع على نهر يحمل اسمها، وتنتشر الرساتيق بقربها حيث يتفرع من نهرها تسعة أنهر تروي تلك الرساتيق، وقد أفاض الجغرافيون في الحديث عنها والإشادة بها، وبيان أهميتها وعظمها، ووصفها ابن رستة بأنها مدينة

---

(١) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٦٩.

(٢) نهر يسيح بمرو الروذ ،ثم يغيض في رمل حتى يخرج بمرو الشاهجان، وفيه أُلقي يزدجر الفرس بعد قتله، وبه سمي مرغاب البصرة. انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٣٩٧؛ الطبري، تاريخه: ٦٢١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٩/٤.

(٣) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢٥٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٤٣٤/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٣/٤.

عظيمة، وحواليها دور، وفي رساتيقها أربعمائة قرية كبار وصغار، وفيما بين هذه القرى سبع وأربعون دسكره، تشتمل كل منها على عشرة أنفس إلى عشرين نفساً، ويشكل نهري مرو وهراة أبرز العوارض الطبيعية في خراسان، وينبعان من جبال أفغانستان حتى يعبرا بلاد خراسان إلى صحراء خوارزم وفيها يغور ماءهما وينتهيان[١].

ومن البلاد التي كانت تتبع إقليم خراسان إدارياً:

أولاً: بلاد الديلم: قزوين[٢] **وجرجان وطبرستان،** وتقع شمال إقليم خرسان على الشواطئ الجنوبية لبحر قزوين، وكانت تتبع مرو من الناحية الادارية وقلَّما انفردت بوالٍ مستقل، وقد مصرت قزوين في ولاية سعيد بن العاص على الكوفة في خلافة عثمان ﷺ، فكانت ثغر المسلمين من ناحية الديلم، وفي سنة (٣٠هـ) هـ غزا سعيد بن العاص جرجان وطبرستان فصالحه أهلها ثم امتنعوا وثاروا، واستعصت على المسلمين حتى ولى سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان سنة (٩٧هـ)، فسار إلى بلاد الديلم، واستطاع في النهاية أن يمهدها للمسلمين، وبنى بها مدينة جرجان التي أصبحت من أعظم المدن وأشهرها [٣].

وأمّا طبرستان فتقع جنوبي بحر قزوين، وتحيط بها بلاد جرجان من الشرق، وأكبر مدنها آمل،

---

(١) انظر: أحمد بن عمر بن رستة، الأعلاق النفيسة، ليدن، ١٨٩٣م: ١٧٣.

(٢) ثغر الديلم، مدينة ذات حصن، وماؤها من الأمطار والآبار، وأرضها خصبة على الرغم من قلة مياهها، وبها فواكه وأعناب كثيرة، ويُحمل منها الزبيب الى الآفاق، ينتسب لها خلق من أهل العلم والفضل. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٢١١؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٨٠/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٦/٤.

(٣) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٣٨٥؛ الطبري، تاريخه: ٤٩/٤، ٩٨.

وهي بلاد حصنة منيعة يغلب عليها الجبال، وكان حاكمها يعرف بالاصبهبذ، فلما جاء الإسلام وافتتحت المدن المتصلة بطبرستان، كان صاحب طبرستان يصالح على الشيء اليسير فيقبل منه لصعوبة المسلك إليها، ولم يزل أهل طبرستان يؤدون الصلح مرة ويمتنعون مرة حتى كانت خلافة مروان بن محمد ، فغدروا ونقضوا وخرجوا عن سلطان المسلمين[1].

ثانياً: سجستان، كانت تُعرف بسستان، وأطلق عليها العرب الأوائل اسم سجستان، وهي المنطقة التي يحيط بها شرقاً المفازة التي بين مكران وأرض السند وجزءًا من عمل الملتان، وغرباً خراسان، وشمالاً الهند، وجنوباً المفازة التي بين سجستان وفارس وكرمان، وقصبتها زرنج، وكانت تتبع خراسان أحياناً، وأحياناً تستقل عنها إدارياً، إذ كانت أعظم من خراسان وأكثر جنداً وامتدت من بلاد السند الى نهر بلخ، فكانت ثغراً تنطلق منه جيوش المسلمين نحو بلاد الهند وبلاد الترك، فلم تزل أعظم البلدين وأصعب الفرجين وأكثرهم عدداً وجنداً حتى خلافة معاوية ﷺ، ومن أبرز ولاتها أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد وقتيبة بن مسلم الباهلي[2].

ثالثاً: إقليم بلاد ما وراء النهر، ويشمل الأراضي الواقعة بين نهري أموداريا Amudara وسرداريا syrdaeia، أي نهري سيحون وجيحون ـ كما عرفهما الجغرافيون المسلمون ـ، ونهر جيحون يشكل الحد الطبيعي بين إقليم خراسان وإقليم بلاد ما وراء النهر، ويحدها من الغرب بحيرة قزوين، ومن الشرق كاشغر، وهو من أنزه الأقاليم وأخصبها، وأكثرها خيرًا ومياهًا، ينقل منها القز والصوف والقطن إلى الآفاق، بالإضافة إلى المسك والزعفران، وتُوجَد بها السناجب والثعالب؛ ولذا فهي تشتهر بالفرو

---

(١) نجدت خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٧٤-٧٦.

(٢) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٧١.

والأوبار[1].

وتتبع بلاد ما وراء النهر بعد الفتح الإسلامي ـ من حيث الإدارة السياسية ـ إقليم خراسان، وذلك لكون أراضي هذين الإقليمين إنما هي امتداد لبعضها، وبدون حاجز يُذكَر سوى نهر جيحون، إضافة للتداخل بين قبائل المنطقة وتغلب بعضهم على بعض[2].

ويمكن تقسيم بلاد ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم:

أولاً: إقليم الصغد: تنطق بالسين وبالصاد، ويعتبر من أهم أقاليم ما وراء النهر وأعظمها شأناً، ويشمل الأراضي الخصبة الممتدة بين نهري سيحون وجيحون، وهو عبارة عن سهل واسع تتخلله وتسقيه بعض الأنهار المتفرعة من النهرين، ويعد إحدى جنان الدنيا الأربع، وقصبتيه بخارى وسمرقند، وهما من أعظم حواضر بلاد ما وراء النهر[3].

ثانياً: إقليم الصغانيان: ويقع في الجنوب الشرقي لبلاد النهر، ويصفه ياقوت بأنه ولاية عظيمة، وناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات، وتشتمل على عدد من المدن والقرى، منها مدينة ترمذ، وهي مدينة مشهورة من أمهات المدن، تقع على نهر جيجون من الشرق[4].

ثالثاً: إقليم أُشْرُوسنة: ويقع شرق سمرقند، وقصبته بنجيكت، وتغلب عليه الجبال، ويحده من

---

(١) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٢/١٠١، ٣/١٠٢.

(٢) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٦٩.

(٣) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٣١٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٢/٤٩٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/١٩١؛ وسمرقند اليوم من أعظم مدن جمهورية أوزبكستان.

(٤) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٢٣/١٩٠؛ وترمذ اليوم مدينة في أوزبكستان قريبة من الحدود الأفغانية.

الشرق إقليم فرغانة وسيأتي ذكره، ومن الغرب سمرقند، ومن الشمال إقليم الشاش، ومن الجنوب جزء من بلاد الصغد والصغانيان[1].

رابعاً: إقليم الشاش: ويقع هذا الإقليم على ضفاف نهر سيحون، في أرض سهلة منبسطة ليس بها جبل ولا أرض مرتفعة، وهو أكبر ثغر في جهة الترك، ويشير ياقوت إلى أهميته وسعته بقوله: "وليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقداره من المساحة.. ولا أوفر قرى وعمارة"، ومسترة بالخضرة ومن أنزه بلاد ما وراء النهر وقصبتها بُنكت ولها مدن كثيرة، وقد ذكر ابن حوقل أكثر من عشرين مدينة في ناحية الشاش[2].

خامساً: إقليم فرغانة: وقصبته مدينة أحسكث، وتسمى أيضا مدينة فرغانة، وهو كورة واسعة متاخمة لبلاد التركستان من جهة مطلع الشمس، على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق، وليس بما وراء النهر أكثر من قرى فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم وزروعهم، وبها كثير من المعادن كالذهب والفضة والزئبق والحديد[3].

---

(١) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٣٢٥؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٥٠٣/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٦١/١.

(٢) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٣٢٨؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٥٠٧/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ١١٤/٣.

(٣) انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ٣٣٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٥١٢/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٨/٣.

❖ ولاية الثغر أو ثغر الهند[1]:

ويقصد بها السند[2] والبنجاب، وسميت بلاد السند بهذا الاسم نسبة إلى نهر السند، الذي يجري فيها، أمّا البنجاب فلفظ مركب من (بنج، آب) وتعني الأنهار الخمسة[3]، وجميعها تصب في نهر السند، وعلى ضفافها سهل متسع ينحدر جنوباً من مرتفعات كشمير وتعتبر ثاني منطقة دخلها المسلمون بعد بلاد السند[4].

وتشكل بلاد السند والبنجاب جزءًا لا يتجزأ من شبه القارة الهندية، وتقع في الركن الشمالي الغربي منها، وحدد جغرافيو المسلمين موقع بلاد السند بين ديار فارس وبلاد الهند، ورسم ياقوت حدودها بقوله: "بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان"[5]، وقسمها إلى خمسة كور: مكران[6]،

---

(١) انظر: محمد مرسي أبو الليل، الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، القاهرة، ١٩٦٥م: ٩_ ١٩.

(٢) بلاد بين الهند وكرمان وسجستان، يقال للواحد من أهلها سندي، وقصبتها المنصورة، ومن مدنها الديبل، وتقع على ضفة بحر الهند. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ١٧٠-١٧١؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣١٧/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٨٢/٣.

(٣) وهي: جِهْلَم، جنَاب، راوِي، بِيَاس، سَتْلَج.

(٤) انظر: غوستاف لوبون، حضارات الهند، ت: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م: ٤٢-٤٣؛ عبد الحي فخر الدين الحسني، الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات، الهند، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٨٠.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٨٢/٣.

(٦) ولاية واسعة من أرض السند، فتحها المهلب بن أبي صفرة في خلافة معاوية عام (٤٤هـ)، وتقع اليوم في جنوب شرق دولة إيران الحديثة. الاصطخري، مسالك الممالك: ١٧٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٢٥/٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣٠٥/٤.

وطوران[1]، والسند، والهند، والملتان[2].

وتشكل بلاد السند اليوم جزءًا كبيراً من أراضي دولة باكستان المسلمة، وأجزاء من دولة الهند، وتقع ضمن الإقليم الثاني طبقاً للتقسيم الجغرافي لجغرافيي المسلمين، فتحت في عهد الخلافة الأموية وأصبحت ولاية إسلامية تحت حكم الخلافة[3].

والجدير بالذكر أن حدود بلاد السند كانت في عهد الملك داهر الذي وقعت في عهده حملة محمد بن القاسم كالتالي: من الشمال نهر جهلم وسلسة جبال كابل، ومن الشمال الغربي نهر هلمند، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الجنوب الغربي إيران حتى حدود مكران، ومن الجنوب الشرقي خليج كش (كجه)، وتتصل بحدود الهند عند مدينتي راجبوتانا وجيسلمير من الشرق، فأراضي "وادي السند" أيام الفتح الإسلامي تشمل المقطعات الثلاثة اليوم: السند، البنجاب، والحدود الشمالية الغربية في باكستان، وكانت تنقسم قديماً إلى أربعة أقاليم جغرافية، السند العليا والسند والوسطى والسند السفلى وإقليم كش (كجه)[4].

---

(١) ناحية قصبتها قصدار من أرض السند، وهي مدينة صغيرة لها رساتيق خصبة وقرى ومدن. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ١٧٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٢٤/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٧١/٣.

(٢) مدينة مقدسة عند الهندوس، عُرفت باسم صنمها، فتحها محمد بن القاسم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك. انظر: الاصطخري، مسالك الممالك: ١٧٣؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ٣٢١/٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٤٢/٤.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٨٢/٣.

(٤) عبد الله الطرزي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب: ٦٥/١؛ سعد حذيفة الغامدي، الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ١٦.

المبحث الثاني

سكان بلاد المشرق أصولهم ومعتقداتهم

سكن بلاد المشرق قبل الفتح الإسلامي أجناس متعددة، أولهم الترك، فهم أول من سكن آسيا الوسطى أو بلاد التركستان بشقيها الشرقي والغربي، ويشكل نهر جيحون حداً طبيعياً بين الناطقين بالتركية إذ يسكنون شماله وتسمى بلادهم بلاد توران، والناطقين بالفارسية ويسكنون جنوبه ويطلق على بلادهم بلاد إيران[1].

ولما دخل المسلمون بلاد ما وراء النهر وجدوا فيها عدد من الممالك والقبائل التركية، وكانوا بالمجمل ثلاثة أقسام: الترك الغُزية، وهم من أشدهم بأساً ويسكنون على ضفاف النهر بالقرب من خرسان، والترك الخرلخية، ويسكنون فرغانة ونواحيها، والترك الصّغديون، وقد تكونت في هذه المناطق ممالك مستقلة غير واضحة الحدود منها:

---

(١) أشار زكريا بن محمد القزويني في كتابه آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت: ٥١٤ إلى أن تركستان اسم جامع لجميع بلاد الترك، وحدها من الإقليم الأول ضارباً في المشرق عرضاً إلى الإقليم السابع؛ وانظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ت: بشير فرنسيس، مطبوعات المجمع العلمي العراقي: ٤٧٦.

مملكة طخارستان: وسكنها قوم من الترك يقال لهم الطخارية، ويُسميهم الصينيون شعب يوتشي، ويتلقب ملكهم بجيغوية، ونستطيع أن نؤكد أن نفوذهم أيام الفتح الإسلامي كان يمتد إلى نهر المرغاب غرباً حتى مرو الروز، وقد فرضوا حلفهم على دهاقين المدن الفارسية الكبري الواقعة شرقي المرغاب، وتذكر كتب التاريخ أن المسلمين قد اصطدموا بهذا الحلف مرتين: حين أرادوا تجاوز نهر المرغاب أولاً، وحين ثارت طخارستان عقب فتوح قتيبة ثانياً[١].

وكانت هذه المملكة من أوسع ممالك الترك، إلاّ أن الانقسامات فرقت بين أجزائها، إذ كانت تشمل كامل الحوض الأعلى والأوسط من نهر جيحون وتمتد على ضفتيه، وتضم أرض بذغشان والطالقان وصغانيان وشومان وغيرهم، أما بذغشان فإن صاحبها نيزك كان تابعاً لجبغويه، وهو الذي اتصل بالعرب محارباً ومخادعاً ومراوغاً، وبعد الفتح تقلص نفوذها وأصبحت تقتصر على حوض جيحون الأعلى[٢].

مملكة الختل: وتقع على تخوم بلاد السند، خلف نهر جيحون بين نهر وخشاب وجيحون في أرض مرتفعة يتوسطها وادي نهر أخش، ويقول لسترنج: إن بلاد وخش منها، وإنها تقع في أعلي مملكة الختل حيث ينبع نهر وخشاب، ورجح كون الختل والهياطلة اسمين لشعب واحد، معتمداً على التقارب الصوتي بين اللفظين، وهو ترجيح متسرع ـ كما يرى شعيرة ـ لا يبرره إلا قلة ما تمدنا به المصادر من المعلومات عنهم، ونستطيع أن نفسر الصلة بينهم وبين ترك آسيا الوسطى بأنها صلة قرابة بين الشعبين، معتمدين في ذلك على أساس التجاء ملوكها إلى بلاد خاقان الترك[٣].

---

(١) انظر: شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٣.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٤؛ شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٣-٤٥.

(٣) انظر: شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٦.

مملكة الصغد أو السغديانا القديمة Sogdiana: ومن أشهر مدنها سمرقند قصبتها، وهي أخصب بقاع ما وراء النهر ، ويمر بها أكبر طريق يؤدي من وسط آسيا إلى العالم الإسلامي ـ طريق الحرير ـ، والمتتبع لمرويات الفتوح يجد أن الصغد كانوا أشد مقاومة للفتح وأكثر تمسكا بالقومية التركية وأجلب للحرب مع العرب، ونجد ملك الصغد أبعد صوتاً وأعلى قدراً بين ملوك ما وراء النهر عامة[1].

مملكة خوارزم: وتقع أدنى نهر جيحون في أقصى الشمال الشرقي من الحدود الاسلامية جنوبي بحيرة آرال، ويلقب ملكها بخوارزمشاه، وكان لها عاصمتان، العاصمة الاولى على الطرف الغربي لنهر جيحون وتدعى كاث Kath، وقد أصبحت في القرن الرابع العاصمة الرئيسية للإقليم، والثانية هزارسب، ومدينة الفيل من أحصن مدنها[2].

وعلى ضفاف سيحون نجد ممالك ما وراء نهر سيحون، كفرغانة بأخاشيدها، وأشروسنة بأفاشينها، والشاش.

وتقع فرغانة في أعالي سيحون على ضفتيه، وعاصمتها كاشان، وتقع الشاش أدنى منها على الضفة اليمنى من النهر، وتقع أشروسنة على الضفة اليسرى مقابل الشاش، ومنذ سقوط امبراطورية كوشان Kushan أصبحت هذه المناطق تُحكم من قبل أمرائها المحليين، ومن المحتمل ـ كما يقول بارتولد ـ أن الساسانيين لم يحكموا تلك المنطقة ولم يرسلوا نواباً عنهم إليها حتى للإشراف[3].

---

(١) انظر: شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٨.

(٢) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٧٠؛ شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٩.

(٣) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٧٠؛ شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٩.

وقد عنيت المصادر بذكر فتح فرغانة وأهملت فتوح الاقليمين الآخرين تقريباً، وربما يعود ذلك إلى أن فتح فرغانة يفترض في نفس الوقت فتح أشروسنة والشاش، ولم يكن العرب أبطال هذه الفتوح وحدهم، فقد شاركهم فيها ترك خوارزم وكش ونسف وبخاري والصغد وغيرهم، وجابهوا مقاومة عنيفة ربما يعود ذلك للعمق الجغرافي لتلك المناطق في ما وراء النهريين إذ ورائهم خاقانية الترك حتى حدود بلاد الصين[1].

وقد عاصر الفاتحون المسلمون إمبراطورية الـ كَوك تورك Cokturk (هـ/٥٥٢م–هـ/٧٤٥م) وتعني أتراك السماء، وانقسمت إلى خاقانيتين اثنين، شرقية وغربية، شهدت الغربية منهما حركة الفتح الإسلامي، وسقطت تحت سنابك خيل المسلمين، ويُلقب أمير الترك وسيدهم بـ"الخاقان"، وهو لقب من ألقاب السيادة التي تطلق على سادة المغول والترك العظام، ومعناه ملك الملوك، ويطلق لقب "طرخان" أو "طرخون" على من يتبعه من أمراء وسادة قبائل الترك، والطراخين يدينون لخاقان الترك بالولاء، وهم يتمتعون باستقلال ذاتي وقت السلم، ويجتمعون وقت الحرب خلف قيادته للدفاع عن مصالحهم المشتركة[2].

والترك شعب من شعوب الجنس الأصفر، ويتصفون بالخصائص الجسمانية المميزة للجنس الأصفر، فشعورهم مسترسلة وأجسادهم قليلة الحجم، صغار الأعين، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة ـ كما جاء في الحديث[3] ـ، وتغلب عليهم البادية فأكثرهم أهل الخيام، ومنهم أهل

---

(١) انظر: شعيرة، الممالك الحليفة: ٤٩.

(٢) انظر: الصفصافي أحمد القطوري، إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٦٢؛ خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر: ٧٥– ٧٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، حديث رقم: ٢٩٢٨.

القرى، الذين يعملون في التجارة، فكانوا يتجرون بالصوف والحرير والجلود والسجاد والخشب والخيول والحبوب، ويمتهنون الحدادة وصناعة الأسلحة، والصيد ورعي الأغنام وصيد الأسماك، ويمتازون عن جميع الأمم بكثرة العدد وزيادة الشجاعة والجلادة، ضيقو الأخلاق، والغالب عليهم الغضب والظلم والقهر[١].

وقد وصل نفوذ الإيرانيين الفرس إلى بلاد ما وراء النهر وسكنوها فترة أيام حكم الأسرة الهخمانشية[٢]، ويبدو أنهم اغتصبوها من الترك وأقاموا فيها لهم حضارة ومدنية، ونشروا فيها ديانتهم الزرادشتية المجوسية، وفرضوا سيطرتهم على طرق التجارة البرية "طريق الحرير"، وامتد نفوذهم من حدود فرغانة شرقاً حتى مدينة "بخارى" ، ومن دلالات ذلك الصبغة الفارسية لأسماء المدن والقرى والجبال والأنهار فيها، وربما يكون للطبيعة الجغرافية للمنطقة دور في الحيلولة دون انتشار الحضارة الفارسية إلى ما بعد بخارى غرباً إذ نجد الصبغة التركية متمثلة في المسميات الجغرافية في المنطقة، مثل "قراقول = البحيرة السوداء" و "بيكند = مدينة الأمير" وهما علمان تركيان[٣].

ويتصف الفرس الإيرانيين بالقامة الممشوقة والبشرة ذات اللون الداكن، والشعور واللحى الطويلة، والنظرة الحادة والحواجب المقوسة المقرونة، تسودهم الطبقية المجتمعية إذ كانوا عدة طبقات: طبقة الأشراف والنبلاء، وتشكل الطبقة الحاكمة التي تسير أمور الدولة، وهي طبقة قليلة العدد وتستأثر بالسلطة والثروة والجاه وتنحصر في سبع أسرة ملكية، وطبقة رجال الحرب "الأساورة"، وطبقة

---

(١) انظر: القزويني، آثار البلاد: ٥١٤؛ خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر: ٧٧.

(٢) انظر: حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣: ٢٢٣.

(٣) انظر: خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر: ٦٩.

رجال الدين، ويتمتعون بنفوذ سياسي ناتج عن تحكمهم بشؤون الناس الدينية والقضائية فلهم جلّ مناصب القضاة في الدولة ومنهم قاضي القضاة، وطبقة الكتاب ويدخل فيها الأطباء والشعراء والمنجمون، وطبقة عامة الشعب من أرباب الحرف والفلاحين، وهم أقلهم شأناً، وكل الشعوب المحتلة من قبل الفرس تعامل معاملة العامة، والفلاح أقلهم شأنًا فهو عبدٌ من أقنان الأرض التي يزرعها ويكدح فيها يباع ويُشرى تبعاً لها، فهو ملك لصاحبها ملزمٌ جبراً بطاعته والخضوع لأمره والقتال لأجله بدون أن يحصل على مقابل لذلك، فمكانة الفرد في المجتمع الساساني محددة منذ مولده حسب نسبه وطبقته الاجتماعية، ولا يمكن أن تتغير مهما بذل من جهد وسعي إلاّ في حالات نادرة، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده[1].

وتظهر الفوارق الطبقية في كل مرافق الحياة، في المسكن والمركب والملبس والمشرب والمأكل، ومُنع أبناء العامة من التعلم حتى لا ينافسوا الأشراف مكانتهم، ومما يدل على ذلك منع كسرى انوشروان (٥٣١-٥٧٩م) ـ والذي يُعد رمزاً للعدل عند قومه ـ أبناء العامة من التأدب، ونقل عنه الثعالبي قوله: "إن أبناء السفل إذا تأدبوا طلبوا معالي الأمور، وإذا نالوها تحكموا في وضع الأشراف"[2].

(١) انظر: محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ: ٧٠؛ آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ت: يحيي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت: ٣٠٢-٣٠٧؛ محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس (إيران)، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م: ٧١، ٧٧؛ سالم أحمد محل، العلاقات العربية الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد، دار غيداء، عمّان، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م: ٤٠، ٤٢، ٥٩.

(٢) أبو منصور الثعالبي، تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك فارس وسيرهم، مكتبة الأسدي،=

وكانت لهذه الطبقية المقيتة التي أذلت نفوس العباد دور في انتشار المزدكية بين عامة الناس، وفي وقوف عامة الشعوب الرازحة تحت نير الطبقية الفارسية المقيتة موقف المتفرج من الفتح الإسلامي الذي اجتث امبراطورية الفرس من جذورها، وحرر الناس من ذلهم.

وفي حوالي (١٥٠٠ ق.م) دخل الفرس الآريون إلى الهند، واستقروا في سهول السند والكَانج طاردين الدرافيديين منها إلى الجنوب، واستقروا في المنطقة ناقلين لها طبقيتهم المقيتة[١] وحضارتهم وخصائصهم الجسمانية، إذ تميزوا عن غيرهم ممن سكن الهند بالضخامة والبياض المائل إلى الشقرة، وإلى اليوم تسود الصفات الجسمانية الآرية سكان هذه السهول.

وسكنت العناصر المغولية الهند، جاءتها عن طريق الشرق، واستقر العنصر المغولي قريباً من جبال الهمالايا وفي بلاد آسام والبنغال واختلطوا بالعنصرين الآري والدرافيدي، ثم لحقتهم بعد حوالي مئتي سنة هجرة من القبائل التركية التي تسكن أواسط آسيا عن طريق بلاد فارس وخراسان[٢].

ومن أشهر الحملات العسكرية القديمة التي غزت بلاد الهند والسند حملة الإسكندر المقدوني في حوالي عام (٩٤٩ق.م)، وقد دخلت من الناحية الشمالية الغربية لبلاد الهند من ناحية إيران بعد أن اكتسحها اليونان، ولم تترك هذه الحملة أي بصمة تذكر على المنطقة وخرجت منها كما دخلت، وجاء من بعدهم الفرس وقبائل الهون البيض في القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ثم دخلها المسلمون

== طهران، ١٩٦٣م: ٦٠٨؛ وانظر: كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين: ٣٠٢؛ سالم أحمد، العلاقات العربية الساسانية: ٦٠.

(١) سيأتي الحديث عنها في الحالة الدينية "الهندوسية البراهمية".

(٢) محمد أبو الليل، الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها: ٢٧ ـ ٣٤.

الفاتحون واستقر بها الإسلام وانتشر، وتعاقبت عدة أسر مسلمة على حكم المنطقة كالغزنويين والغوريين والمغول المسلمين.

ويذكر صاحب تاريخ السند أن بلاد السند قبيل الفتح الإسلامي كانت تنقسم إلى أربعة ممالك:

- **مملكة برهمناباد:** ويمتد من قلعة نيرون ومكانها اليوم قلعة حيدر اباد حتى بحر العرب، ويضم مدينة الديبل.
- **مملكة سيوستان:** وتمتد على طول نهر السند من روجهان ـ ومكانها اليوم مدينة غازي خان الباكستانية ـ مروراً بقصبتها سيوستان[1] حتى حدود إقليم مكران اليوم في دولة إيران.
- **مملكة قلعة إسكلنده:** وهي من أراضي مقاطعة الملتان الباكستانة.
- **مملكة الملتان**: وتمتد من حدود كشمير على امتداد نهر السند إلى إقليم الملتان الباكستاني جنوباً، ويشكل جزء من ولاية البنجاب اليوم.

وكلها تتبع **لدار المُلك بمدينة أرور**، وهي عاصمة بلاد السند، وتقع في الأراضي السفلية لوادي نهر السند، وتقع اليوم بالقرب من مدينة حيدر آباد إلى الشمال منها، وعند قلعتها **وقعت معركة** فتح الراور الشهيرة[2].

وسادت **الوثنية** في بلاد الهند وخراسان وما وراء النهر قبل الإسلام، فنجد عبادة النور والظلمة

---

(١) ومكانها مدينة تعرف بنفس الاسم إلى اليوم.

(٢) انظر: ن.أ.بلوش، فتح السند، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٩١: ٣٧-٣٩؛ سعد حذيفة الغامدي، معركة الرَّوار قادسية الفتح الإسلامي، دارة الملك عبد العزيز، مجلد ١٣، العدد ٣، ١٩٨٨م: ١٢٤-١٢٥.

عند الزَردَشتيّة والمانوية والمزدكية والبوذية، ونجد عبادة الشمس والكواكب، والشامانية وعبادة الأجداد وأرواحهم والحيوانات كالبقر والقردة والأصنام عند كثير من شعوب المشرق، فمعظمهم يدينون بالوثنية عكس الجبهة الغربية من دولة الإسلام التي يدين غالب سكانها بالنصرانية.

واشتهر الجنس الآري بأنه ميال لعبادة قوى الطبيعة، كالسماء وكواكبها، والنار والأرض والهواء والماء والرعد والبرق، كلها جذبت انتباههم وعبدوها على أنها كائنات إلهية حتى نعتوا الشمس: عين الله، والضوء ابنه، كما جعلوا الظلمة والجدب ونحوهما كائنات إلهية ملعونة، وأضافوا لها آلهة تمثل قوى أخلاقية كآلهة الحرب وآلهة القوانين "آسورا" و"مزدا أهورا" الحكيم(١).

وقد عرف الفرس اليهودية والنصرانية ودين الصابئة لكنها لم تلق رواجاً بينهم، وتعتبر العقيدة **الزَردَشتيّة** "المجوسية" من أقدم العقائد التي دان بها الفرس، وظهرت أيام الأسرة الأولى لملوك الفرس.

وظهرت **المانيوية** في عهد "سابور الأول" على يد الحكيم "ماني بن فاتك" وذلك بعد ميلاد المسيح ﷺ، ونسب نفسه إلى حواري عيسى ﷺ، فخرجت ديانته مركبة من عقائد المجوس ومن النصرانية المحرفة، لذا نجد نفس التثليث فيها ولكن بصبغة مجوسية، وجاءت **المزدكية** بعدها في عهد الملك الساساني "قباذ"، وكلاهما ـ المانوية والمزدكية ـ يدوران حول الاعتقاد بإلهين اثنين أزليين وهما أصل كل شيء، النور والظلمة، وينفرد مزدك بظهور مبادئ الاشتراكية الإباحية في دينه، وقد سعى الأكاسرة من بعد "قباذ" إلى القضاء على المزدكية والحد من تأثيرها على المجتمع الفارسي وقت ذاك، وظلت المزدكية موجودة كجماعة سرية حتى الفتح الإسلامي، وكان لها ظهور أيام الخلافة العباسية(٢).

---

(١) انظر: كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين: ١٩؛ خطاب، قادة فتح بلاد فارس: ٤٥.

(٢) انظر: ابن النديم محمد بن إسحاق، كتاب الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٣٠؛=

وجميع مذاهب المجوس تعتقد بأصلين اثنين أو إلهين انبثق عنهما العالم وهما النور والظلمة، وجميعها تعظم النار وتعبدها، وذلك لاعتقادهم أنها جوهر علوي، وأن عبادتهم لها تنجيهم منها يوم المعاد، وأنها ما أحرقت الخليل عليه السلام، فهي لهم قبلة ووسيلة وإشارة، ولذلك يعظمونها ويتخذون لها البيوت ويخدمها سادتهم وكبرائهم[1].

وعبد المجوسُ الشمس كمظهر من مظاهر النور، وصورها في هيئة رجلٍ خرج من صخرة ليقاتل الشرور لأجل للبشرية، وأسمَوْه "ميثرا" أو "مهر"، وهو من أقدم وأعظم صور آلهة النور عند الشعوب الآرية، فهو رب الشمس ـ باعتقادهم الفاسد ـ وحامي الأسرة الحاكمة، وراجت عبادته وانتشرت حتى آسيا الصغرى واليونان، ودخلت البلاط الروماني بروما، ومن مظاهر عبادته الموجودة اليوم عيد ميلاد المسيح عليه السلام عند النصارى الذي كان عيداً لميلاد "ميثرا" قبل المسيحية[2].

أمّا الأتراك فكانوا وثنيين يعبدون قوى الطبيعة في صورة الطوطم، كما عبدوا الكواكب كزحل والزهرة، ثم انتقلوا إلى **الشامانية** فصارت المعتقد الرئيسي لهم، وهي عبارة عن معتقد بدائي.

ويعتقد الأتراك بتناسخ الأرواح، وانفردوا بعبادة أرواح الآباء والأجداد، وتذكر المصادر أن خاقانية الهون ومن بعدها خاقانية الگوك تورك كانوا يعتقدون بإله واحد قاطن في السماء، وأسموه "تكّرى" ونسبوا أنفسهم له "گوك تورك = أبناء السماء"، وكان للأرض والماء عندهم آلهة أيضاً،

== محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م: ٢/٢٦٨-٢٧٤، ٢٧٥-٢٧٧؛ حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم: ٤١٦-٤١٨؛ محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة: ١٨٩.

(١) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل: ٢/٢٦٠-٢٦١، ٢٨٧.

(٢) انظر: حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم: ٤١٩.

ولا يعني هذا أنهم كانوا موحدين، بل كانوا على مثل حال وثني العرب، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ .[1].

وانتشرت البوذية بين قبائل الترك بسبب علاقتهم المباشرة مع بلاد التبت والصين، ودخلت الزرادشتية مع الفرس إلى بلاد ما وراء النهر لـمّا سكنوها، واتخذ الصراع بين البوذية والزرادشتية في بلاد ما وراء النهر شكل من أشكال الصراع بين عرقين، بين الترك التورانيين الذين حملوا البوذية من جبال التبت والفرس الذين استقروا في بلاد ما وراء النهر زمناً وحملوا الناس على عقيدتهم حتى بلغت شرقاً منازل بدو الترك على حدود الصين وشمالاً شواطئ بحر آرال[2].

أمّا **النصرانية** فلم يعتنقها الترك مع أنهم عرفوها، إذ سكن بين أظهرهم قلة من النساطرة النصارى نزحوا إليهم هرباً من بطش الإمبراطورية البيزنطية، وأقاموا لهم فيها أسقفية بابوية في سمرقند بين عامي ٤١١-٤١٥م[3].

وشكلت الهند مسرحاً لعقائد الشعوب التي هاجرت إليها واستوطنتها على مرّ السنين، فعرفت الكثير من العقائد والديانات التي تأرجحت بوجه عام بين الوثنية والعقائد الفلسفية الروحية.

وعرف الهنود القدماء عبادة الحيوان وبخاصة الأبقار، وعبادتهم للحيوان نشأت عن عبادتهم

---

(١) العنكبوت: ٦١. انظر: أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ: ٣٧٥/٣؛ القطوري، إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة: ١٨١.

(٢) انظر: أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ت: أحمد الساداتي ويحيي خشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية: ٥٠-٥١

(٣) انظر: فامبري، تاريخ بخارى: ٥٣؛ محمود شيت، قادة الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر:٧٢.

للطوطم واعتقادهم بالحلول والتناسخ، وسادت البرهمية الهندوسية والبوذية بلاد الهند عشية الفتح الإسلامي[1].

والبرهمية من العقائد التي تقوم على النظام الطبقي، وتنتهج هذه الطبقية المقيتة على سيادة العرق أو الجنس، وسببها أن الآريين لما دخلوا الهند دخلوها كشعب مهاجر لا كجيش محارب، فالجيش يكون قوامه الرجال الذين يتصلون بسكان المنطقة ويخالطونهم إذا ما تمكنوا منهم، أمّا المهاجرين فينتقلون بكامل مجتمعهم بجميع عاداته وأفراده وثرواته، فلا يحتاجوا لغيرهم ليقموا مجتمعاً ودولة، وكان لشعورهم بالتفوق العرقي وحضارتهم القائمة على الطبقية أصلاً، وعدم احتياجهم للشعوب الهندية وخوفهم على جيناتهم من الذوبان أمام زحف الهجرات المتعددة والاختلاط مع أهل البلاد الأصلين دورٌ في بنائهم لنظام طبقي يضمن لهم التميز والغلبة على غيرهم من شعوب بلاد الهند، فجعلوا أنفسهم فوق الخلق واختصوها بامتيازات مجحفة في حق غيرهم من الأعراق والأمم، ولم يكونوا بدعًا فـ"قد كان الملوك القدماء - من الفرس الآريين - المعنيّون بصناعتهم يصرفون معظم اهتمامهم إلى تصنيف الناس طبقات ومراتب يحفظونها عن التمازج والتهارج ويحظرون الاختلاط عليهم بسببها ويلزمون كلّ طبقة ما إليها من عمل أو صناعة وحرفة ولا يرخّصون لأحد في تجاوز رتبته ويعاقبون من لم يكتف بطبقته"[2].

---

(١) انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى الهندوسية والجينية والبوذية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١١: ٢٧-٢٨.

(٢) محمد بن أحمد البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ: ٧٠؛ وانظر: أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة: ١/٩؛ لوبون، حضارات الهند: ٢٩٣-٢٩٤.

ثم نظروا إلى شعوب الهند، فإذا هي شعوب متعددة المذاهب والمشارب، تسودها الوثنية البدائية، فسعوا إلى إثبات تميزهم العقدي والحضاري على غيرهم، ثم نظروا إلى أقوى الأعراق وأكثرها تمكنًا في البلاد فسخروهم لخدمتهم والدفاع عنهم فجعلوهم أرباب السلاح ومنحوهم صلاحيات ترضيهم وتشعرهم بتميزهم ومكانتهم، فاتخذوا من التورانيين الذي هم "أشد الغزاة تحويلاً لعروق الهند من الناحية الجثمانية ... وأول من قصدوا الهند، فأقاموا بجميع وادي السند وقسم من وادي الكَنج، وكانوا كلما زاد عددهم أوغلوا في داخل الهند فدخلوا الدَّكن في آخر الأمر، واندحر أمامهم الأهلون"[1]، فكانت لهم القوة والغلبة العسكرية، اتخذوا منهم قوة عسكرية، ومنحوهم امتيازات تجعلهم يدانونهم في المنزلة لكن لا يماثلونهم أبداً، وبهم سيطروا على باقي شعوب وطوائف الهند.

وعلى هذا قسموا البشر ـ حسب بدعة منو ـ إلى: الكهنة البراهمة، وهم الذين خلقوا من رأس الإله " براهما" فصاروا خيرة الخلق ـ كما يزعمون ـ، والاكشترية المقاتلة أرباب السلاح، وهم مخلوقين من منكب الإله ويده، فرتبتهم تلي رتبة البراهمة غير متباعدة جدّاً ـ كما ذكر البيروني ـ، والويشية، خلقوا من فخذي الإله، ويمتهرون التجارة والزراعة واقتناء السوائم فهم أصحاب الأموال، وطبقة الشودرا من العمال والصناع والفلاحين والخدم، وخلقوا من قدم الإله، فمنزلتهم في المجتمع كمنزلة القدم من الجسد، والباريا المنبوذون من المطرودين وأصحاب المهن المستحقرة وأسرى الحرب والعبيد، ولا يعدون من البشر أصلاً، وأباح "مانو" في قانونه للطبقات الثلاث الأول ـ الشريفة ـ المخالطة والمصاهرة، فإذا ما تعدى أحدهم واختلط مع فرد من طبقة الشودرا صار منبوذاً وأقل شأن من الشودرا أنفسهم[2].

---

(١) لوبون، حضارات الهند: ١٠٤-١٠٥ بتصرف.

(٢) انظر: لوبون، حضارات الهند: ٢٩٥-٢٩٧؛ البيروني، تحقيق ما للهند: ٧١؛ الساداتي، تاريخ المسلمين =

واختص البراهمة أنفسهم بامتيازات مجحفة تجعلهم يعلون على جميع الخلق ولا يُعلى عليهم، فنتج عن ذلك ظهور بعض الأفكار الثورية في العقيدة الهندوسية تمخض عنها في القرن السادس ق.م ظهور الديانة الجينية ومن بعدها البوذية(١).

وينحدر مؤسسا **الجينية والبوذية** من طبقة الاكشترية، وتقوم دعوتهما على إنكار الآلهة لأن الاعتراف بوجودها يخلق طبقة من الكهنة يشكلون الصلة بين الآلهة والبشر، وتدور جلّ تعاليمهما حول مفهوم المساواة، فالبشر سواء لا فرق بين براهمي وغيره إلا بالمعرفة وقهر الشهوات والتغلب على الملذات المادية والألم، ودعوا إلى تجرد الإنسان من شرور الحياة وتطهير النفس من شهواتها وتحليها بالأخلاق في معاملاتها، ونادوا بهجر العلاقات والعلائق الدنيوية والتخلص منها، فنتج عن ذلك ظهور الرهبانية(٢).

لم تنتشر الجينية خارج بلاد الهند، وعدد أتباعها محدود جداً إذ لا يتجاوزون اليوم المليون وهم مولعون بتعمير المعابد ولهم براعة في تشيدها وفي النحت وصناعة التماثيل والأصنام، ويعمل الجينيون عامةً في التجارة والأعمال ذات الصبغة المالية، وينحون عن الأعمال الآخرى مخافة أن يلحقوا ضرراً بذات روح إذ أن إلحاق الأذى بذات روح يُعَّد عندهم من أشد أنواع الجنايات وأفظعها(٣).

== في شبه القارة الهندية وحضارتهم: ١/٩، ١٦؛ أبو زهرة، الديانات القديمة: ٤٥-٤٧؛ أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى: ٥٢-٥٩.

(١) انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى: ١٠٤.

(٢) انظر: لوبون، حضارات الهند: ٦٢١-٦٢٤؛ وللاستزادة: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى: ١٠٤-١٢٥، ١٣١- ١٧٩.

(٣) انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى: ١١٣، ١٢٤-١٢٥.

أمّا البوذية فقد انتشرت بجهود الملك آسوكا حتى بلغت الصين وبلاد ما وراء النهر، ولم تمكث كثيراً في بلاد الهند إذ خرجت منها في القرن السادس الميلادي لتستقر على حدودها الشمالية والشرقية في بلاد التبت وبورما والصين(١).

وتؤمن كل طوائف الهندوس بتناسخ الأرواح والحلول والاتحاد، وبالكارما ـ وإن اختلفت في تفسيرها ـ، وانفردت الجينية بإنكار الحلول والاتحاد، وحول هذه العقائد الثلاثة تدور جلّ التعاليم والشرائع الهندوسية، وانفردت الهندوسية الأم بعبادة آلهة متعددة في حين ألغت الجينية والبوذية فكرة الألوهية سعياً منهم للتخلص من الطبقية الهندوسية، ولكن هذا الإنكار لم يطل عمره إذ سرعان ما أله الأتباع مؤسسي المذهبيين واتخذوا لهم التماثيل وبنوا لهم المعابد، ولا تعترف الجينية والبوذية بسلطان الكهنة ولا بقانون الويدا، وتختلف الأولى عن الثانية في سعيها لمصلحة الفرد دون المجموع(٢).



**** **** ****

---

(١) انظر: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، فصول في أديان الهند، دار بخارى، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧/١٩٩٧م: ١٥٠؛ سعد الغامدي، الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند: ٢١.

(٢) انظر: أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى: ١٨٧-١٨٨.

الفصل الثاني

المبحث الأول: مصادر المرويات التاريخية في العهد الأموي

المبحث الثاني: آثر التوجهات السياسية والعقدية في تدوين مرويات فتوح بلاد المشرق في العهد الأموي

المبحث الأول

مصادر المرويات التاريخية للفتوحات المشرقية في العهد الأموي

لم يعرف العرب التدوين والكتابة قبل الإسلام إلاّ على نطاق ضيق جداً، إذ غلبت عليهم الأمية، وشاع فيهم الجهل بالقراءة والكتابة، فأسماهم الله في كتابه بالأميين[1]، ووصف رسوله ﷺ حالهم بقوله: ((إنّا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب))[2]، ونتج عن هذا الأمية ندرة التدوين عندهم واعتمادهم على الرواية الشفهية، فصاغوا أخبارهم وتاريخهم في نسق قصصي مشوق يسهل على المتلقي حفظه ونقله، ونظموها أشعاراً يسهل عليهم حفظها واستذكارها حتى قال عمر رضي الله عنه: "الشعر ديوان العرب"، فلم يكن لهم عناية بالتدوين والتأليف حتى جاءهم الإسلام.

بدأ التدوين في المجتمع الإسلامي منذ العصر النبوي، وتطور بتطور احتياجات المجتمع، فبداياته كانت في تدوين نصوص التشريع من القرآن والسنة، ولما خشي النبيّ ﷺ على آيات القرآن أن تختلط

---

(١) الآية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة:٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ "لا نكتب ولا نحسب"، حديث رقم: (١٩١٣).

بأقواله نهى صحابته عن تدوينها، واتخذ كُتَّاباً للوحي خاصة، وكان منهم معاوية ﵁، وإن كان قد أذن لبعض أصحابه في كتابة حديثه، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ من أبرز من اهتم بتدوين أحاديث رسول الله ﷺ، فكان يكتب ما يسمعه من رسول الله ﷺ، يقول أبو هريرة ﵁: "ما من أحد من أصحاب النبيّ ﷺ أكثر حديثاً مني إلاّ ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"(١)، ثم لما توفي ﷺ وجُمع القرآن في عهد الصديق بين لوحين ولم يعد يُخشى عليه من الضياع والاختلاط، ظهرت عناية الصحابة بحفظ وتدوين سنة النبيّ ﷺ وأخبار سيرته ومغازيه، فكانوا يدرسونها ويملونها على تلاميذهم، ومن ذلك أن ابن عباس ﵄ "...كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلاّ الفقه، ويوماً التأويل، ويوماً المغازي، ويوماً الشعر، ويوماً أيام العرب..."(٢).

وقد اهتم المسلمون بدراسة سيرة النبيّ ﷺ وتدريسها وعلموها أبناءهم كما يعلمونهم السورة من القرآن(٣)، وارتبطت العناية بالسيرة والمغازي عندهم بالعناية بالسنة، لأنها جزء من سنته ﷺ، ولقد أوجد قيام الدولة الإسلامية ـ بأرضها الواسعة واشتمالها على أقاليم وشعوب وأمم شتى ـ الحاجة للعناية بتدوين سيرة النبي ﷺ وأخباره ومغازيه، وأخبار أصحابه وأحوالهم، فبدأ التدوين في السيرة النبوية، وتخبرنا المصادر أن أبان بن عثمان بن عفان (ت:١٠٥هـ) من أول من دوّن في المغازي والسير، وإن كانت الرواية عنه في كتب السيرة شحيحة، ومن أبرز رواة السيرة الذين وصلت إلينا رواياتهم عروة بن الزبير (ت:٩٣هـ)، ووهب بن منبه (ت:١١٤هـ)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت:١٢٦هـ)، والإمام الزهري (ت:١٢٤هـ) الذي يعتبر أول من صنف في المغازي، وأبو الأسود

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كتابة العلم، حديث رقم: (١١٣).

(٢) محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢/٤٣٥-٤٣٦.

(٣) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ٣/٩.

يتيم عروة (ت:١٣٣هـ)، ثم ظهرت مؤلفات في السيرة مثل مغازي موسى بن عقبة (ت:١٤١هـ) وسيرة ابن إسحاق (ت:١٥١هـ).

ولمّا بدأت الفتوحات واختط أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الأمصار، وسكنت القبائل العربية خارج حدودها المعهودة، واختلط العرب بالموالي، وكثر المال، حتى خشي عليه عمر من الضياع استشار الصحابة في أمره فأشاروا عليه أن يتخذ كُتاباً لضبط الحسابات المالية للدولة الإسلامية، فدون الدواوين، وقسم للمسلمين أعطياتهم، ورتب لهم رواتبهم كل حسب مكانته وقدره، فاحتاج إلى إحصاء الخلق، فأمر ثلاثة من نسّابة قريش أن يعدوا له جدولاً بأنساب الناس وقرابتهم من رسول الله ﷺ، وهم: جبير بن مطعم، وعقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وقسمهم مراتب على حسب قرابتهم وسبقهم للإسلام[1]، فكان ذلك بداية التدوين في الأنساب، وعلى منواله صار أصحاب الطبقات ورتبوا طبقات رواياتهم، وكان للإخباريين دور في رواية الأنساب وحفظها والتصنيف فيها، وتنوعت تصانيفهم، فمنها ما اقتصر على سرد الأنساب كجمهرة ابن السائب الكلبي (ت:٢٠٤هـ)، ومنها ما دون لنا التاريخ من خلال الأنساب كأنساب الأشراف للبلاذري (ت:٢٧٩هـ).

وقد اهتم خلفاء بني أمية بعلم التاريخ إدراكاً منهم وشعوراً بالحاجة في سياسة الدولة إلى التعرف إلى أخبار الملوك والأمم وسياستهم ومناشطهم وعلاقتهم مع الدول والحضارات الاخرى، ومن ذلك ما ذكره المسعودي في مروجه أن معاوية بن سفيان رضي الله عنه يقضي الثلث الأول من الليل في أيام العرب وأخبارها والعجم وملوكها وسيرهم ومكائدهم، ويقضي ثلثه الأخر في سماع دفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد، يقرأها عليه غلمان له مرتبون قد وكلوا بحفظها وقراءتها، وفي هذا

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٤٣٥-٤٤٤، ٤٣٥.

دلالة على اهتمامه ﷺ بالسير والأخبار، وإن لم يكن على الوجه الذي ذكره المسعودي، والقارئ الحصيف يجد في ما أورده المسعودي من أخلاق معاوية وعاداته من الطعن المبطن الكثير، ومن ذلك قضائه جلّ ليله في تتبع القصص والأخبار والسير بلا تعبد ولا قيام، ونربأ بصاحب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين أن يكون كذلك(١).

ولا شك أن اهتمام معاوية ﷺ بتخصيص جزء من وقته لمعرفة أحوال الأمم وملوكها وساستها وأيامهم وأخبارهم، لا شك أنه بهذه الطريقة يلم بكثير من المعلومات التاريخية التي تعينه على فهم أحوال الأمم، والشعوبُ مادة الدعوة والفتح والإسلامي، ولذلك ذكر ابن خلدون أن " فنّ التّاريخ من الفنون الّتي تتداوله الأمم والأجيال وتشدّ إليه الركائب والرّحال، وتسمو إلى معرفته السّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهّال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيّام والدّول، والسّوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصّها الاحتفال، وتؤدّي لنا شأن الخليقة كيف تقلّبت بها الأحوال، واتّسع للدّول فيها النّطاق والمجال، وعمّروا الأرض حتّى نادى بهم الارتحال، وحان منهم الزّوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيّات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعدّ في علومها وخليق"(٢).

ومن أشهر من كتبوا في التاريخ في خلافة بني أمية عبيد بن شُرِيه الجرهمي (ت: ٧٠هـ)، وقد وفد إلى معاوية بن أبي سفيان وسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخها، ووهب بن منبه الذي أكثر

---

(١) انظر: المسعودي، مروج الذهب: ٣/٣١-٣٢.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م: ٣.

من التأليف في تصانيف العلم في العصر الأموي[1].

ولم يكن تشجيع الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون المصنفين على تدوين التاريخ بغرض تدوين تاريخ رسمي لدولتهم، بل مجرد تدوين معارف يتشوق الخليفة أو الوالي إلى معرفتها وقراءتها، ولم يكن الأمر يتجاوز التشجيع إلى فرض توجه الدولة أو رأي الخليفة أو الوالي في الحدث المدون، وذلك لا يعني أن التاريخ الراشدي أو الأموي أو العباسي كان نقياً من التوجيه والهوى إذ كان التدوين يدور على حسب توجهات وأهواء المُصنف السياسية والعقدية، وإلى آرائه وتفضيلاته الخاصة للرواة الذين ينقل عنهم، والروايات التي يختارها وينقلها أو يتعامى عنها، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن تلك المعلومات لم تكن مكتوبة بل شفهية في الأعم الأغلب، وأن العصبيات القبلية والمذاهب الفكرية كان لها دور في إهمال وتحريف كثير من المرويات، إضافة إلى أن كثيراً من الأقلام التي اهتمت بتدوين تاريخ الدولة الإسلامية في الفترة الأولى ـ العصر الراشدي والأموي ـ كانت من الموالي، وكانوا يجمعون الأخبار بما فيها من مفاخر ومثالب وتحريف ويدونونها بغثّها وسمينها بدون تمحيص، ومن أشهرهم: شرحبيل بن سعد وأبو معشر السندي، والواقدي وأبو عبيدة وأبو مخنف وعوانة بن الحكم والمدائني، ثم تبعهم بعد ذلك مجموعة من المؤرخين منهم: كابن قتيبة الدينوري والبلاذري وابن طيفور والدينوري واليعقوبي والطبري.

"إن تاريخ العرب وإن يكن ما دُون منه فيه كثير من التحري والتدقيق ومحاولة الضبط بشكل قد يفوق فيه ما دون عند الأمم الأخرى، إلاّ أنه يشكو من أدواء خطيرة بعضها قديم وبعضها يتصل

---

(١) انظر: ابن قتيبة الدينوري، المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م: ٥٣٤؛ فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ت: محمود حجازي، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م: ٣٢/٢.

بطريقة كتابته الآن، فقد عبثت برواياته الاتجاهات الحزبية والدينية والمحلية، وربما ورث هذا من نشأته لأن تلك وثيقة الصلة بعلم الحديث وبالسياسة، وأحسب أنّ القارئ يعلم كثرة ما وضعته الأحزاب والفرق من أحاديث لتثبيت كيانها ومهاجمة خصومها، ومع أن المحدثين حاولوا تمييز الموضوع منها من الصحيح، وصنفوا الأحاديث إلى صحيح وحسن ومقبول وضعيف وموضوع، وصنفوها إلى درجات من حيث سلاسل الرواية، لأهميتها في التشريع، إلا أنه لم يحصل في التاريخ مثل ذلك"(١).

وقد لكان لكثير من الرواة والإخباريين المتهمين في دينهم من أهل البدع والأهواء، كالشيعة، والشعوبية، والإخباريين الضعفاء، يدٌ في تدوين تاريخ القرون الأولى، فنجد نفَسَهم في مرويات تاريخ الخلفاء الراشدين ـ خاصة أخبار الفتنة وما جرى فيها، وأخبار والدولة الأموية ـ واضحاً جلياً، ومن ناحية نجد أثر مؤرخي وإخباريي أهل السنة في الرد عليهم وتمحيص مروياتهم وبيان حالهم كالشمس ساطعاً، وقد اعتنى علماء الجرح والتعديل ومعرفة الرجال بذكر أحوال الرواة سواءً اقتصرت مروياتهم على ذكر الوقائع والحوادث، أو شملت رواية الحديث والأثر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم، وهم أهل القرن الأول والثاني، فنجد كثيراً من أخبار هذه الفترة متناثرة في بطون كتب الحديث والسير والتراجم وكتب الرجال خاصة، إذ يندر أن لا تجد لأحدٍ سواء من الرواة أو غيرهم ترجمةً أو ذكرًا.

وكان للإخباريين والرواة الصادقين جهود في جمع وتدوين المرويات التاريخية، وإن كان أغلب المادة التي دُونت في القرنين الأول والثاني قد فُقِدت أو حوتها مدونات القرن الثالث وما بعده، وكان

---

(١) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م: ١٩.

لمدونوها وناقلوها أثر في توجيه الكتابة التاريخية بحسب مشاربهم وأهوائهم الفكرية والمذهبية، "كما أن التاريخ قد نشأ أيضاً ضمن العلوم الشرعية، وعلى أيدي رجال الحديث، وصلته بالشريعة وخدمته لها واضحة سواء في ميدان التربية والسلوك أو في ميدان علم الرجال والجرح والتعديل، ولهذا قيل: "لم يُستعن على الكذابين بمثل التاريخ"، وقال سفيان الثوري: "لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"، فهو وسيلة من الوسائل التي استخدمها علماء السنة لمعرفة صدق الرواة من كذبهم، واعتنى كبار المحدثين مثل البخاري ومسلم وابن حنبل وأبي زرعة وأبي حاتم والترمذي بجوانب من علم التاريخ وصنفوا كتباً في ذلك"(١).

فصلة التاريخ وثيقة بعلم الحديث وبدراسة الأنساب والأيام وبالدراسات اللغوية، وتنوعت طرق صياغته ما بين الأسلوب القصصي الموروث من العصر الجاهلي وبين أسلوب المحدثين في الرواية والإسناد، وبمرور الزمن زادت أهمية الإسناد واتسع نطاق استعماله حتى صار أساس تدقيق الروايات والأخبار، وصار التدقيق في الإسناد وفي توقيت الحوادث أهم عناصر النقد التاريخي، وقارئ التاريخ يتبين وجهة الراوي أو المؤرخ من الروايات التي ينتقيها ويوردها، مع كون المؤرخين عادة ينقلون لنا الروايات التاريخية على علاتها، ويحيل ما فيها من هنات وتناقض إلى من رواها ـ كما فعل الطبري ـ.

وتنوعت الأساليب في الكتابة التاريخية، فنجد بعض المصنفين ـ كابن خياط والطبري ـ اختار ترتيب مرويات كتابه على حسب سنين وقوعها، وبعضهم ـ كالمدائني والبلاذري وابن أعثم ـ اختار أن يصنف الروايات حسب مكان وقوعها، فعرفنا المنهج الحولي والمنهج الموضوعي كطريقة من طرق

---

(١) محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م: ٥٥-٥٦.

الكتابة التاريخية.

أمّا التصنيف في أخبار الفتوحات خاصة فجاء على وجهين: الأول: مصنفات دُونت فيها أخبار الفتوح بشكل عام، كفتوح الأمصار للواقدي (ت:٢٠٧هـ)، وفتوح البلدان للبلاذري، وفتوح ابن أعثم (ت:٣١٤هـ)، والثاني: مصنفات اعتنى مصنفوها بذكر فتوح بلد أو مصر بعينه من أمصار دولة الخلافة كفتوح الشام للواقدي، وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت:٢٥٧هـ).

ويلاحظ المتتبع لمصنفات إخباري القرون الأولى تأثرهم بمنهج المحدثين، ويظهر ذلك في حرصهم على إيراد أسانيد الروايات بعلاتها، وجمع الروايات المتعددة عن الخبر الواحد، وأحياناً يجمعون عدداً من الأسانيد بمتونها ويسردونها في سياق واحد بحيث يكمل بعضها بعضاً بدون فصلٍ بينها، واتصف بعضهم بالنظرة الموضوعية للأحداث، والإيجاز وندرة الاستطراد لغير حاجة والبعد عن الأسلوب القصصي، والاهتمام بنقد الروايات والترجيح بينها بعبارات مقتضبة غالباً.

وقد رأيت أن أقتصر على عمدتهم في هذا الباب علي بن محمد المدائني، إذ نقل لنا جُلَّ أخبار وفتوح بلاد المشرق متفرداً بها عن غيره من أهل المغازي والسير حتى قالوا: "أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس، والواقدي بالحجاز والسيرة، وقد اشتركوا في فتوح الشام"[(١)].

واخترت من كتب التاريخ الحولي تاريخ ابن خياط بصفته أول تاريخ حولي وصل إلينا، وتاريخ الطبري لأنه العمدة في بابه، ومن المصنفات التي صنفت باتباع المنهج الموضوعي تاريخ اليعقوبي،

---

(١) ابن النديم، الفهرست: ١٢٢، وانظر: محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م: ١٠/٤٠٠-٤٠٢.

في أخبار الفتوح خاصة، وفتوح البلدان للبلاذري، وفتوح ابن أعثم، ومن كتب التراجم طبقات ابن سعد إذ أن من صنف بعده في هذا الباب كان عالة عليه، وقد حوى مصنفه تراجم للصحابة وتابعيهم وأتباع تابعيهم من العرب والموالي وهم مادة تلك الفترة.

- **المدائني، علي بن محمد:**

العلامة الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني، الإخباري، مولى عبد الرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي(١).

ولد في البصرة، ثم سكن المدائن، ولها نُسب، وانتقل عنها إلى بغداد وبقي فيها إلى وفاته وقد قارب المائة سنة من عمره(٢).

واختُلف في تاريخ وفاته، والأرجح أنه توفي في أول خلافة الواثق (٢٢٨ ـ ٢٣٢هـ)، وذلك لأن كتابه أخبار الخلفاء الكبير انتهى بذكر أخبار المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ)(٣).

كان عالماً بالفتوح والمغازي والشعر، ثقة ضبطاً عالي الإسناد، مصدقاً فيما ينقله، متفرداً عن غيره من أهل المغازي والسير بأخبار فتوح بلاد المشرق الإسلامي والعناية بها وتدوينها، فنجد له مثلاً

---

(١) انظر: الذهبي، السير: ١٠/٤٠٠؛ ابن النديم، الفهرست: ١٣٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام المعروف بتاريخ بغداد، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٥١٦/١٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م: ١٨٥٢.

(٢) ابن النديم، الفهرست: ١٣٠؛ البغدادي، تاريخ بغداد: ٥١٦/١٣؛ ياقوت، معجم الأدباء: ١٨٥٢.

(٣) فصّل عماد جوابرة الخلاف الواقع في تاريخ وفاة المدائني في رسالته الماجستير والموسومة بـ: علي بن محمد المدائني ودوره في كتابة التاريخ، جامعة النجاح، نابلس، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، غير منشورة: ١٣/١.

في الفتوح؛ كتاب فتوح خراسان وأخبار أمرائها، وكتاب نوادر قتيبة بن مسلم، وكتاب ولاية أسد بن عبد الله القسري، وكتاب ثغر الهند، وكتاب أعمال الهند، وكتاب سجستان، وكتاب فارس، وكتاب كرمان، وكتاب كابل وزابلستان، وكتاب فتوح جبال طبرستان، وكتاب فتح مكران، وكتاب فتوح جرجان وطبرستان، وجميعها في فتوح بلاد المشرق، ولكن مع الأسف أن كتبه لم يصل إلينا منها إلا ما روي في المصادر التي تلته. ويظهر لمن تتبع مرويات المدائني لأخبار الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي في كتب ومصادر التاريخ شغفه الخاص بتدوين أحداث الفتوحات ومتابعة تطوراتها العسكرية على مختلف جبهات القتال وخاصة الجبهة الشرقية.

واتبع المدائني المنهج الموضوعي في تناوله للأحداث والروايات التاريخية كشأن من سبقه من أهل المغازي والسير، وتعتبر مادة المدائني التاريخية ومروياته مصدرًا رئيسيًّا لكل من جاء بعده من المؤرخين، فهو شيخهم وعمدتهم وأوثقهم خبراً وأقلهم مطعناً، ويدل حجم الروايات التي نُقلت عنه على مقدار الثقة التي تمتع بها عند مؤرخي وإخباري وأدباء عصره والمتأخرين عنهم، نقل عنه عامة من جاء بعده من الإخباريين: كابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) فقد روى عن المدائني خمس روايات، رواية منها في معاوية ﷺ، وخليفة ابن خياط (ت: ٢٤٠هـ) أسند عن المدائني ثمان وسبعين رواية؛ اثنا عشر في العهد الأموي، منها رواية في خلافة سليمان بن عبد الملك وكانت بدون إسناد وتناولت غزوة يزيد بن المهلب لجرجان، وروى الزبير بن بكار (ت:٢٥٦هـ) عن المدائني ثمانٍ وثلاثين رواية؛ سبعاً وعشرون رواية منها في العهد الأموي، وروى البلاذري عن المدائني في فتوحه اثنين وخمسين موضعاً بسند منقطع، مستعملاً قال، وحدثني، وأخبرني، وروى ابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) عنه ثلاثمئة

رواية وسبعاً وخمسين، منها سبعين روايةً في أخبار الفتوحات، وروى عنه ابن أعثم في فتوحه، وغيرهم[١].

والملاحظ أن كثيراً ممن نقل عنه من أهل التاريخ والأخبار يكتفي بذكر روايته أو مجموعة من رواياته في خبر واحد مسندة إليه مقطوعة، وهذا دليل على أن كثيراً ممن نقلوا عنه أخذوا من كتبه ولم يرووا عنه روايةً، أو نقلوا ممن روى عنه، ونادراً ما كانوا يعتنون بنقل سنده كاملاً، وكأني بهم متعللين بقول أبي عاصم النبيل الضحاك بن مخلد (ت:٢١٤هـ) ـ لما حُدث برواية للمدائني إسنادها منقطع إليه ـ: "سبحان الله، أبو الحسن إسناد"[٢]، وفي هذا دلالة على عنايته بمادته التاريخية، والثقة بأخباره خاصة وأنه اعتمد منهج المحدثين في نقد الروايات والبحث عنها وتدوينها مما أكسبه ثقة من يأخذ عنه.

وقسم ابن النديم تصانيف المدائني إلى تسع مجموعات: الأولى: كتبه في أخبار النبي ﷺ، وعددها (٢٥) مصنفاً، والثانية: كتبه في أخبار قريش، وعددها (٣١) مصنفاً، والثالثة: كتبه في مناكح الأشراف وأخبار النساء، وعددها (٢١) مصنفاً، والرابعة: كتبه في أخبار الخلفاء، وعددها (٩) مصنفات، والخامسة: كتبه في الأحداث، وعددها (٢٧) مصنفاً، والسادسة: كتبه في الفتوح، وعددها (٣٩) مصنفاً، والسابعة: كتبه في أخبار العرب، وعددها (١٠) مصنفات، والثامنة: كتبه في أخبار

(١) انظر: فوزي محمد الساعاتي، موارد البلاذري في كتابه فتوح البلدان: ١٦١، رسالة دكتوراه من قسم التاريخ بجامعة أم القرى، غير منشورة؛ عماد جوابرة، علي بن محمد المدائني ودوره في كتابة التاريخ:.٣٨١، ٣٨٦، ٣٩٣.
(٢) البغدادي، تاريخ بغداد: ٥١٦/١٣.

الشعراء، وعددها (٣٢) مصنفاً، والتاسعة: كتبه المؤلفة في موضوعات شتى غير ما سبق ذكره، وعددها (٤٧) مصنفاً[١].

وجلّ هذه المصنفات لم تصل إلينا، ويمكننا من خلال التدقيق في عناوينها ووصفها بأن نستنتج أن معظمها لم يتعد الموضوع الواحد، وبعضها عبارة عن رسائل قصيرة، وهي تكشف لنا مدى اطلاع المدائني على أحداث عصره وقدرته على استخلاص الموضوعات والأحداث وترتيبها، وقد بقي لنا من المدائني اليوم كتابه المردفات من قريش[٢]، والتعازي[٣]، ومادة دسمة تزين كتب التاريخ استخلصها لنا الباحث عماد الجوابرة وجمعها في رسالته الموسومة بـ"علي بن محمد المدائني ودوره في كتابة التاريخ"[٤].

- **محمد بن سعد الزهري (ت: ٢٣٠هـ):**

ابن سعد، أبو عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الزهري، البصري مولداً ونشأة، البغدادي إقامة ووفاة، وأُختلف في ولائه، فقيل: في بني هاشم، وقيل: زهري الولاء.

---

(١) ابن النديم، الفهرست: ١٣٠؛ ياقوت، معجم الأدباء: ١٨٥٢؛ وزاد عليها عماد جوابرة ما ذكره غير ابن النديم والحموي في المعجم. انظر: عماد جوابرة، علي بن المدائني: ٤٤/١.

(٢) نوادر المخطوطات، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر مصطفى الحلبي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، م١. وانظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م: ٣٢٣/٤.

(٣) كتاب التعازي، علي بن محمد المدائني، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. وانظر: الزركلي، الأعلام: ٣٢٣/٤.

(٤) رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، غير منشورة.

ولد في البصرة عام (١٦٨هـ)، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة (٢٣٠هـ) عن اثنتين وستين سنة[١].

وكان صدوقاً، "كثير العلم كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب - في - الحديث والفقه والغريب"[٢]، "وصنّف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخالفين إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن"[٣].

وكتابه الطبقات متفرد في بابه، إذ لم يصلنا خبر مصنف قبله انتهج نهجه غير الواقدي شيخه، وقد ضمن ابن سعد كتاب أستاذه في كتابه وبنى عليه، فطبقات ابن سعد من أعظم ما صُنف في هذا الباب، وبها عُرف واشتهر، وهي أشمل وأكمل وأوسع من طبقات الواقدي، فقد جمع مادتها عن المحدثين والإخباريين والنسابة في عصره وفيما قبله، فجمع فيها نفَس المحدث مع نفَس الإخباري والنسابة، والمادة التي دونها فيها تدل على سعة علمه ومعرفته بالأنساب والرجال وأحوالهم، حتى قالوا: "من نظر في الطبقات خضع لعلمه"[٤].

وقد ابتدأ كتابه بذكر سيرة المصطفى ﷺ، ثم بدأ بسرد سير صحابته ﷺ مقسماً إياهم على خمس طبقات راعى في ترتيبهم الأسبقية إلى الإسلام وقربهم من النبيّ ﷺ نسباً ملحقاً بكل قومٍ

---

(١) انظر ترجمته في مقدمة الطبقات الكبرى: ١/١٠-١٦؛ جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م: ٢٥/٢٥٥-٢٥٨؛ الذهبي، السير: ١٠/٦٦٤.

(٢) الذهبي، السير: ١٠/٦٦٦.

(٣) البغدادي، تاريخ بغداد: ٣/٢٦٦.

(٤) الذهبي، السير: ١٠/٦٦٥؛ وانظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/٨م.

مواليهم، فبدأ بطبقة البدريين من المهاجرين والأنصار، ثم طبقة السابقين للإسلام ممن لم يشهدوا بدراً وشهدوا أحداً وما بعدها، وأدخل معهم مهاجرة الحبشة، ثم طبقة من شهد الخندق وما بعدها ومن أسلم فيما بين الخندق والفتح، ثم طبقة مسلمة الفتح وما بعده، ثم طبقة صغار الصحابة.

واستخدام التقسيم المكاني، فترجم لمن نزل مكة والطائف واليمن واليمامة، ومن سكن الكوفة والبصرة، والشام والجزيرة ومصر من صحابة رسول الله ﷺ ومن التابعين وأتباعهم، ورتبهم في طبقات، والطبقة في العادة تساوي جيلاً، وتعادل عند ابن سعد عشرين سنة تقريباً، وأفرد جزءاً في أخر كتابه لتراجم النساء، وقد راعى ابن سعد التداخل الزماني والمكاني في كتابه، لذا نجده يكرر ذكر بعض التراجم، فيبسط الترجمة في موطن ويوجزها في الأخر[1].

وقد انتهج ابن سعد في طبقاته نهج المحدثين في الأعم الأغلب من رواياته، إذ اعتنى بذكر إسناد كلِ خبرٍ يورده، واستخدم الإسناد الجمعي مبتغيا بذلك الإيجاز إذا كثرت الروايات وتشابهت، وإن كان يغلب على مروياته الإسناد المفرد، وتنوّعت مروياته ما بين أسانيد موقوفة أو مرسلة أو مقطوعة أو بلاغات، وليس له تعليقات كثيرة، إذ اعتمد على نقل الروايات وسردها وترتيبها، وقليلاً ما نجد له تصحيحاً أو تضعيفاً أو تعليقاً أو نقداً أو ترجيحاً.

"غير أن طبقات ابن سعد، مع ذلك كله، مصدر هام عند ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق، ومصدر هام في تاريخ الإسلام للذهبي، وفي تجريد أسماء الصحابة، وسير أعلام النبلاء، ومعتمد في الإصابة، وتهذيب التهذيب لابن حجر، وينقل عنه ابن كثير في تاريخه، ويصرح ابن تغري

---

(١) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ١/٨م.

بردي بقوله: ونقلنا عنه كثيراً في هذا الكتاب ـ أي كتاب النجوم الزاهرة ـ، وكذلك كان مرجعاً لمن كتبوا في السيرة من المتأخرين كالمقريزي في إمتاع الأسماع، ولكثير من الكتب في الرجال"[١].

ونستطيع أن نقول إن طبقات ابن سعد تحوي في طياتها دلالات عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في أمصار دولة الخلافة المختلفة، ويستطيع المتتبع لتراجم الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم أن يخرج بمادة دسمة لحركة الفتح والهجرة في بلاد المشرق، ولأحوال الموالي في دولة الخلافة الأموية.

- **خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت: ٢٤٠هـ)**

الامام الحافظ العلامة أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة الليثي العصفري[٢] البصري، الشيباني، الملقب بشبّاب[٣].

ولد في البصرة سنة (١٦٠هـ)، ونشأ في بيت علم، فقد كان جده لأبيه أبو هبيرة خليفة بن خياط من أهل الحديث، وثقه يحيي بن معين، وترجم له حفيده في كتابه الطبقات، وهو من رواة الحديث، وروى عنه ابنه خياط، وعنه ابنه خليفة في سند متصل من الحفيد إلى الجد، وفي هذا البيت نشأ مؤرخنا، فكان "مستقيم الحديث، صدوق، من متيقظي رواة الحديث"[٤].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م: ١٢/١.

(٢) نسبة إلى العُصفُر بيعه وشرائه، وهي مادة تصبغ بها الثياب. انظر: عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م: ٣١٥/٩-٣١٦.

(٣) انظر: الذهبي، السير: أعلام النبلاء: ٤٧٢/١١-٤٧٣؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٥هـ: ١٦٠/٣.

(٤) الذهبي، السير: ٤٧٣/١١؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١٦١/٣. وانظر: ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد=

وقد نال ابن خياط ثقة المحدثين المعاصرين والمتأخرين، وبذلك امتاز على كثيرٍ من المؤرخين، إذ وثقه البخاري وروى عنه في صحيحه، كما وثقه أئمة الجرح والتعديل أمثال يحيي بن معين وعلي بن المديني وابن عدي الجرجاني وابن حبان البستي، وقال الحافظ الذهبي: "كان صدوقاً نسابةً عالماً بالسير ولأيام والرجال، وثقه بعضهم، ولينه بعضهم بلا حجة"[(١)].

كان من وجهاء مدينته وأكملهم عقلاً، ذكر وكيع أن بعض المعتزلة بالبصرة رفعوا شكوى على قاضيها أحمد بن رياح[(٢)]، فأُمر القاضي بالشخوص، وشخص معه وجوه أهل البصرة ومنهم ابن خياط، وهذه الحادثة تدلنا بعض سمات شخصية ابن خياط ومكانته الاجتماعية في البصرة، فهو من علية القوم الذين صحبوا القاضي في سفره، وتبين لنا سلامة عقيدته من فتنة الاعتزال التي عصفت بالأمة وقتها إضافة إلى قوته في الحق وثباته، ودليل ذلك وقوفه وشهادته إلى جانب قاضي البصرة على الرغم من معرفته بقوة المعتزلة سياسياً وشدة بطشهم بخصومهم[(٣)].

اشتهر ابن خياط بكتابيه التاريخ والطبقات، وقد عني بالإسناد في تاريخه وأهمله في طبقاته، ويعتبر كتابه التاريخ أقدم كتاب تاريخي حولي يصل إلينا، حيث فقدت كتب الحوليات التي أُلفت

== الرازي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م: ٣٧٨/٣، ٤٠٥؛ خليفة بن خياط، كتاب الطبقات، ت: أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م: ٢٢٢.

(١) الذهبي، السير: ٤٧٣/١١. وانظر: ابن خياط، تاريخه: ٨-١١.

(٢) تولى القضاء في البصرة عام ٢٢٣هـ بعد وفاة قاضيها الحسن بن عبد الله العنبري، ثم جمع الصلاة والمظالم للقضاء. انظر: وكيع محمد بن خلف بن حيّان، أخبار القضاة، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م: ١٧٥/٢.

(٣) انظر: وكيع، أخبار القضاة: ١٧٥/٢.

قبله، وعلى الرغم من إيجازه يستطيع القارئ أن يرصد من خلاله حركة الفتوح الإسلامية بعيداً عن الحشو والمبالغة[1].

استهل ابن خياط تاريخه بالحديث عن وضع التأريخ، وأفرد موضوعاً لمولد النبي ﷺ، ثم أرخ للفترة الممتدة من العام الأول من هجرة النبي ﷺ حتى عام (٢٣٢هـ)، فحوى تأريخاً لمئتين واثنين وثلاثين سنة من العصر الإسلامي، وتغلب مادة العهد الأموي على كتابه، إذ يقع كتابه في أربعمئة وإحدى وثلاثين صفحة يشغل العهد الأموي مئتي صفحة منها، تظهر فيها دقته وحسن انتقاءه واهتمامه بذكر أسماء الشهداء في المعارك والغزوات وقتلى الفتن الداخلية في الدولة الإسلامية، إضافة إلى سرده لأسماء ولاة الأقاليم والقضاة وموظفي كل خليفة من خلفاء المسلمين عند نهاية عهده، فجمع مادة تاريخية فيها من الجدة ما جعل من كتابه مصدراً مهماً لمن جاء بعده من أهل التاريخ والأخبار.

وطريقته في السرد التاريخي متأثرة كثيراً بكونه محدثاً، فهو يهتم بالإسناد خاصة إذا تعلق الخبر بأحداث عظيمة كفتنة مقتل عثمان ﷺ وغيرها من الفتن التي عصفت بالأمة في القرن الأول بسبب كثرة مرويات أهل الأهواء وكلامهم فيها، ويهمله في غير ذلك، وأورد مادة واسعة دون إسناد كأسماء موظفي الدواوين وسني وفيات الخلفاء والأمراء والعلماء ومواضعها، وغيرها من الأخبار التي اهتم بذكرها في نهاية كل عام.

ويلاحظ المتتبع لأنباء الفتوح اهتمام خليفة بن خياط بأخبارها، مما يُظهر اهتمامه بها وإعجابه بالفتوحات التي تحققت في عهد خلفاء بني أمية، إذ كان يهتم بمتابعة وسرد تطورات الموقف

---

(١) انظر: ابن النديم، الفهرست: ٢٨٣.

العسكري الإسلامي على جبهات القتال سنة بسنة ويوردها بإيجاز، ولا يلتفت إلى التفصيل فيها وتحليلها، بل يكتفي بعرضها كما وصلته.

وابن خياط من المؤرخين الذين تناولوا سيرة خلفاء بني أمية بقدرٍ عال من الموضوعية والتجرد، حيث حرص على البعد عن استخدام عبارات التجريح والتشهير بحق الخلفاء وولاتهم أو التقليل من شأنهم والنيل من مكانتهم، وكان يسميهم بلفظ الإمارة والخلافة دون أن ينكر المرويات التي صحت عنده عن مثالب بعضهم.

- **البلاذري، أحمد بن يحيي (ت:٢٧٩هـ)**

أبو جعفر، أحمد بن يحيي بن جابر بن داود البلاذري البغدادي الكاتب، عربي النسب، ولد في آخر العقد التاسع من القرن الثاني الهجري ببغداد على الأرجح، وتوفي سنة (٢٧٩هـ)[١].

واشتهر بالبلاذري لكثرة تناوله إياه للحفظ، ويذكر ابن النديم أن ذلك أفسد عقله حتى أُدخل البيمارستان وشُدّ فيه إلى أن مات، ويقال: بل كان جده جابر بن داود هو من نسب إلى حب البلاذر، وهو الأظهر[٢].

عاش البلاذري جُلّ حياته في بغداد وتتلمذ على يد شيوخها، من أبرزهم المدائني علي بن

---

(١) انظر: ابن النديم، الفهرست: ١٤٢؛ ياقوت، معجم الأدباء: ٢/٥٣٠-٥٣٥؛ محمد جاسم المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م:

(٢) البلاذر: شجرة تنبت في الهند، ويستخدم ثمرها وعصيره لتقوية الذاكرة والأعصاب. داود الأنطاكي، تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، القاهرة، ط١٩٥٢م: ٨٣/١. وانظر: ابن النديم، الفهرست: ١٤٢؛ ياقوت، معجم الأدباء: ٢/٥٣٠-٥٣٥.

محمد إذ روى عنه أكثر مروياته عن التاريخ الأموي، ووكيع بن جراح (ت:١٩٧هـ)، والواقدي، وعبد الله بن صالح العجلي (ت:٢١٧هـ)، والحسين بن الأسود (ت:٢٥٤هـ)، وغيرهم من أهل السير والمغازي والفتوح ولو تتبعنا شيوخ البلاذري لوجدنا فيهم كثيراً ممن له عناية بعلم الحديث كشيخ المحدثين يحيي بن معين (ت:٢٣٣هـ)، وقد ظهر أثرهم جلياً في منهج وطريقة البلاذري في التدوين، فنجد له اهتماما كبيرًا بالسند إذ أن أغلب مروياته عن الفتوح المشرقية مسندة، وإن كان يستخدم في أحايين كثيرة الإسناد الجمعي كغيره من مؤرخي وقته، ويلاحظ الباحث ذلك من بداية كتابه الفتوح، فقد استفتحه بقوله: "أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان ـ سُقت حديثهم واختصرته ورددت بعضه على بعض ـ ..." [١].

ومن أشهر آثاره العلمية وكتبه كتاب أنساب الأشراف، وكتاب فتوح البلدان، وكتاب البلدان الكبير، والصغير، ولم يتمه، وكتاب في الرد على الشعوبية، وترجم كتاب عهد أردشير من الفارسية للعربية ونقله شعراً[٢].

وربما كان لمعرفة البلاذري باللغة الفارسية إذ كان أحد النقلة من اللسان الفارسي للسان العربي ـ كما ذكر ابن النديم وأشار إلى ترجمته للكتاب ـ حجة لمن نسبه للفرس، وهو دليل لا يقوم على حجة فمعرفة لغةٍ ما والبراعة فيها لا تقتضي بالضرورة أن يكون مجيدها من أهلها، ونسبته للعرب أرجح وذلك لعدة أمور: معرفة البلاذري وعلمه بأنساب العرب وحرصه على تدوينها وجمعها، وكتابه

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان: ١٧.

(٢) انظر: ابن النديم، الفهرست: ١٤٣؛ ياقوت، معجم الأدباء: ٥٣٤/٢؛ وجاء ذكر كتابه في الرد على الشعوبية عند علي بن الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م: ٤٢/٢-٤٣.

الأنساب خير دليل على ذلك، وتدوينه كتاباً في الرد على الشعوبية، إذ نفهم من هذا الكتاب نزعة البلاذري للعرب، فهو عربي النسب والهوى.

ويُعدّ البلاذري مؤرخاً جامعاً من أبرز مؤرخي القرن الثالث الهجري الذين حلَّت مصنفاتهم محل مصادرها، وقد أشاد المؤرخون بمكانته الأدبية والتاريخية، ويكفينا في هذا الباب ما قاله ياقوت في معجم الأدباء: "وكان عالماً فاضلاً شاعراً راويةً نسابةً متقناً"، وما نقله عن ابن عساكر أن البلاذري كان أديباً راوية له كتب جياد[(١)].

وكتابه الفتوح من أفضل ما صُنِّف في بابه، " ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه"[(٢)]، على الرغم من كثرت التصنيف في هذا الموضوع وذلك لضياع معظم تصانيف الفتوح التي سبقته، وقد أورد لنا ابن النديم أسماءً لعدد منها، كفتوح أرمينية وفتوح الأهواز لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت:٢١٠هـ)، وكتاب الفتوح لابن أبي شيبة (ت:٢٣٧هـ)، وغيرها[(٣)].

اعتمد البلاذري المنهج الموضوعي في كتابه الفتوح، فيبسط لنا مادته على شكل موضوعات، بحيث تشكل كل وحدة جغرافية موضوعاً مستقلاً، فنجد مثلاً فتح سجستان وكابل، فتح خراسان، فتوح السند، وهكذا دواليك، وختم كتابه بموضوعات مالية وإدارية متعلقة بالفتوح، فنجد أحكام الأراضي والخراج، والختم أو الخاتم، والنقود والكتَّاب، ورتب البلدان ترتيباً جغرافياً، بحيث جعل من

---

(١) انظر: ياقوت، معجم الأدباء: ٥٣١/٢، ٥٣٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١٢/١؛ وانظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التواريخ، ت: سالم الظفيري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م: ٤٤٦.

(٣) انظر: ابن النديم، الفهرست: ٧٧، ٢٨١.

جزيرة العرب واسطة العقد، فبدأ بها، فبلاد الشام وأرمينية، ثم مصر والمغرب والأندلس، ثم فتوح العراق وفارس، واتبعها بفتوح خراسان وما وراء النهر، فالسند.

وتشكل المرويات مادة كتابه، ونستطيع أن نلخص عمله في كتابه بترتيب المرويات حسب الموقع الجغرافي مراعياً تسلسلها التاريخي كما يراها إلى عصره بدون تحديد تاريخ وقوع الحدث، ويقع على عاتق القارئ استنتاج فترة وقوعه وفي عهد أي خليفة وقع.

اهتم البلاذري بالإسناد، واستخدم الإسناد الجمعي في كثير من مرويات كتابه، ولم يكن يحرص على تسمية رجال أسانيده، وكثيراً ما يروي عن مجاهيل، ومن عادته أن يدخل رواية بإسنادها في رواية أخرى بقوله حدثني أو أخبرني ثم يرجع إلى روايته الأولى معتمداً على الاسناد الأول بقوله "قالوا أو قال"، وله وقفات نقدية تجاه مصادره سواء كانت المدونة أو الشفوية، وكثيراً ما نجد له ترجيحاً أو نقداً أو تعليقاً على بعض الروايات، بعبارات مختصرة، كقوله: "والخبر الأول أثبت"، "واستشهاده أثبت"، "والثبت عندهم"، "وليس ذلك بثبت"، "والخبر الأول أصح"، "ورواية الواقدي أثبت"، ونحوها، وهو بهذا يرجح روايات على أخرى[١].

ومن الشواهد الدالة على صدقه ودقته، وضبطه للإسناد، وموضوعيته قوله: "وقد روي ذلك ولا أدري من أين جاء به من رواه"، و"حدثني هشام بن عمار في إسناد له لم أحفظه"، أما الروايات التي لم يستطع الجزم بصحتها فإنه لا يقول فيها قولاً نهائياً، ويكتفي بقوله: "والله أعلم"[٢].

---

(١) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ٩٤، ١١٩، ١٢٥، ١٤١، ١٨٢، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٣٠.

(٢) انظر: البلاذري، فتوح البلدان: ١٢٩، ١٤٨، ١٦٨، ٢٤٧، ٣٨٠.

إن نقد البلاذري لمصادر رواياته يدل على رجاحة عقليته التاريخية وعلو ملكة النقد التاريخي عنده، وتمتعه بخلفية عميقة للفهم التاريخي مكّنته من قبول بعض الروايات ورفض البعض الآخر. إن اهتمام البلاذري بهذا الجانب يبين لنا أهمية كتابه من جهة، ومنهجيته وعدالته وضبطه من جهة أخرى.

ويحوي كتابه ثلاثة وأربعون رواية في فتوح بلاد المشرق في العهد الأموي، أربعة منها في فتح قزوين، وثمانية في فتح جرجان وطبرستان ونواحيها، ورواية في سبي الزط، وخمس روايات في فتح سجستان وكابل، وخمسة عشر رواية في فتح خراسان، وعشر روايات في فتح السند.

- **اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ت:٢٨٤هـ)**

أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، مولى بني هاشم، مؤرخ جغرافي كثير الأسفار، من أهل بغداد، كان جده من موالي المنصور العباسي، عمل كاتباً في الدواوين العباسية، رحل إلى المغرب، وأقام مدة في أرمينية، ودخل الهند.

صنف كتبًا جيدة منها: كتاب في أسماء البلدان ويعتبر من أقدم الكتب في بابه، وكتاب أخبار الأمم السابقة، وكتاب مشاكلة الناس لزمانهم، واشتهر بكتابه التاريخ(١).

ويعتبر تاريخ اليعقوبي من أول كتب التاريخ العام، إذ قسمه إلى كتابين، بدأ كتابه الأول من بدء الخليقة من آدم عليه السلام وذريته، ثم ساق قصص الأنبياء من بعده على الترتيب المعلوم، وغلبت الإسرائيليات على مادته في هذ الجانب، ثم عرض أخبار ملوك السريانيين والبابليين والهنود والروم

---

(١) انظر: ياقوت، معجم الأدباء: ٥٥٧/٢؛ الزركلي، الأعلام: ٩٥/١.

والفرس والصين وممالك السودان والحبشة وغيرهم من أهل الممالك الغابرة، وعرض تاريخ العصر الجاهلي كمقدمة للتاريخ الإسلامي، فتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام وعرض لنا دياناتهم، وذكر أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وبدأ الكتاب الثاني من مولد النبي ﷺ وسرد لنا سيرته بإيجاز، ثم سرد لنا أخبار دولة الإسلام على حسب توالي خلفائها من الصديق رضي الله عنه حتى أيام المعتمد العباسي.

وقد ذكر لنا اليعقوبي مصادره وطريقته في كتابه بقوله: "ألفنا كتابنا على ما رواه الأشياخ المتقدمون من العلماء والرواة وأصحاب السير والأخبار والتأريخات، ....، لكنّا قد ذهبنا إلى جمع المقالات والروايات، لأنّا قد وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال، وزاد بعضهم ونقص بعض، فأردنا أن نجمع ما انتهى إلينا مما جاء به كل امرئ منهم ... وأبتدئ كتابنا هذا من مولد رسول الله وخبره.. وأخبار الخلفاء بعده وسيرة خليفة بعد خليفة وفتوحه، وما كان منه وعُمل به في أيامه وسني ولايته"، ثم سرد بعض رواته من الاخباريين والمنجمين، وذكر اختصاره للمرويات وحذفه للأشعار[1].

ويظهر لنا من قوله أن منهجه قائمٌ على الانتقاء لا النقل، إذ اختار ما وافق نظره وهواه بعناية، وحرص على حذف الأسانيد، فكتابه خالٍ منها إلاّ ما ندر، وأخباره في الفتوح مقتضبة، ورتب كتابه حسب الموضوعات مراعياً التسلسل التاريخي لوقوعها، وجاءت أخبار الخلافة الأموية في تاريخ اليعقوبي في تسع وأربعون صفحة، بدأها بقوله: "وملك معاوية بن أبي سفيان.." [2].

---

(١) انظر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م: ٣/٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٥٠/٢.

يعتبر اليعقوبي من مؤرخي الشيعة الإمامية، فهو لا يعترف إلاّ بخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبنائه، ولماّ أرّخ للشيخين وعثمان رضي الله عنهم نزع عنهم لقب الخلافة، ولم يترك أحدًا من كبار الصحابة إلاّ وطعن فيه، فطعن في الشيخين وعثمان وعائشة ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ، فكتابه يطفح بعقائد الرافضة الإمامية خاصة في فترة الخلفاء الراشدين، والمتتبع لأخبار الخلفاء في كتابه يلحظ ميله لبني العباس، إذ أسبغ عليهم حلة الخلافة ونعت دولتهم بالدولة الهاشمية المباركة، بعكس صنيعه عند ذكر خلفاء بني أمية فإنه ينعتهم بالملوك، ويسميهم بأسمائهم مجردة، وينفي عنهم صفة الخلافة، إذ لا يعترف بغير خلافة الحسن وأباه رضي الله عنهما[١].

- **الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)**

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر الطبري، ولد بآمل بطبرستان عام (٢٢٤هـ)، طلب العلم بعد عام (٢٤٠هـ)، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته[٢].

" وكان أحد أئمة العلماء: يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم"[٣].

---

(١) انظر: أحمد بن إسحاق اليعقوبي، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ: ١/١٣٧؛ اليعقوبي، تاريخه: ٢/٢١٠.

(٢) انظر: ابن النديم، الفهرست: ٢٨٧؛ البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/٥٤٨؛ الذهبي، السير: ١٤/٢٦٧، ٢٧٠.

(٣) البغدادي، تاريخ بغداد: ٢/٥٤٨.

كان غزير التصنيف، "وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه، وله في القراءات وأصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه"(١).

وكتابه التاريخ من أجمع كتب التاريخ العام وأوسعها مادة، وهو عمدة في بابه، بدأه بخبر الكون والزمان، ثم بداية الخليقة من لدن آدم عليه السلام، وسرد لنا قصص الأنبياء، وعرض تاريخ بني إسرائيل من قصص أنبيائهم، وجمع معلومات واسعة في تاريخ الفرس، وعرض لنا تاريخ الروم في العراق والشام والجزيرة العربية وتاريخ العرب قبل الإسلام، ثم سرد لنا سيرة النبي ﷺ وأيامه ومغازيه وسير خلفاءه من بعده، ابتداءً من السنة الأولى للهجرة وانتهاءً بعام (٣٠٢هـ)، ويعتبر كتابه من كتب الحوليات، إذ رتب مادته من هجرة النبي ﷺ وحتى نهاية كتابه حسب السنين والأعوام، وكان يترجم لكل خليفة في سنة وفاته، ويورد الأخبار العامة المتصلة به وبعصره كعماله وقضاته، أما الفترات السابقة للإسلام فقد قسمها حسب المواضيع.

واستوعب الطبري في تاريخه غالب المؤلفات التي سبقته وجمعها فيه، وحفظ لنا في ثناياه مادة كثير من الرسائل والمصنفات المبكرة المفقودة، فهي مادة كتابه، فنقل لنا مادة أبي مخنف (ت:١٥٧هـ) وعلي بن المدائني وغيرهم في فتوح بلاد المشرق، ومما يميزه أنه نقلها لنا كما هي، وأثبت ذلك في مقدمة مصنفه بقوله: "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أُتي من قبلِ بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"(٢).

---

(١) البغدادي، تاريخ بغداد: ٥٤٨/٢؛ الذهبي، السير: ٣٧٣/١٤-٣٧٤.

(٢) الطبري، تاريخه: ١٣/١.

ويتميز الطبري باهتمامه وحرصه على إثبات أسانيد الروايات التي ينقلها، وإن كان لا يشترط في أسانيده الاتصال والصحة والسلامة من العلل، بل يوردها على علتها، وتوسع في رواياته عن المتروكين والضعفاء وأهل الأهواء، ولا يلزم من إيراده رواياتهم موافقته لها، بل ترك الأمر للقارئ، "وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا".

- **ابن أعثم، محمد بن علي الكوفي (ت: ٣١٤هـ)**

أبو محمد، أحمد بن أعثم بن نذير بن حباب بن كعب بن حبيب الأزدي الكوفي، إخباريٌ شيعي، ضعفه أصحاب الحديث، له كتاب في الفتوح وكتاب في التاريخ(١).

بدأ ابن أعثم كتابه الفتوح بخبر سقيفة بني ساعدة وخلافة الصديق ﷺ، وانتهى بنهاية خبر بابك الخرمي عام (٢٢٣هـ) أيام خلافة المعتصم العباسي.

واتبع ابن أعثم المنهج الموضوعي في ترتيب كتابه، واستقى مادته من مرويات ومصنفات مَن سبقوه، ثم قام بتنظيمها وترتيبها وأخرجها لنا بأسلوب قصصي مترابط، وساعده على ذلك ايراده للأسانيد بتساهل، إذ لم يكن يحرص على ذكرها كثيراً، ويدل على ذلك قوله في فتوحه: "وغير هؤلاءً ذكروا هذا الحديث سراً وعلانية، وقد جمعت ما سمعت من رواياتهم على اختلاف لغاتهم فألفته حديثاً واحداً على نسق واحد"(٢)، وكأنه انتهج نهج اليعقوبي في ذلك.

---

(١) انظر: حمزة بن يوسف السهمي، تاريخ جرجان، عالم الكتب، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٨١؛ ياقوت، معجم الأدباء: ٢٠٢/١.

(٢) أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ت: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١١هـ: ١٤٩/١.

وأورد لنا ابن أعثم إحدى وعشرين رواية عن فترة الخلافة الأموية، كان منها رواية واحدة بإسناد متصل، وجاءت بقية الروايات بأسانيد منقطعة، ولم يقتصر كتابه على حركة الفتوح فقط، بل نجده يسرد لنا أخباراً وروايات عن الأحوال السياسية والحركات المناوئة لدولة الخلافة الأموية وأخبار الخوارج، ونلحظ في سرده لمادته حرصه على التسلسل التاريخي للأحداث، فكأنه جمع لنا بين المنهج الموضوعي والمنهج الحولي في كتابه غير أنه لا يُعنى بذكر تواريخ الوقائع والأحداث إلاّ في نطاق محدود كوفيات الخلفاء.

ويلاحظ القارئ للفتوح قلة أخبار الفتوح الأموية فيه، إذ اختص بذكر فتوح خراسان وبلاد ما وراء النهر، وفتوح أرمينية وأذربيجان، وشيء من فتوح الروم، ولم يتطرق ولو بإشارة إلى فتح السند والأندلس، وغلبت أخبار فتنة مقتل الحسين ﷺ، والحركات المناوئة الخارجة على سلطان الخلافة الأموية على مادة الكتاب.

**** **** ****

المبحث الثاني

أثر التوجهات السياسية والعقدية

في تدوين مرويات فتوح بلاد المشرق في العهد الأُموي

امتد حكم خلفاء بني أمية لدولة الإسلام قرناً إلاّ بضع سنين (٤١-١٣٢هـ)، حملوا خلالها إرث الخلافة الراشدة، وساروا على نهجها، فجمع الله بهم أمة الإسلام بعد فرقة واختلاف، وقمع بهم أهل البدع والأهواء، وأغاظ بهم الكفر وأهله، وسخرهم لحمل لوائه إلى مشارق الأرض ومغاربها، فاتسعت رقعة بلاد الإسلام في عهدهم من حدود الصين شرقاً، إلى شاطئ المحيط الأطلسي غرباً، وعبروا المتوسط إلى قارة أوربا ففتحوا بلاد الأندلس حتى جنوب بلاد الغال، وطرقت خيولهم أبواب القسطنطينية عاصمة الروم البيزنطية، وكانوا سبباً في تحرير الشعوب من نير الشرك والكفر، فعلموهم الإسلام وأقرأوهم القرآن، وعمروا بهم البلاد، فخطوا المدن ومصروا الأمصار وبنوا المساجد واعتنوا بأحوال الخلق، وتولوا شؤنهم فأحسنوا فيهم السيرة.

والمتأمل في نصوص تاريخ دولة بني أمية المتناثرة في كتب التاريخ والتراث يجد فيها تاريخاً ناصعاً لكن لطخته فعال قبائح مزعومة هنا وهناك يستنكرها العقل السليم وتميل النفس إلى تكذيبها،

إذ ليس لها سند صحيح، ومعظمها مجهول المصدر، ولأن "الفكرة الفاسدة كاللقمة الفاسدة تماماً، فالأولى لا يستسيغها العقل والثانية تتقزز منها النفس"(١).

ومما يلفت الانتباه أن هذه الطعونات لا تختص بهم، بل هي عامة في أخبار أمة الإسلام، فنجد من طعن بالنبي ﷺ وتقوّل عليه الأقاويل، وطال طعنهم زوجاته أمهات المؤمنين وصحابته حملة هذا الدين، وخلفاء الأمة وقادتهم ورجالهم المبرزين على امتداد أيام وسنين تاريخ الإسلام وحتى يومنا هذا، فكأنه أمر مقصود ومنهج متبع يحتاج من الدارس الفطن أن يتتبع أسبابه ويعرف المراد منه، ولذلك قال ابن خلدون ـ لما ذكر سبب اعتماده على تاريخ الطبري ـ: "فإنه أوثق ما رأيناه في ذلك، وأبعد من المطاعن عن الشبه في كبار الأمة من خيارهم وعدولهم من الصحابة ﷺ والتابعين، فكثيراً ما يوجد في كلام المؤرخين أخبار فيها مطاعن وشبه في حقهم أكثرها من أهل الاهواء "(٢).

لقد أصاب تاريخ بني أمية الكثير من التشويه، حتى أصبح الكثير من الناس يظنون أن الإسلام لم يطبق إلاّ في العهد النبوي والراشدي، وقد طعن بهذا العهد جهات متعددة، طعن به خصومهم السياسيون من بني العباس ـ حيث دون التاريخ في أيامهم ـ، وطعن به أعداؤهم التقليديون من الفرس الشعوبيين والشيعة والخوارج الذين ذاقوا على أيديهم أعنف الضربات ـ وبصماتهم في تدوين التاريخ بيّنة واضحة ـ، وطعن به أيضاً بعض المسلمين الذين هالهم انتقال الحكم من شورى في عهد الخلفاء الراشدين إلى توريث وولاية عهد أيام الأمويين، وصعب عليهم ما أصاب آل البيت من نكبات، وما حلّ بالبيت الحرام من أذى، وما لحق بآل الزبير من مصائب، وما كان من استباحة

---

(١) إبراهيم شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، مطبعة دار التأليف، ط٤، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م: ٧.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م: ٢/٦٥٠

المدينة يوم الحرة، وطعن بتاريخهم العوام الذين لا يعرفون من التاريخ إلاّ ما تناقلته الألسن وشاع بين الناس، وما تداولته الأيدي من كتب ـ الله أعلم بواضعيهاـ، وقد استغل خصوم بني أمية هذه الأحداث التي وقعت في عهدهم وبعض الحوادث السالفة لعصرهم فشوهوا تاريخهم بشكل عام، واتخذت الافتراءات على بني أمية أشكالاً مختلفة، منها:

- إشاعة الأخبار الكاذبة ضد خلفاء بني أمية، خاصة من حكم لمدة قصيرة فلم تتهيأ له الفرصة للقيام بأعمال جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين، أو عرفوا بالضعف كيزيد بن معاوية، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، وابنيه يزيد وإبراهيم.
- تسليط الأضواء على الأحداث التاريخية التي تضع من مكانة بني أمية، مثل تأخرهم في اعتناق الإسلام، وقيادتهم قريشاً والأحزاب للوقوف في وجه الدعوة، وعمدوا إلى إغفال دور الأمويين الذي قاموا به بعد الإسلام، في الفتوحات وقيادة الجيوش وكل ما يمت إلى رفع مكانتهم.
- تسليط الأضواء على النكبات التي حدثت في عهد الأمويين مثل فاجعة كربلاء ومقتل الحسين ﷺ، ووقعة الحرة واستباحة المدينة المنورة، وحصار مكة ورمي الكعبة بالمنجنيق، ومقتل عبد الله بن الزبير ﷺ، وثورة زيد بن علي بن الحسين ومقتله، فاتهم بها بنو أمية دون غيرهم، وأغفلت جوانب الخطأ التي وقعت من الخروج على الحاكم وتفرقة المسلمين.
- تسليط الأضواء على بعض الأمور التي تقع أثناء ضعف النفس البشرية من بعض الرجال، وإغفال كل جوانب الخير، وأعمال المجد والتضحية، وبعضهم من سادات الصحابة كعثمان بن عفان ﷺ، وأبو موسى الأشعري ﷺ، وعمرو بن العاص ﷺ، والمغيرة بن شعبة ﷺ.

- استخدام الشعر لدس وبث كذبهم وسمومهم، فوضعت قصائد على ألسن شعراء معينين كدليل وبرهان على فساد خلفاء بني وأمية والمجتمع في عهدهم(١).

لقد ظلم بعض الكتّاب بني أمية ظلماً كثيراً إذ طمسوا فضائلهم وجليل أعمالهم، وتوسعوا في ذكر السلبيات وافتراء الكذب عليهم، فنسبوا لهم ما لم يكن منهم، واختلقوا حوادث لم تقع في أيامهم، وقد ساعد على قبول الناس مثل هذه الروايات تأخر أكثر من بني أمية عن قبول دعوة الإسلام، بل واختيار أكثرهم الوقوف في الصف المعادي تماماً للدعوة، فجيشوا الجيوش وحزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وساعد في إظهار معايب بني أمية الخلاف الذي جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ـ وقد اجتهد كل منهما لمصلحة المسلمين ـ، وساعد على قبول هذه الروايات النكبات التي حلّت بآل البيت، وبخاصة حادثة كربلاء واستشهاد الحسين رضي الله عنه، وشدة بعض ولاة بني أمية أمثال زياد بن أبيه على الرعية الذي أخضع الكوفة والبصرة وما حولهما، والحجاج بن يوسف الثقفي الذي تعسف في إمارته لتوطيد سلطان بني أمية، وضربت به الأمثلة في الظلم، وسفك الدماء.

ومن أهم الانتقادات التي وجهت إلى بني أمية اغتصابهم الخلافة وجعلها وراثية، وقسوة الولاة، والمصائب التي حلّت بآل البيت، وانتشار اللهو والفساد في عصرهم، فغالى أعداؤهم فيها مغالاة كبيرة، وأغفلوا عن ذكر فضائلهم، فمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كان صحابياً جليلاً ـ والصحابة كلهم عدول ـ، وإن اجتهد في بعض القضايا ولم يوفق في الاجتهاد ولم يحالفه التوفيق في النتائج إلاّ أنه يبقى صحابياً عدلاً، ومروان بن الحكم كان من الطبقة الأولى من التابعين، وقد روى الحديث عن

---

(١) انظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٧، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ٣٨/٤-٣٩.

عمر بن الخطاب وعن عثمان بن عفان ﷺ، وعبد الملك بن مروان من فقهاء أهل المدينة، وكان سليمان بن عبد الملك تقياً فصيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو، وأمّا عمر بن عبد العزيز فهو من أئمة الاجتهاد[١].

ومن فضائلهم الفتوحات الواسعة التي تمّت على أيديهم، ولم تكن الفتوحات لتتم على أيدي القادة والخلفاء وهم ينعمون وأبناؤهم بحياة البذخ في القصور، بل كانوا يرسلون أبناءهم إلى الجهاد، فقد أرسل معاوية ﷺ ابنه يزيد على رأس جيش لحصار القسطنطينية، وأرسل عبد الملك ابنه الوليد مرات للغزو في بلاد الروم، وكان ابنه الثاني مسلمة قائد جبهة الروم، وغزواته أكثر من أن تُعد، وأولاد الوليد بن عبد الملك يقودون الغزو في بلاد الروم، أمّا هشام بن عبد الملك فقد كان يفرض الغزو على بني مروان جميعاً، ومن يتأخر منهم يمنع عنه العطاء، وكان أولاده في مقدمة الغزاة، وأمّا مروان آخر خلفائهم فكان يقود الجيوش بنفسه، وعرف بصبره وشدة بأسه حتى لُقب بالحمار[٢].

إن المتتبع لبدايات الوقيعة في رموز الأمة وسادتها يجد ليد يهود الخبيثة متمثلة في عبد الله بن سبأ دورًا عظيمًا، إذ ارتبط اسمه بفتنة مقتل عثمان ﷺ وتأليب الناس على خليفة المسلمين، فبعد أن تلبس بالإسلام بغرض تحريفه يبدأ بالحجاز ينفث سمه فيها، فلا يجد فيها أذنًا، فالقوم قريبو عهد برسول الله ﷺ، وصحابته يسيرون بينهم، فتركها إلى البصرة، وهناك "اجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح، فقبلوا منه واستعظموه"[٣]، وبلغ خبره إلى أميرها عبد الله بن عامر (ت:٥٨هـ) فأخرجه منها، فقصد الكوفة ونفث فيها سمه، ثم سار إلى الشام "فلم يقدر على ما يريد عند أحد

---

(١) انظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: ٤/٤٢-٤٤.

(٢) انظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي: ٤/٤٨.

(٣) الطبري، تاريخه: ٢/٦٣٩.

من أهل الشام"[١] وأخرجه أهلها، فتوجه منها إلى مصراً، ووجد بها أرضاً خصبة لبث شبهاته فاستقر بها، وبث دعاته، وجعل يكاتب من استفسد من أهل البصرة والكوفة ويكاتبونه، وطعن في أمراء المسلمين مظهراً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتشر أمره في الأمصار حتى ألّبهم ـ كما ألّب يهودُ بني النضير الأحزابَ ـ وخرج بهم في عام (٣٥هـ) لموسم الحج فكانت فتنة مقتل عثمان ﵁، ثم عزَّ عليه أن يجتمع أمر المسلمين، فسعى في إيقاع الفتنة بين الصحابة، فكانت وقعة الجمل[٢].

واستطاع ابن سبأ أن يُحدث صدعاً في المجتمع الإسلامي نجم عنه أن انقسم الناس بين عراقي وشامي، ووقعت الفتنة بين المسلمين، وبدأ المسلمون يفترقون لفرق بعضها يمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فظهر الشيعة والخوارج على مسرح الأحداث السياسية في دولة الخلافة أيام عليّ ﵁، وعظمت سطوتهم أيام خلافة بني أمية، وبدأ وضع الحديث والأخبار، وكانت العراق وخاصة الكوفة ميداناً خصباً لوضع الحديث على لسان رسول الله ﷺ وآل بيته وصحابته، بغرض جمع الناس على الآراء والأحزاب الفاسدة والطعن في الخصوم، ويعود ذلك لكونها مركز المعارضة للخلافة الأموية، وفيها نشأ التشيع وتجذر، وقسم ابن تيمية الناس فيها إلى طائفتين: طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت، وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة وإما جهّال وأصحاب هوى، وطائفة ناصبة تبغض علياً ﵁ وأصحابه لما جرى من القتال في الفتنة[٣].

و"لم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم، ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم

(١) الطبري، تاريخه: ٦٣٩/٢، ٦٤٧، ١١/٣ وما بعدها.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٦٤٧/٢، ٣٢/٣، ٣٢٦/٤.

(٣) انظر: أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م: ٣٠١/٢٥.

معروفون بالكذب لا سيما الشيعة المغالين، فإنهم أكثر الطوائف كذباً باتفاق أهل العلم"[١]، وقد صرح بذلك المؤرخ الشيعي ابن أبي الحديد بقوله: "واعلم أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة الخصوم"[٢].

وبرز منهم جابر الجعفي (ت:١٢٨هـ) كذبه أيوب السختياني وزائدة[٣]، ومحمد بن السائب الكلبي (ت:١٤٦هـ)، قال ابن حجر: "متهم بالكذب، ورُمي بالرفض"[٤]، وأبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي، قال ابن تيمية: "متروك كذاب"[٥]، وثلاثتهم من أهل الكوفة، ومنهم إبراهيم بن محمد الثقفي (ت:٢٨٣هـ)[٦]، وغيرهم كثير.

ومما يدل على تفشي وضع ونحل الكلام لغير قائله ما ذكره الطبري في تاريخه أن المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت:٦٧هـ) الذي كان مناوئاً لبني أمية، ويظهر الموالاة لأهل البيت، وقد سيطر

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ٣١٦/٢٠.

(٢) ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٦: ٤٨/١١.

(٣) عبد الله الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ت: عادل عبد الموجود، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م: ٥٣٧/٢.

(٤) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م: ٤٧٩.

(٥) أحمد بن تيمية، منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد، جامعة الإمام سعود، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٨٢/٥.

(٦) انظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٩هـ: ١٠٢/١-١٠٣.

على الكوفة بعد وفاة يزيد بن معاوية واضطراب أمر الشام، أراد أن يضم إليه إبراهيم بن الأشتر ليتقوى به في ثورته ضد بني أمية مظهراً المطالبة بدم الحسين؛ فاختلق وثيقة زعم أنها من محمد بن الحنفية يلقبه فيها بالمهدي ويجعله وزيراً له، وأعد المختار شهوداً شهدوا بذلك أمام إبراهيم بن الأشتر ليقتنع بوجوب نصرته، وقد تم له ما أراد[١].

وكان المختار بن أبي عبيد يقول لأحد أصحاب الحديث: ضع لي حديثاً عن النبي ﷺ بأني كائن بعده خليفة، وطالب له بترة ولده، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم، فيرد عليه الرجل: أمّا عن النبي ﷺ فلا، ولكن اختر من شئت من الصحابة، وأحطك من الثمن ما شئت، اتقاءاً لعقوبة الكذب على رسول الله[٢].

وباب التشيع لأهل البيت من أوسع الأبواب التي استغلها أعداء الإسلام لتحريفه والدس والطعن فيه، وتفتيت وحدة المسلمين وزرع الشقاق بينهم، وقد شارك في تدوين أخبار ووقائع وأحداث دولة الخلافة الإسلامية وروايتها مجموعة من الإخباريين الضعفاء المتهمين في عدالتهم من أهل البدع والأهواء، وكان للشيعة خاصة أكبر عدد من الرواة الإخباريين الذين تولوا إفك الوضع والدس في تاريخ المسلمين، فاتخذوا من رواية التاريخ والأخبار وسيلة لدسهم وأكاذيبهم، فأكثروا فيه الدس والوضع، ورسموا لنا بأخبارهم صورة مشوهة عن خير الخلق بعد الأنبياء وتابعيهم في أذهان الناس تخالف ما كان عليه أولئك المجاهدون البررة، واختلقوا أخباراً كاذبة بغرض تشويه سيرهم وأيامهم، والمتتبع لروايات الطاعنين في خلفاء بني أمية يجدها تدور حول عداوتهم لآل بيت النبي ﷺ، حتى أنهم

---

(١) انظر أخبار فتنة المختار الثقفي عند الطبري في تاريخه منثورة من سنة (٦٤هـ) حتى وفاته عام (٦٧هـ).

(٢) انظر: عبد الرحمن بن الجوزي، الموضوعات، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م: ٣٩/١.

جعلوا مبدأها من الأخوين عبد شمس وهاشم ابنا عبد مناف، ونقلوها في الأبناء والأحفاد ونسجوا حولها القصص والأساطير، حتى رسموا لنا صورة لعداء تاريخي متأصل في الجينات، ممتد لما قبل الإسلام(١).

ولذلك اهتم مؤرخو الشيعة اهتماماً بليغاً بأحداث الشورى، وتولية عثمان ﷺ الخلافة ومقتله، بل خصَّها بعضهم بالتأليف كأبي مخنف في كتابيه: الشورى، ومقتل عثمان، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه، وقد تضمنت رواياتهم أخباراً مكذوبة تقتضي الطعن على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وزعموا أن علياً ﷺ اعتبر تولية عثمان ﷺ مكيدة، وتذكر الروايات الشيعية أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ حابى عثمان ﷺ في توليته الخلافة، وأن علياً ﷺ لم يرض بذلك، وقد بيَّن ابن تيمية بطلان ذلك فقال: "فإن هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: "هذا خالي، فليرني امرؤ خاله"(٢).

وقال ابن كثير: "وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يُعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ١/٥٠٤، تقي الدين المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨: ٣٧- ٣٨.

(٢) انظر: ابن تيمية، منهاج السنة: ٦/١٧١؛ آقابزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٢: ١٤/٢٤٦.

عَظِيمًا﴾[1]. إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح، فهي مردودة على قائليها وناقليها. والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعفيها، ومستقيمها وسقيمها، وشاذها وقويمها، والله الموفق للصواب"[2].

وقد ذكر السخاوي أن من شروط المؤرخ التحرز فيما يُنقل من الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة ﷺ، لما أمرنا به من الإمساك عما كان بينهم، والتأويل له بما لا يحط من مقدارهم، والصواب عدم التكلم إثباتاً ونفياً، إلاّ عند الاضطرار إليه، ويلتحق بذلك ما وقع بين الأئمة، سيما المتخالفين في المناظرات والمباحثات[3].

وعرض ابن خلدون في مقدمته للدوافع والأسباب التي تؤدي إلى الوضع والكذب في الأخبار، وأجملها في ست نقاط: **أولها**: التشيع للآراء والمذاهب، **وثانيها**: الثقة بالناقلين، **وثالثها**: الذهول عن المقاصد، ويرجع ذلك إلى جهل الناقل بقصد ما سمع ونقل وتوهمه الصدق فيما نقله، **ورابعها**: الجهل بتطبيق الأحوال والوقائع، ويقصد أن المدلس في الخبر يستغل جهل الناس بقوانين الظواهر الطبيعة فيغيرون في الحقائق بقصد تحقيق مآربهم، وينقلها عنها الناقل منخدعاً بغير قصد، **وخامسها**: تقرب الناس لأصحاب التجلة والمراتب، فيضعون الخبر أو الحديث ويزيدون فيه وينقصون بغرض التقرب لأهل الحكم والسلطان، وهذا كثير في كتب التراث والتاريخ، **وسادسها**: جهل المؤرخ بطبائع العمران،

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ١٦٥/٧.

(٣) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ: ٢١٧-٢١٨، ٢٢١-٢٢٢.

وسنن الله الكونية، وقد انتقد ابن خلدون المؤرخين قبله لوقوعهم في الوهم والغلط في هذا الباب، وهذا ناتج عن جهلهم بقوانين الظواهر الطبيعة والظواهر الاجتماعية التي تحكم التطور المجتمعات(١).

ومن أبرز الوسائل التي أُستخدمت لتحريف صورة الوقائع والأحداث التاريخية وتشويه تاريخ الإسلام: **الكذب والاختلاق، وخلط الكذب في الخبر الصحيح،** حتى لا يعرف منه وتتشوه صورة الحدث وتخرج عن أصلها، ولذلك قال ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ) "لم أذكر في وقعة الجمل إلا ما ذكره أبو جعفر (يعني الطبري)، إذ كان أوثق من نقل التاريخ، **فإن الناس قد حشدوا تواريخهم بمقتضى أهوائه**"(٢)، فحوت مروياتهم الغث والسمين، وقال ابن العربي (ت:٥٤٣هـ) في العواصم من القواصم: "ولا تقبلوا رواية إلّا عن أئمة الحديث، ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا للطبري، وغير ذلك هو الموت الأحمر، والداء الأكبر، **فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف**، والاستخفاف بهم واختراع الاسترسال في الأقوال والأفعال عنهم"(٣).

ومنها ـ أي الوسائل ـ: التعامي عن الإسناد، وذلك ظاهراً في روايات أهل الأهواء والبدع، إذ لا نجد لهم اهتماماً بإيراده وتفصيله ودراسة رجاله، بل يحرصون على تدليسه والرواية عن المجهولين، وقد تنبه أهل الحديث لهذا، إذ " لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم"(٤)، فعصم الله دينه

---

(١) انظر: ابن خلدون، مقدمته: ٢٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧: ٢/٦١٧.

(٣) أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، الأوقاف السعودية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩: ٢٤٨.

(٤) ابن حجر، تقريب التهذيب: ٢٦٢؛ ٤٦٧.

بالإسناد، فوصلنا غضاً طرياً كما أُنزل، وهذا ما جعل أهل التاريخ من علماء أهل السنة يفرقون بين ما يُتشدد فيه من الأخبار وبين ما يُتساهل فيه تبعاً لطبيعة النص، فإن كان متعلقاً بالنبيّ ﷺ وصحابته مما يترتب عليه أمر من أمور العقائد أو الأحكام الشرعية وجب التدقيق فيه والعناية برواته، أمّا إن كان غير ذلك فتساهلوا فيه، قياساً على ما أصله علماء الحديث في باب التشدد في أحاديث الأحكام والتساهل في فضائل الأعمال، فنجدهم يقبلون من ابن إسحاق في المغازي ما لا يقبلونه منه في غيرها، فهو عندهم "إمام في المغازي، صدوق يدلس"، ومثله سيف ابن عمر فهو "ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ"(١).

ومن أبرز الإخباريين المغالين في التشيع والتنقص من الصحابة والطعن في الخلافة الأموية بإيراد روايات منكرة ومكذوبة والذين أُخذ عليهم عدم اهتمامهم بالإسناد عند ذكرهم للوقائع والأحداث التاريخية، معتمدين هذه الطريقة منهجاً في التدوين:

جابر بن يزيد الجعفي: كان من أهل الكوفة، وله كتب وضعها في ذلك منها: الجمل، وصفين، ومقتل أمير المؤمنين، ومقتل الحسين، والفضائل، والنهروان، وكلُّها مشحونة بالطعن والكذب، قال يحي بن يعلى: سمعت زائدة يقول: "جابر الجعفي رافضي يشتم أصحاب النبي عليهم السلام، وأمرنا زائدة أن نترك حديثه"(٢)، وقد كذبه الأئمة كابن معين وأيوب السختياني وغيرهم، وكان على عقيدة

---

(١) ابن حجر العسقلاني، طبقات المدلسين، ت: عاصم عبد الله القريوتي، مكتبة المنار، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٥١؛ ابن حجر، تقريب التهذيب: ٢٦٢.

(٢) أبو جعفر العقيلي، الضعفاء الكبير، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ١/١٩١.

ابن سبأ في الإيمان بالرجعة وأن علياً ﷺ خلق الخلق وبسط الرزق[١].

اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: كان من أهل بغداد، وهو مؤرخ شيعي إمامي، وكان رافضياً غالياً في الرفض، وذلك بيِّن واضح لمن اطلع على كتبه، ومن مؤلفاته: التاريخ، والبلدان وكلاهما مطبوع، وكتاب مقتل أبي عبد الله الحسين، وكان لا يقول بالخلافة إلا لعلي بن أبي طالب وأبنائه، ومن ذلك أنه لما ساق خبر السقيفة أظهر فيه تآمر أبي بكر وعمر ﷺ وغيرهما في تولي الخلافة دون علي ﷺ، ويذكر الخلفاء الراشدين بقوله تولى الأمر فلان، ولا يصفه بالخلافة، ولما تكلم عن خلافة عثمان ﷺ طعن عليه وتنقص منه؛ فأشار أن علياً قال لعبد الرحمن بن عوف ﷺ:أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني، ونقل عن بعضهم أنه قال عندما جلس عثمان في الموضع الذي كان يجلس فيه النبي ﷺ: اليوم ولد الشر، ونقل أخباراً فيها محاباة عثمان ﷺ لقرابته، وأشار إلى أن تأليف القرآن وجمع الطوال مع بعضها والقصار مع بعضها من تأليف عثمان ﷺ، واتهم طلحة والزبير وعائشة ﷺ بأنهم الذين ألَّبُوا الناس على عثمان، كما اتهم معاوية ﷺ بأنه تهاون في نجدته ليُقتل فيلي الثأر، وذكر لمعظم خلفاء بني أمية مثالب، ووصفهم بالملك دون الخلافة، ولما ذكر بني العباس وصفهم بالخلفاء، ونقل على لسان سعيد بن المسيب بأنه قال عن عبد الملك أنه فرعون ذلك الوقت، وأنه بنى قبة الصخرة كي يحج الناس إليها بدل الكعبة أيام ابن الزبير، وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه أمر عامله بمكة أن يجري عينا يباهي بها زمزم، وذكر أن بعض من يطعن على عمر بن عبد العزيز يتهمه بأنه دفن سليمان وبه بقية روح لأجل الملك، إلى آخر ما ملأ به كتابه من الكذب والرفض للانتصار لمذهبه الإمامي، والطعن على مخالفيه، ويكثر في نقل أخبار وأحوال الأئمة العلويين في كتابه ويحتفي بهم[٢].

---

(١) الجرجاني، الكامل في الضعفاء: ٣٢٧/٢.

(٢) انظر: اليعقوبي، تاريخه: ٣٥/٢، ٥٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٠، ١٧٥، ٢٨٠، ٢٨٣،=

علي بن الحسين المسعودي (ت:٣٤٥هـ): "المتكلم الرافضي المعتزلي صاحب التصانيف"، وقد أحال القارئ إلى كتب منها: فنون المعارف وما جرى في الدهور والسوالف[١]، وأرسل أخبار الوقائع بلا إسناد، وله كتابين: التنبيه والإشراف، ومروج الذهب ومعادن الجوهر، وكان المسعودي شيعياً معتزلياً، ألف كتاباً في إثبات الوصية لعلي ﵁، وكتاباً في الوصاية وعصمة الإمام، ويعده الشيعة من شيوخهم ـ كما ذكر أبو بكر بن العربي في كتابه العواصم من القواصم ـ، وقال ابن تيمية "وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله تعالى، فكيف يُوثق بحكاية منقطعة الإسناد في كتاب قد عرف بكثرة الكذب"[٢].

ومن أبرز مخالفات المسعودي وأكاذيبه في كتبه للانتصار لعقيدته ومذهبه: طعنه في أبي بكر وعثمان ﵄ ووصفه جمعاً من كبار الصحابة ﷺ بالعثمانيين، وكذلك في وقعة صفين فإن تشيعه وغلوه ظاهر في سياق الأحداث، وأورد عن معاوية ﵁ روايات تزخر بالسباب واللعن، واتهمه بمقتل الحسن ﵁، وصوَّر حياة ابنه يزيد على أنها حياة لهو ومجون تخرجه من الإسلام، وزعم أن فرعون كان أعدل منه، وفي كتابه تحامل على بني أمية وطعن وكذب لتشويه صورتهم للانتصار لمذهبه وعقيدته، خاصة ما قاله في يزيد بن عبد الملك والوليد بن عبد الملك[٣].

== ٢٩٣، ٢٩٧، ٣٠٠؛ ياقوت، معجم الأدباء: ٥٥٧/٢؛ حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة: ٥٨-٥٩ ؛ شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م: ٢٥٢/١.

(١) علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، دار الصاوي، القاهرة: ١٥٧.

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة: ٨٤/٤؛ وانظر: المسعودي، مروج الذهب: ٨٩/٣؛ ابن العربي، العواصم من القواصم: ٢٤٩؛ الذهبي، السير: ٥٦٩/١٥؛ ابن حجر، لسان الميزان: ٢٢٥/٤.

(٣) انظر: المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٨/٢، ٣١٢، ٣٦١، ٣٦٦، ٤٠٢، ٥/٣، ١٣-١٤، ٧٨- ٨١، ١٦٦؛ حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها: ٦١-٦٢.

ومنهم أحمد بن أعثم الكوفي: كان شيعياً ضعفه أهل الحديث، وكان يزعم أن علي بن أبي طالب يعلم الغيب، ويورد أحاديثاً مكذوبة وقصصاً موضوعة عن مقتل الحسين ﷺ، وأورد كذلك أحاديثاً موضوعة في دعاء النبي ﷺ على معاوية وابنه يزيد، ويروي عن المجاهيل في سباب بني أمية وأعلامهم، فكتابه مشحون بالأغاليط والأكاذيب على بني أمية، وهو يروي ذلك عن شيوخ ماتوا قبله بعشرات السنين(١).

ومنهم أبو مخنف لوط بين يحيى: كان راوياً إخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام، وكان شيعياً غالياً متحزباً للعلويين مبغضاً للأمويين، وكثير من الروايات الضعيفة والمكذوبة تدور على أبي مخنف، وفيها طعنٌ في بعض الصحابة، وذمٌ لبني أمية، وتهويلٌ لبعض الأخطاء، وزيادةٌ في الأخبار، فروى عنه المؤرخون بعده كابن جرير الطبري، والبلاذري وغيرهم، واشتهرت روايات الوقائع من طريقه كمقتل الحسين، وموقعة الحرة، قال عنه ابن حجر: "إخباريٌ تالف، تركه أبو حاتم وغيره"، وقال الدارقطني: "ضعيف"، وقال ابن معين: "ليس بثقة"، وقال ابن عدي: "شيعي محترق صاحب أخبارهم"(٢).

وصنف أبو مخنف كُتباً منها: وفاة معاوية وولاية ابن يزيد ووقعة الحرة وحصار ابن الزبير، وله

---

(١) انظر: ابن أعثم، الفتوح: ١/١٢٥، ٢/٤٨١-٤٨٧، ٤/١٢٠، ٥/١٨-٣٩؛ ياقوت، معجم الأدباء: ١/٢٠٢؛ خليل بن أبيك الصفدي، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ٦/١٦٠؛ ابن حجر، لسان الميزان: ١/١٣٨؛ حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها: ٥٩-٦٠؛ محمد جبر أبو سعدة، ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ٦١-٦٥.

(٢) انظر: ابن حجر، لسان الميزان: ٦/٤٣٠.

مقتل علي، ومقتل الحسين، وكتاب المختار بن أبي عبيد، وغيرها من الكتب المليئة بالكذب والحقد والطعن على السلف، خاصة كتابه مقتل الحسين، فإن معظم الأخبار عن هذه الموقعة نقلت من طريق أبي مخنف، لذلك عندما ذكر ابن كثير الخبر من طريقه قال: "وهذه صفة مقتله مأخوذة من كلام أئمة هذا الشأن، لا كما يزعمه أهل التشيع من الكذب"[1]، ومن الأكاذيب في كتبه أنه زعم أن علياً ﷺ بعد انتصاره على أصحاب الجمل استعرض القتلى فوجد فيهم طلحة بن عبيد الله ـ وكان من العشرة المبشرين بالجنة ـ، زعم أبو مخنف أن علياً لما رآه قال: "ويل أمك طلحة لقد كان لك قدم لو نفعك، ولكن الشيطان أضلك فأزلك فجعلك إلى النار"[2].

ومن المكثرين المشهورين **هشام بن محمد بن السائب الكلبي**، وكان معروف بعدائه لبني أمية، وقد ورث عن أبيه التشيع والرفض، حيث شارك أبوه مع ابن الأشعث في قتال الحجاج بن يوسف عامل بني أمية على العراق، وقاتل جدُّه مع مصعب بن الزبير في حروبه ضد عبد الملك بن مروان، فالأسرة بشكل عام مشهورة بالعداء الشديد لبني أمية، ضعّفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والدارقطني، وكذبه الأصمعي، حتى قال الأصفهاني بعد ذكر رواياته: "هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها، والتوليد بيِّنٌ فيها وفي أشعارها"، وقد ذكر أخباراً موضوعةً مكذوبةً عن معاوية ﷺ، وعن بني أمية[3].

ومن ساهمت كتبه ورواياته في تشويه تاريخ بني أمية بشكل كبير؛ **محمد بن عمر الواقدي المؤرخ**

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ١٨٦/٨.

(٢) انظر: ابن أبي حديد، شرح نهج البلاغة: ٢٤٨/١؛ وانظر: حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها: ٤٦-٤٧.

(٣) حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها: ٤٨.

المشهور، كان قوي الصلة بالعباسيين، وولي القضاء للرشيد والمأمون وتلقى منهما الهبات، حتى جعله ذلك يحذف اسم العباس ﷺ من قائمة أُسرى بدر، ويظهر من سياق ذكره لخبر مقتل عثمان ﷺ التحامل الشديد عليه وعلى بعض الصحابة، حتى قال الطبري في تاريخه: "وأمّا الواقدي فإنه ذكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان ونزولهم ذا خشب أموراً كثيرة، منها ما تقدم ذكره ومنها ما أعرضت عن ذكره، كراهةً مني لبشاعته"(١).

ومن المناكير التي ذكرها في تاريخه أن عبد الملك بن مروان ـ المعروف بالعلم والعدل والفقه ـ أول من أخر صلاة الظهر إلى العصر، وزعم أن عبد الله بن حنظلة زعيم الثائرين على يزيد بن معاوية في المدينة قال: "والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمى بالحجارة من السماء، إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر"؛ وزعم أن خالد بن عبد الله القسري ـ عامل الأمويين على مكة ـ كان يقول: "أن البئر التي حفرها الوليد بن عبد الملك في مكة أفضل من زمزم"(٢).

وقد وقع ذلك للمؤرخ **أحمد بن يحيى البلاذري** وهو من رواة الحديث، إذ اعتمد في ذكر قصة مقتل الحسين ﷺ على رواية أبي مخنف، ونقل ثلاثة نصوص من طريق محمد بن السائب الكلبي في مقتله، واعتمد في أخبار فتنة مقتل عثمان ﷺ على أبي مخنف كذلك، إذ نقل عنه ثلاثة وثلاثين نصاً، وعلى هشام الكلبي حيث نقل من طريقه بعض نصوص أبيه وبعض نصوص أبي مخنف(٣).

---

(١) الطبري، تاريخه: ٦٥٦/٢.

(٢) انظر: حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها: ٥١.

(٣) انظر: حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها: ٦٢؛ المشهداني، موارد البلاذري في أنساب الأشراف:

وعلى كل حال فإن كثيراً من نقلت التاريخ قد ظلموا بني أمية ظلماً كثيراً، إذ توسعوا في ذكر سيئاتهم، وافترى الكذب عليهم، فنُسب لهم ما لم يكن منهم، ووضعت حوادث لم تقع في أيامهم، وحين مروا على حساناتهم مروا مرور الكرام.

**** **** ****





المبحث الأول: مقومات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق

المبحث الثاني: معوقات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق

المبحث الأول

مقومات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق

مُقوِّم: لفظٌ مفرد، وهو اسم فاعل من قوّم، وجمعه: مقومون للعاقل، وهو من يعطي قيمة لعملٍ أو شخص أو مجموعة، كقولنا: خبراءٌ مقوِّمون، ومقومات لغير العاقل، وهي العناصر الأساسيّة التي يتألف أو يتركب منها جسم أو جهاز أو مشروع، تسهم في قيامه ووجوده وفاعليته(١).

والفتح الإسلامي: هو تحويل دار الشرك إلى دارٍ للإسلام صلحاً أو عنوة، نتيجة الحملات العسكرية الاستباقية التي سيرتها دولة الخلافة الإسلامية لصد تحركات القوى الكافرة ضد دولة الإسلام.

فعلى هذا نستطيع أن نقول أن مقومات الفتح الإسلامي هي مجموع العناصر والعوامل التي أسهمت في قيام حركة الفتح الإسلامي واستمراره وتمكينه.

والمطلع على أحوال الفتح الإسلامي في القرون الأُول يجد عدداً من العوامل والمقومات قام عليها الفتح ورسا، وأبرزها المقومات المعنوية التي صاغت أهداف الفتح الإسلامي وشكلت الدافع

---

(١) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م: ١٧٩/٣.

الأول للفاتحين.

لقد أعادت العقيدة الإسلامية تشكيل وصياغة المجتمع العربي في جزيرة العرب، فما عادوا قبائل متعددة القيادات تتجاذب وتتنافر على حسب ما يعتريها من أحوال، بل أصبحوا مجتمعاً متماسكاً مترابطاً أمرهم واحد، تقوم فيها العقيدة مقام العصبة والدم، والعدالة مقام التفاخر، والتقوى مقام النسب، فنجد في مسلمي الرعيل الأول العربي والأعجمي، والأسود والأبيض، ونرى الرسول ﷺ يجعل أخوة الدين فوق أخوة النسب في بداية تأسيس الدولة المسلمة، إذ آخى بين أصحابه فقيرهم وغنيهم، عربيهم وأعجميهم، وأسقط كل دعوى جاهلية، والحقيقة الثابتة التي تؤيدها نصوص الوحيين هي أن رسالة الإسلام للجنس البشري كله، لا لأمة دون أمة، ولا لشعب دون شعب، فمحمد ﷺ رسول الله إلى الناس كافة لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾[2]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، فرسالة الإسلام هي خاتمة رسالات الشارع سبحانه إلى أهل الأرض، فليس بعد القرآن الكريم وحي، وليس بعد محمد ﷺ نبي أو رسول؛ ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[4]

ومن أبرز **المقومات المعنوية** التي كان لها عظيم الأثر في نجاح حركة الفتوحات وتثبيت الفتح الإسلامي فريضة الدعوة إلى الله وفريضة القتال والجهاد في سبيل الله، وقد كان لعدل الإسلام وسماحته

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) الأنبياء: ١٠٧.

(٤) الأحزاب: ٤٠.

الأثر الكبير في قبول الناس له خاصة إذا ما قرنّا ذلك بما أُشتهر عن الاضطهاد الديني الذي مارسته الزرادشتية والهندوسية والنصرانية على غيرها من الملل والنحل وقتئذ.

أ) **الدعوة إلى الله:**

الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[1]، وبها أُرسل سيد الأنبياء ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[2]، فهي أشرف الوظائف وأفضل الأعمال، وقد أمر الله بها أمة محمد ﷺ فقال: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[3]، وعليها ربي النبي ﷺ أصحابه، ومن ذلك قوله لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: ((انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً، خير لك من أن يكون لك حمر النعم))[4].

والأصل في الدعوة الحسنى، ودليل ذلك قوله تعالى: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[5]، والجهاد والقتال وسيلة من وسائل التمكين لها وازدهارها، بل هو ذروة سنام الإسلام، فكانت عقيدة المسلمين الفاتحين تدفعهم للجهاد في سبيل الله للتغلب على العقبات التي تحول بينهم وبين تبليغ رسالات الله وإعلاء دينه، ويبذلون في سبيل ذلك المهج والأنفس، وتشد من

---

(١) الأنعام: ١٣٣.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يده رجل، حديث رقم: ٣٠٠٩.

(٥) النحل: ١٢٥.

عزمهم وتلهب حماسهم النصوص الشرعيّة التي تبيّن ما للمجاهد في سبيل الله من الأجر والثواب، وتحثهم على الصبر والبذل، والشجاعة والبسالة.

وبرز اهتمام الأمويين بالدعوة إلى الله في حرص خلفاء بني أمية على بناء المساجد وعمارتها، وبعث الدعاة والعلماء إلى المناطق المفتوحة ليفقهوا الناس ويعلموهم أمور دينهم، ومن هؤلاء:

— **القاضي يحيى بن يعمر**: الفقيه العلامة المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو ويكنى أبا عدي. حدّث عن عدد من الصحابة، وقرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي، وكان من أوعية العلم وحملة الحجة، وكان ذا لسنٍ وفصاحة. وكان الحجاج قد نفاه فأقبل عليه الأمير قتيبة بن مسلم وولاه قضاء خراسان، فكان إذا انتقل من بلد إلى بلد استُخلف على القضاء فيها[١].

— **محمد بن واسع**: من العلماء المشهورين بالزهد والورع والخشوع، وهو مدرسة في معالجة أمراض النفوس وتطهير القلوب، ومن أقواله في الزهد والورع واليقين: "إني لأغبط رجلاً معه دينه وما معه من الدنيا شيء وهو راضٍ"، كان من ضمن جنود الفاتحين الذين نفع الله بهم شعوب المشرق كأهل بخارى وسمرقند وخراسان وغيرها[٢].

— **الضحاك بن مزاحم** الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير. كان من أوعية العلم، سكن مرو وبلخ وسمرقند وبخارى، حدّث عن عدد من الصحابة مثل: ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك ﷺ، وثقه أحمد، ويحيى بن معين وغيرهما، وقال عنه سفيان الثوري: كان الضحاك يُعلّم ولا يأخذ أجراً[٣].

---

(١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٤٤١/٤.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٩٨/٦.

(٣) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٥٩٨/٤.

– **صالح بن أبي طريف** مولى بني ضبة: أبو الصيداء، روى عن أبي سعيد الخدري ﷺ، أرسله الأشرس السلمي سنة (١١٠هـ) إلى أهل سمرقند وغيرها مما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام[١].

– **عبد الله بن المبارك**: الفقيه المحدث، مولى بنى حنظلة، من أهل مرو، ولد سنة ثماني عشرة ومائة، ممن رحل وجمع وصنف وحدث، وكان كثير الخروج للغزو والرباط[٢].

– **السليط بن عبد الله** الحنفي: أرسله الجراح بن عبد الله والي خراسان إلى بلاد التبت مع وفد من أهلها يعلمهم الإسلام[٣].

وقد اعتنى عمر بن عبد العزيز بتثبيت الفتح عناية فائقة وجعله الهدف الأول، وذلك عن طريق العناية ببعث البعوث والسرايا الدعوية إلى أرجاء الدولة، وأجرى الأرزاق على العلماء ورتب لهم الرواتب كي يتفرغوا لنشر العلم ويكفوا مؤونة الاكتساب، وأمر أن يُعطي من بيت المال مائة دينار كل عام لمن انقطع إلى المسجد لتعلم الفقه، ونشر العلم، وتلاوة القرآن، وكانت له عناية بمراسلة الملوك والحكام، فكتب إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن يبقى لهم ملكهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وكانت بلغتهم سيرته ومذهبه، فأسلموا، وتسموا بأسماء العرب، كما أرسل الوفود لملوك الترك يدعوهم إلى الإسلام فاستجاب له بعضهم[٤].

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ١٢٩/٤؛ قاسم بن قطلُوبغا السُّودوني، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، ت: شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م: ٢٩٤/٥.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٧٨/٨.

(٣) انظر: اليعقوبي: تاريخه: ٢١١/٢.

(٤) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤١٥، ٤٢٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية: ٢٣٢/٩.

ب) **الجهاد في سبيل الله:**

الجهاد مصطلح شرعي، ويعني "بذل الجهد في قمع أعداء الإسلام بالقتال وغيره؛ لتكون كلمة الله هي العليا"(١)، "ولم تختلف الأمة أن القتال كان محظوراً بقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾(٢)، وذلك قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، "وأول ما شُرع الجهاد بعد الهجرة النبوية إلى المدينة اتفاقاً"(٣)، وقد شُرِّع على ثلاثة مراحل، الأولى: إباحة القتال في سبيل الله دون أن يفرض، فكان الإذن بالقتال دفعاً لصولة المعتدي، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٤)، والثانية: جهاد الدفع، وهو الأمر بقتال من قاتل المسلمين من الكفار والكف عمن كف ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾(٥)، والثالثة: الأمر بقتال جميع الكفار وابتداؤهم بالقتال أينما كانوا حتى يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام ويدفعوا الجزية فيدخلون بموجبها في حماية المسلمين ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٦).

---

(١) محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ: ٨/٥.

(٢) المؤمنون: ٩٦؛ أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ: ١/٣١٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري: ٦/٣٧.

(٤) الحج: ٣٩.

(٥) البقرة: ١٩٠.

(٦) التوبة: ٢٩؛ وانظر: أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م: ٢/٣٣٧-٣٣٨؛ مرعي بن عبد الله الشهري، أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: ١/٣٧-٤٠.

"والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله الله، فإن من كون الدين الله: إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم، فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لديهم الشوكة والكلمة"(١).

وللعقيدة الجهادية سمات تميزها عن غيرها، فمصادرها القرآن والسنة وفعل الخلفاء الراشدين المهديين ومن اقتدى بنهجهم من قادة المسلمين في القرون الأولى، ونجد مادتها منشورة في كتب الحديث، والفقه، والمغازي، والسير.

إن الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل القربات، وأعظم الطاعات، بل هو أفضل أعمال المسلم بعد الفرائض؛ وما ذاك إلا لما يترتب عليه من نصر وإعلاء كلمة الدين، وقمع رؤوس الكفر وأساطينه، وحماية لجناب الدين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٢) قال الشوكاني رحمه الله: "فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين الله تعالى، وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله"(٣).

لقد جعل الإسلام من المجاهد المسلم مقاتلاً مطيعاً لا يعصي قادته بالمعروف، صابراً

---

(١) ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ١/١٨.

(٢) البقرة: ١٩٣.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت: ١/٢٢٠.

لا يتخاذل عن مواطن البذل، شجاعاً مقداماً مقبلاً ثابتاً لا يفر من القتال، هدفه من القتال أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، فالمجاهد المسلم يسعى لإعلاء كلمة الله، وإقامة سلطان الله في الأرض، وإخلاء العالم من الفساد الأكبر وهو الشرك وما ينتج عنه، وإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين الإسلام، ويعبدونهم لغير الله، مدافعاً عن دينه وأرضه وعرضه وعن بيضة الإسلام وعن دار الإسلام أن تُستباح، وعن دعوة الإسلام أن تنحسر أو تتوقف، لا يخشى الموت أو الفقر في سبيل غايته، ولا يهاب قوى الكفر أن تحدّ من عزيمته، ولا تضعفه الأراجيف والشائعات، ولا يقنط من رحمة الله، يقظ حذر لا يستهين بعدوه في سلم أو حرب ويُعد العدة للقائه ويبذل نفسه وماله مجاهداً في سبيل الله، وشعاره ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾(١) فهو يحرص على الموت حرص عدوه على الحياة، فلم يكن انتصارهم مديناً إلى قوة السلاح أو جودة التنظيم، وإنما الى شجاعتهم الفائقة التي لا تبالي بالموت، أو من مواجهة أعظم جيش وأعظم قوة عسكرية مدربة.

لقد خرّج لنا الإسلام نماذج من القادة والجنود تحلوا بأخلاق حميدة وقيم سامية، كان لها عظيم الأثر في إقبال أبناء البلاد المفتوحة على اعتناق الإسلام، فأصبحوا مادة الإسلام وحملته، فالمسلمون لم يفتحوا البلاد ليدمروها ويذلوا أهلها، وإنما ليعمروها ويعزوا أهلها ويحرروهم من عبادة العباد إلى عبادة خالق العباد، ويخرجوهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فهم أصحاب رسالة خالدة، تحمل للناس العدل والإنصاف وتحقق لهم الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية، وبمجرد ما عرف الناس في البلاد المفتوحة أهداف المسلمين الحقيقية وتكشفت لهم حقيقة الإسلام أسرعوا إلى اعتناقه بأعداد كبيرة.

---

(١) التوبة: ١٩٥.

ج) **سماحة الإسلام:**

كان لسماحة الإسلام أعظم الأثر في إقبال أبناء البلاد المفتوحة إليه، وكذا للبنود والشروط العادلة التي تضمنتها معاهدات الصلح وعلى أساسها نُظمت العلاقة بين المسلمين الفاتحين وبين أبناء البلاد المفتوحة، وقد التزم بها المسلمون التزاماً كاملاً، وطبقوها بكل صدق وأمانة، ولما كانت بدايات هذه المعاهدات قد تمت في عهد الخلفاء الراشدين، وبصفة خاصة في عهد عمر بن الخطاب نجد أن أهل السير والتاريخ اعتنوا بتدونها في أول أمرها فنجد نصوص كاملة لهذه المعاهدات، أمّا في عهد الخلافة الأموية فنجد إشارات لها إلاّ قلة، وربما يكون هذا راجعاً لكونها مشابهة في نصوصها ومضمونها، وربما يكون التفاوت والاختلاف بينها ناجم عن حال أهل البلاد المفتوحة، إذ نجد بعض الاتفاقيات في العهد الأموي تكاد تكون تأديبية بسبب تعديهم على المسلمين ونقضهم لمعاهدات سابقة(1).

والمتتبع لتاريخ الفتح الإسلامي يجد أن ديدن قيادات الجيوش المسلمة أن تعرض على أهل البلد التي يقصدونها الإسلام، فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالقتال، وكانوا عادة ما يمهلوهم ثلاثاً قبل أن يقع بينهم القتال والمنابذة، فإذا أسلموا طواعية فهم إخوان في الدين لهم حقوق المسلمين وعليهم واجباتهم، وإن أبوا الإسلام ورضوا بدفع الجزية، قبلت منهم وتركوا ودينهم، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم، وإن رفضوا أن يسلموا قيادهم لدولة الإسلام وأبوا إلاّ القتال قاتلهم المسلمون، فإذا ما تمكنوا منهم وغلبوهم تركوهم على دينهم وراعوا فيهم وصية رسول الله ﷺ إذ كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: ((اغزوا باسم الله،

---

(1) انظر: صالح حسن الشمري، الاتفاقيات والمعاهدات وعهود الصلح في العصر الأموي وأثرها في استقرار الدولة، مجلة الجامعة المستنصرية، كلية للآداب، ع:49، 2008م.

في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً))[1]، و((لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا))[2]، و((لا تقتلوا أصحاب الصوامع))[3].

وتبعه على ذلك خلفاءه الراشدين المهدين، يذكرون جندهم بوصايا رسول الله ﷺ، ويوصونهم بها، فهذا الصديق رضي الله عنه يوصي يزيد بن أبي سفيان فيقول: "إني أوصيك بعشر: لا تقتلنّ صبياً، ولا امرأة ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربنّ عامراً، ولا تعقرنّ شاةً ولا بقرة إلاّ لمأكلة، ولا تغرقنّ نخلاً ولا تحرقنّه، ولا تغل، ولا تجبن"[4]، ويذكر بها خلفاء بني أمية قاداتهم، فيرسل عمر بن عبد العزيز كتاباً لبعض عماله يقول فيه: "أنه بلغنا أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية يقول لهم: ((اغزوا باسم الله، في سبيل الله، تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا))، وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله، والسلام عليك"[5].

لقد أشاعت معاهدات الأمان والتزام المسلمين الكامل بها، وطريقة تعامل الجيوش المسلمة مع المغلوبين الطمأنينة والأمان بينهم، وأزالت ما كان يعتريهم من الخوف الناتج عن خبرتهم المريرة

---

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، كتاب الجهاد والسير، باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام من غير تقدم إعلام بالإغارة، حديث رقم: ٤٥٢٢.

(٢) أبو بكر بن أبي شيبة، المصنف لابن أبي شيبة، ت: سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م: ٣٧٥/١٨.

(٣) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٨/ ٣٧٩.

(٤) ابن أبي شيبة، المصنف: ١٨/ ٣٧٦.

(٥) مالك بن أنس، الموطأ، ت: محمد فؤاد عب الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م: ٤٤٨/٢.

الناتجة عن خضوعهم الجبري لدولتي فارس والروم، والتي أرغمت رقابهم وهجرتهم من بلادهم واستعبدتهم وحملتهم على غير دينهم وعقيدتهم، فلم يعرفوا عن الجيوش الغازية غير أنها تفسد الحرث والنسل، وديدنها النهب والتدمير، أمّا هؤلاء الغزاة الجدد فلم يدخلوا بلادهم ليذلوهم ويستعبدوهم ويصادرون حقهم في الحياة والاعتقاد، بل جعلوا أمرهم إليهم، وتركوا لهم ترتيب شؤونهم، وحفظوا لهم كرامتهم، ولقد حرص المسلمون على الوفاء بكل ما التزموا به، ولم يكن هذا من حسن السياسة فقط، فالوفاء بالعهد ليس تبرعاً من المسلمين يمنون به على الناس بل مسؤولية واجبة عليهم، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾[1]، فعرفوا أن ذلك كلهم مما يكفلهم لهم هذا الدين الجديد، ورأوا صدق الفاتحين وجميل فعالهم في البلاد التي فتحوها، وقارنوا بينهم وبين ما كانوا فيه من اضطهاد لدينهم واستنزاف لأرضهم وثرواتهم، واستعبادٍ وسلب لحرياتهم، وبين ما صاروا إليه من أمن على أنفسهم وأموالهم، وحرية في الاعتقاد والتعبد، فتحولوا في أعينهم من غزاة إلى فاتحين محررين، وهذه الحرية التي كفلها لهم الإسلام فتحت أمامهم الباب للمقارنة بينه وبين العقائد الوثنية التي عرفوها وألفوها، فأسرعوا يدخلون فيه زرافات ووحداناً رغبةً وطوعاً، وصاروا من المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فكان لبطلان تلك العقائد والأديان وسوء تطبيقاتها وانحلالها، وفساد كهنتها ورجالها ـ سواء كانت سماوية كاليهودية والمسيحية، أو وضعية كالبوذية والزرادشتية والمانوية والمزدكية وغيرها ـ أكبر الأثر في مسارعة أهلها إلى الإسلام، فلننظر إلى بلاد فارس وخراسان كمثال، إذ لم يلق المسلمون مقاومة تذكر من الشعوب التي رزحت تحت نير الاحتلال الفارسي والتي كان تنظر إلى حكامه نظرة تنطوي على الكراهة والبغضاء، ومما زاد شقة الخلاف بينهم أن هؤلاء الأكاسرة كانوا يناصرون ديانة زرادشت واتخذوها ديناً رسمياً لدولتهم، ومكنوا رجالها وكهنتها وقربوهم حتى أصبح لهم من النفوذ والقوة

---

(١) الإسراء: ٣٤.

ما مكنهم من اضطهاد أهل الأديان والعقائد الأخرى، وقد أثار هذا الاضطهاد شعور من الكراهة المريرة ضد هذا الدين وضد رجاله ودولته، فلمّا كان الفتح وقفوا منه موقف الحياد، فكان موقفهم عامل من العوامل التي ساعدت في التمكين للفتح وانتصار الفاتحين المسلمين، وتنفست الشعوب المقهورة المغلوبة ـ حتى الفرس أنفسهم ـ الصعداء ورحبوا بالعرب، ليس حباً فيهم ولكن حباً في الخلاص من ظلم الأكاسرة وأعوانهم أولاً، ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانياً، ثم أملاً في تمتعهم بالحرية الدينية التي كفلها لهم الإسلام(١).

وفي بلاد السند نجد أبشع نظام طبقي عرفه العالم يومئذ، إذ كان براهمة الهندوس قد استعبدوا الناس وأذلوهم بشرائع ما أنزل الله بها من سلطان، حتى قامت حركات تصحيحيه من أنفسهم، فظهرت الجينية، والبوذية التي راجت بين أهل البلاد حتى صار لها شأن، وحكمت بلاد السند زهاء قرن قبل بعثة النبي ﷺ، إلى أن غلب عليها البراهمة الهندوس، فبسطوا سلطانهم بأبشع وأشنع الأساليب الوحشية سعياً للقضاء على البوذية، فقتّلوهم وحرقوهم واستعبدوهم، ولهذا لمّا جاءت جيوش ابن القاسم في سنة (٩٠هـ) اتخذ البوذيين جانب الفاتحين في هذا الصراع، ذلك أنهم لم ينسوا تلك المظالم الوحشية التي لاقوها من هؤلاء البراهمة في شبه القارة الهندية لمئات السنين حتى اضطروا في النهاية للانتقال إلى شمال الهند ولا سيما إلى بلاد السند واستوطنوها واستطاعوا أن يجدوا فيها شيئاً من حرية الاعتقاد، ولكنهم لم يتخلصوا تماماً من الاضطهاد المذهبي والاجتماعي ولا من عداوة البراهمة لهم، لذا لمّا طرقت جيوش الفتح أبواب بلاد السند، لم يكتف البوذيون بمسالمتها، بل كانوا يدلون جند المسلمين على عورات الهندوس، ويعاونونهم في تنفيذ مهمتهم حتى تزول دولة الهندوس البراهمة ويتخلصون من ظلمهم واضطهادهم، وما كان لهم أن يقفوا هذا الموقف من جيش الفتح إلاّ وقد

---

(١) انظر: ارنولد، الدعوة إلى الإسلام: ٢٣٦.

عرفوا المسلمين وخبروا عدلهم وإنصافهم خاصة وأن إقليم مكران كان ينعم بحكم خلفاء بني أمية من عهد معاوية رضي الله عنه، فعرف أهل السند عن طريقهم أخبار العرب المسلمين وأحوالهم، فاختاروا جوارهم ـ لمّاّ جاءوهم فاتحين ـ واستجاروا به من ظلم ونير الهندوسية، وقد عدّ بعض المؤرخين مساندة البوذيين للعرب من أهم الأسباب التي أدت إلى زوال الدولة البرهمية بسهولة في بلاد السند(١).

"وهكذا يمكن القول: إن معظم أهل السند قد وجدوا أنهم لم يخسروا شيئاً بدخول الإسلام بلادهم، بل حققوا كثيراً من المكاسب، حيث حررهم الإسلام دينياً واقتصادياً واجتماعياً، وزاد تحررهم بالدخول في الإسلام وتحولهم إلى جماعات المؤمنين وفتحت أمامهم الحياة الإسلامية الأبواب واسعة"(٢).

هذا بالنسبة للمقومات المعنوية التي كان لها أعظم الأثر في تغيير النفوس والعقول وفتحها، وما كان لذلك أن يتحقق إلاّ بعوامل ومقومات مادية كان لها أعظم دورٍ في انتشار الفتوح واستمرارها واستقرارها، ويمكن تقسيم هذه المقوّمات ــ وهي نابعة من الإسلام كعقيدة وشريعة ومنهج حياة ــ إلى مقومات سياسية، مقومات عسكرية، ومقومات اجتماعية، ومقومات اقتصادية.

أولاً: المقوّمات السياسية:

إن من أبرز مقوّمات توسّع الدوّل وتمكنها من بسط سيطرتها على الأطراف وفتح الأمصار المجاورة، استقامة الأمر وإحكامه في مركزها، والمتأمل لأحوال الفتح الإسلامي يجد أن الفتح يزدهر ويشتد إذا شهدت الدولة الإسلامية استقراراً في مقر دار الخلافة، لذلك تقدمت الفتوحات في العراق

---

(١) انظر: الطرزي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند: ١/٣٣٣-٣٣٦.

(٢) الطرزي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند: ١/ .

والشام ومصر أيام خلافة عمر وعثمان ﭬ، ثم توقفت، بل وانحسرت في بعض ثغور بلاد خرسان والشام أيام فتنة مقتل عثمان ﭬ، إذ انشغل المسلمون بأنفسهم بعد أن انقسموا لمعسكرين: معسكر أهل الشام ومعسكر أهل العراق.

فوحدة الصف الإسلامي، ووحدة القيادة المسلمة، أعظم عامل من عوامل تمدد واستقرار الفتوحات الإسلامية، ويدلّ على ذلك توقف امتداد الفتوحات، بل وانحسارها أيام الفتنة، وقد خسر المسلمون من أنفسهم أيام تفرقهم أضعاف من ارتقوا شهداء في قتالهم أثناء حركة الفتوح، وإضافة لما خسروه من بلاد سالت دمائهم في سبيل إخراجها من تحت أباطرة الكفر وساداته.

والمتتبع لأخبار الفتوحات في أيام خلافة بني أمية يلمس أثر الاستقرار الداخلي جلياً في تقدم حركة الفتح وانحسارها، إذ وَجّه خلفاء بني أمية اهتمام ولاتهم في الأقاليم المختلفة لتوطيد الأمن نتيجة وعيهم لأثر الفتن واختلاف المسلمين وتفرقهم على استقرار سلطان الدولة الإسلامية وعلى قوة الجبهة الخارجية.

ولتحقيق ذلك اتخذ خلفاء بني أمية عدة وسائل، من أهمها:

- **حماية الخليفة من الاغتيال:**

يقول ابن خلدون: " كان أوّل شيء بدئ به في الدّولة شأن الباب وسدّه دون الجمهور، بما كانوا يخشون عن أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم، كما وقع لعمر وعليّ ومعاوية وعمرو بن العاص ﭫ وغيرهم، مع ما في فتحه من ازدحام النّاس عليهم وشغلهم بهم عن المهمّات، فاتّخذوا من يقوم لهم بذلك وسمّوه الحاجب"[1]، ومما يعضد رأي ابن خلدون الإجراءات الأمنية التي اتخاذها أمير المؤمنين

(١) ابن خلدون، تاريخه: ٢٩٦/١.

معاوية ﷺ (٤١-٦٠هـ) ﷺ بعد محالة اغتياله من قبل الخوارج، واتخذ المقصورة في المسجد، وأقام الحرس والشرط على رأسه إذا سجد، وكان أول من اتخذ صاحب حرس، وتبعه على ذلك باقي الخلفاء، إذ كانوا يرون أن اتخاذ الحراسة لحماية الخليفة أمر جوهري لاستقرار الدولة الإسلامية التي سبق وأن أُغتيل ثلاثة من خلفائها[1].

■ **ولاية العهد:**

اعتمد المسلمون في تولية أمرهم على أهل الحل والعقد، فكانت الشورى بينهم هي المنطلق لاختيار من يتولى أمر المسلمين ويسوسهم ويرعى شؤنهم، فتولها الصديق أبا بكر ﷺ بعد اجتماع السقيفة، ثم صارت لعمر ﷺ بعد مشاورة أبي بكر لكبار الصحابة في أمره، ثم جعلها عمر شورى في الستة الباقين من العشرة المبشرين على أن تكون لأحدهم، فكان عثمان ﷺ، ثم وقعت الفتنة بين المسلمين، وصار الأمر لعلي ﷺ، ثم لابنه الحسن ﷺ الذي حسم الأمر وجمع الأمة بعد تفرق وشقاق دام حوالي خمس سنين ببيعته لمعاوية ﷺ.

"وقد كان معاوية ﷺ لماّ صالح الحسن ﷺ، عهد للحسن بالأمر من بعده"، طلباً لحفظ الأمة من الخلاف والاختلاف، فلمّا توفي الحسن (٥١هـ) خشي معاوية ﷺ من اختلاف الناس من بعده، فعهد بالأمر "إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة"[2]، خاصة وأن الفتنة ما زالت لها بقايا تطل برأسها بين الحين والآخر، ولهذا نراه يعلل لعبد الله بن عمر ﷺ اختياره ابنه يزيد بقوله: "إني خفت أن أذر الرعية من بعدي كالغنم المطيرة ليس لها راع"، ولم يكن اختياره له اعتماداً على عاطفة الأبوة، إذ لم

---

(١) انظر: عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، ت: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م: ١٨٢/١؛ الطبري، تاريخه: ١٥٩/٣.

(٢) ابن خلدون، تاريخه: ٢٥٧/١.

يكن لرجل مثل معاوية أن يترك الأمة بيد رجل ظاهر الفسق لمجرد أنه ابنه ـ كما يروج أهل البدع والأهواء ـ، ولا خوفاً من عصبته بني أمية ـ كما يقول ابن خلدون ـ إذ لأختار أحد أشياخهم وجعل الأمر له، بل جعلها لابنه يزيد "لما كان يتوسم فيه من النجابة الدنيوية، وسيما أولاد الملوك ومعرفتهم بالحروب وترتيب الملك والقيام بأبهته، وكان ظن أن لا يقوم أحد من أبناء الصحابة في هذا المعنى"[١].

ويروي ابن كثير أن معاوية ﷺ "قال يوماً في خطبته: اللهم إن كنت تعلم أني وليته لأنه فيما أراه أهل لذلك فأتمم له ما وليته، وإن كنت وليته لأني أحبه فلا تتمم له ما وليته"[٢]،

فصار الأمر منذ ذاك يورث إلى ولد أو إلى أحد أفراد الأسرة، ويبايع ولي العهد مرتين، الأولى كولي للعهد، فإذا ما مات الخليفة جُددت البيعة تأكيداً للعهد والميثاق، وكان أول من يبايع أمراء البيت الأموي فالقادة ثم أمراء الأمصار، وهؤلاء يتلون أمر أخذ البيعة ممن تحت إمرتهم[٣].

- **منح الولاة صلاحيات واسعة ودعمهم مادياً ومعنوياً:**

من الأمور التي تميز بها خلفاء بني أمية براعتهم في انتقاء الرجال ذوي الكفاءات الإدارية والعسكرية الفذة، فاستطاعوا من خلالهم ضبط ولاياتهم، ومنحوهم صلاحيات عامة تخولهم لاتخاذ القرارات دون الرجوع للخليفة، فكانت الإدارة اللامركزية هي السائدة في أيام خلفاء بني أمية، وقد عرّف الماوردي هذا النوع من الولاية بولاية الاستكفاء، وصورتها أن يفوض الخليفة الولي بحكم البلد أو الإقليم بشكل عام دون إلزامه بالرجوع إليه، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل، وتشمل

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/٨٧؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخه: ١/٢٥٧؛ خالد الغيث، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ٤٦٢-٤٦٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية: ٨/٨٧.

(٣) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٢٧.

صلاحياته سبعة أمور: الأول: النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم، إلاّ أن يكون الخليفة قدّرها؛ والثاني: النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام؛ والثالث: جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق منه؛ والرابع: حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل؛ والخامس: إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين؛ والسادس: الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها؛ والسابع: تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه؛ والثامن: إن كان هذا الإقليم ثغراً متاخماً للعدو جُعل له أمر جهاد من يليه من الأعداء وتقسيم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس[1].

والحق أنه لولا دقة الخلفاء الأمويين في اختيار ولاتهم وقادتهم وعمالهم، ولولا كفاءة هؤلاء الولاة والقادة والعمال الإدارية والسياسية والعسكرية، ومقدرتهم الفائقة لما تمكنوا من حكم وإدارة هذه البلاد الواسعة، وبسط الأمن والنظام فيها، فالرقعة التي كان يحكمها الأمويون من دمشق، يقوم عليها الآن أكثر من ثلاثين دولة وكانت تضم أمماً وشعوباً شتى مختلفة الأجناس واللغات والمشارب، والاتجاهات، والعادات، والتقاليد.

ولقد برزت في العصر الأموي أسماء لامعة في فن الحكم والإدارة والسياسة ـ وبخاصة في العراق وبلاد خراسان ـ مثل: المغيرة بن شعبة ﷺ، وزياد بن أبي سفيان (ت:٥٣هـ) في عهد معاوية ﷺ (٤١-٦٠هـ)؛ وعبيد الله بن زياد وأخوه سلم (ت:٧٣هـ) في عهد يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)؛ والحجاج بن يوسف الثقفي، في عهد عبد الملك بن مروان (٧٣-٨٦هـ) وابنه الوليد (٨٦-٩٦هـ)،

---

(١) انظر: علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ت: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م: ٦٢.

والمهلب بن أبي صفرة وأولاده، وقتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي؛ ويزيد بن المهلب (ت:١٠٢هـ) في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ)؛ والجراح بن عبد الله الحكمي (ت:١١٢هـ) في عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ)؛ ومسلمة بن عبد الملك (ت:١٢٠هـ)، وعمر بن هبيرة (ت:١٠٧هـ) في عهد يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ)؛ وخالد بن عبد الله القسري (ت:١٢٦هـ)، وأخوه أسد، والجنيد بن عبد الرحمن (ت:١١٦هـ)، وأشرس بن عبد الله السلمي، ويوسف بن عمر الثقفي (ت:١٣٢هـ) في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)؛ ويزيد بن عمر بن هبيرة (ت:١٣٢هـ)، ونصر بن سيار (ت:١٣١هـ) في عهد مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢هـ)، ويعتبر زياد بن أبي سفيان، والحجاج بن يوسف الثقفي، وخالد بن عبد الله القسري، من أبرز الولاة الأمويين الذين كانت لهم ولاية مطلقة على بلاد المشرق.

لقد كان لتمكين الولاة واطلاق أيديهم عظيم الأثر في استقرار أقطار الدولة الإسلامية، ونجد ذلك واضحاً جلياً في ولاية العراق، فقد اهتم خلفاء بني أمية بولاية العراق اهتماماً خاصاً، لذا غالباً ما جُمعت لوالٍ واحد طيلة خلافة بني أمية باستثناء الفترة الأولى من خلافة معاوية ﷺ وخلافة عمر بن عبد العزيز، ولم تكن سلطة والي العراق تقتصر على البصرة والكوفة فقط، بل امتدت إلى الولايات الشرقية والشمالية الشرقية للدولة الإسلامية ـ عدا خراسان أحياناً ـ، ويعتبر زياد بن أبي سفيان أول من جُمعت له ولاية العراق وما وراءه، ومن أبرز من جُمع له المصران بعد زياد ابنه عبيد الله، والحجاج بن يوسف الثقفي، وعمر بن هبيرة، وخالد بن عبد الله القسري[1].

وكان ولاة بني أمية يختارون العمال على البلدان التي تتبع إدارتهم، فقد استعمل زياد بن أبي

---

(١) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ١٩١-١٢٠، ٢٣٠.

سفيان الحكم بن عمرو الغفاري ﷺ (ت:٥٠هـ) على خراسان، واستعمل الحجاج المهلب وأولاده، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وعبيد الله بن أبي بكرة (ت:٧٩هـ) وغيرهم(١).

■ **القضاء على الفتن والثورات الداخلية:**

شهد العهد الأموي بكثير من الفتن والثورات والاضطرابات، لذا وجه خلفاء بني أمية اهتمامهم للقضاء عليها والحد من آثارها، وكان جلّ اهتمامهم منصبٌ على العراق، إذ امتاز عن غيره من ولايات الدولة الأموية بتعدد الأعراق التي تسكنه، فقد سكنته قبائل العرب قبل الإسلام وقامت لهم فيه مملكة المناذرة في الحيرة، ثم مع الفتح سكنته أجناد المسلمين في عهد عمر بن الخطاب ﷺ والتي اختط مساكنها في البصرة والكوفة، إضافة إلى خليط من الأعراق من الفرس والترك والهند، وكان لهذا الخليط أمزجته وثقافته المتباينة.

وقد كان العراق ـ خاصة ـ مرتعاً خصباً لكثير من القلاقل والفتن، ففيه الكوفة مركز الشيعة الذين ينظرون للأمويين كمغتصبين للخلافة من آل علي بن أبي طالب ﷺ، وفيه نشأ الفكر الخارجي، إضافة إلى بقايا الفرس ونزعتهم القومية ضد العرب والتي ازدهرت في العراق بين الموالي الفرس أكثر من سواهم، والذين كانوا يسعون إلى استعادت أمجاد دولتهم بالقضاء على الحكم الأموي العربي الخالص، فكانوا يستغلون أي فرجة للعمل من خلالها لتحقيق ذلك، ولم يظهروا كحزب معارض له كيانه واستقلاله، ولكن كانوا ينضون تحت ظل أي ثورة أو حركة مناوئة للدولة الأموية.

وقد حاول الأمويون القضاء على هذه الثورات أو تحييدها على الأقل، فاعتنى خلفاء بني أمية وولاتهم وعمالهم ببث العيون والاهتمام بهم، وذلك لمعرفة ما يدور في الخفاء من ترتيبات قد تخل

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٢٠٠، ٦١٢، ٦٧٠.

بالأمن الداخلي كتحركات الثائرين والمتمردين، ولحماية وحفظ أمن دولتهم من المتربصين بها ومدبري الفتن والدسائس ضدها، فكانوا يوافونهم بكل ما يحتاج إليه من معلومات للكشف عن أولئك الأعداء وإحباط خططهم، وتبدو أهمية هذا الجهاز من خلال الأخبار التي ترد في بعض المصادر التاريخية والتي تعطي صورة عن كيفية معرفة الولاة أماكن تواجد الأشخاص المطلوبين في أمر يخص الأمن الداخلي، فعن طريقهم تمكن الحجاج خلال يومين فقط من معرفة الوجهة التي قصدها يزيد بن المهلب بعد فراره من سجنه إلى بلاد الشام حيث التجأ إلى سليمان بن عبد الملك، وكان يعرف المكان الذي التجأ إليه سعيد بن جبير في مكة، وأدى انتشار العيون في كل مكان إلى حذر الناس من الخوض في شؤون السياسة والحكم والارتياب بكل غريب يطرقهم[1].

ويبدو أن جهاز الاستخبارات وصل الى درجة كبيرة من الأحكام في خلافة هشام بن عبد الملك، إذ يصف ابن قتيبة استقرار الأمن في أرجاء الدولة الإسلامية بقوله: "وصارت البلاد المتنائية الشاسعة، كدارٍ واحدة، ترجع الى حاكم قاض يرقبه الناس في المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه، وقد وضع العيون والجواسيس في خيار الناس، وفضلاء العباد، في سائر الأمصار والبلدان، يحصون أقوال الولاة والعمال، ويحفظون أعمال الأخيار والأشرار، قد صار هؤلاء أعقاباً يتعاقبون، ينهض قوم بأخبار قوم ما بلوا في المصر الذي كانوا فيه، ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين، لا يُعلم منهم واحد، ولا يُرى لهم عابر، فلا خبر يكون، ولا قصة تحدث من مشرق الأرض ولا مغربها إلاّ وهو يُتحدّث به في الشام وينظر فيه هشام"[2]، وإن كان في رواية ابن قتيبة بعض المبالغة إلا أنه يعطي صورة تمكننا من القول إن جهاز الاستخبارات كان من الأجهزة الهامة في الدولة، وكان تطرق

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٦٨٥/٣، ٩٤/٤.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة: ١٤٧/٢.

الخلل الى هذا الجهاز في أواخر الدولة من الأسباب التي أدت الى سقوطها، كما اعترف بذلك أحد أفراد البيت الأموي حيث قال: "وكان زوال ملكنا استتار الأخبار عنا فزال ملكنا عنا بنا"(١).

ومن ذلك أيضاً العناية بجهاز الشرطة، وهو الجهة الموكلة بإحلال النظام، وحماية أرواح الناس وحفظ ممتلكاتهم، والقبض على المطلوبين والمفسدين واللصوص والجناة، إضافة إلى القضاء على الثورات والاضطرابات وقمع المتمردين، فكانت الدولة الأموية تعتمد عليه في تحقيق الأمن والاستقرار داخل الولايات، ويتصل جهاز الشرطة بالوالي مباشرة، فهو من يختار صاحب الشرط ـ أي رئيس الشرطة ـ ويعيّنه، ويعتبر صاحب الشرط نائب الوالي، إذ أن من واجباته أن يقوم بمهام الوالي حال غيابه، فيؤم المصلين، ويدير البلاد، وقد يُعين والياً إذا ما تنحى الوالي عن منصبه أو عُزل أو مات(٢).

ويعتبر زياد بن أبي سفيان أول من نظم جهاز الشرطة في العراق وكان عددهم أربعة آلاف شخص أوكل إليهم مهمة مجابهة العابثين بالأمن، وشدد عليهم في ذلك، فثابروا في عملهم الذي نتج عنه انتشار الأمن بين الناس، ونظراً لأهمية منصب صاحب الشرط فقد اشترط زياد أن يكون صاحب شرطته شديد الصولة قليل الغفلة، دائم العبوس، طويل الجلوس، ذو أمانة، من علية القوم وأهل القوة، وكان تحت إمرته حرس وعسس وأعوان(٣).

وكان للإجراءات الأمنية التي فرضها ولاة العراق لتوطيد الأمن الأثر بين في توسع حركة الفتوحات في بلاد المشرق، ولا شكّ أنّ استقرار الأمور بعد اضطرابها في إقليم العراق كان من أهمّ

---

(١) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٢٣٧.

(٢) انظر: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٣١٤-٣١٩.

(٣) انظر: صالح درادكة، الحرس والشرطة في صدر للإسلام، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، م: ١٤، ع: ٤، نيسان، ١٩٧٨م: ٩٢-٩٣.

العوامل التي ساعدت على فتح البلاد التي تليه، ومن أبرزها ما قام به الحجاج أول دخوله العراق إذ كان أول قرار له أن يلحق الجند بالمهلب بن أبي صفرة بعد أن تركوا معسكراتهم ورفضوا الالتحاق به، وجعل القتل عقوبة للتخلف عنه[1].

ثانياً: المقوّمات الاجتماعية:

تنوعت أطياف المجتمع الإسلامي في العهد الأموي نتيجة حركة الفتح ودخول الناس في دين الله عز وجل، إذ لم ينته القرن الأول إلاّ وقد امتد ظل الإسلام من حدود بلاد الصين شرقاً إلى شواطئ الأطلسي غرباً، وتنوع سكان الدولة الإسلامية ما بين عرب وعجم، فنجد فيهم العرب قيسهم ومضريهم، والفرس والترك والهند والأرمن والروم والبربر والنوبة وغيرهم ممن استظل بظل الإسلام أو اعتنقه قلباً وقالباً.

إن التمازج والتلاقح بين المجتمعات أمر فطري وسنة ربانية، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[2]، وتتعد أشكال هذا التمازج ما بين سلمي وجبري، فعندما يغزو مجتمع مجتمعاً آخر من البدهي أن يكون بينهم تفاعل وتبادل للعلوم والمعارف والعادات والتقاليد، فإن كان الغزو عارضاً عاد المجتمعان كلٌ إلى أحواله القديمة، وكان أثر التفاعل بينهما محدوداً، أمّا إن استقر وطال فسيغلب أحدهما الأخر سواء كان الغالب أو المغلوب.

وقد تميز المجتمع المسلم بهيمنته على غيره من المجتمعات، غالباً كان أو مغلوباً، ومصداق ذلك قوله ﷺ: ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٥٥٠.

(٢) الحجرات: ١٣.

الدين بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، عزاً يعزّ الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر))[1]، فسواء كان غالباً أو مغلوباً فستكون له الهيمنة.

ومن صور ذلك حالهم مع المغول، إذ كانوا في مقام المغلوب من الغالب، مع ذلك فاقوهم وغلبوهم بدينهم وحضارتهم، ونقلوهم من حالٍ إلى حال، فصاروا مسلمين بعد أن كانوا وثنين، وصارت لهم حضارة وبراعة بعد أن كانوا همجاً لا يعرفوا غير الغزو والتدمير، وتشهد على ذلك دولهم وممالكهم في بلاد فارس والهند، وهذا لا يعني أن المسلمين لم يتأثروا بغيرهم ويأخذوا عنهم، يقول ابن خلدون: "ومثل هذا وقع للعرب لمّا كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم"[2]، فعرفوا منهم التنظيمات الإدارية، واستعملوهم، واستفادوا منهم في الفنون والعمارة والطب وغيرها من المجالات والعلوم.

أ) **هجرة القبائل العربية وأثرها في تثبيت الفتح وانتشار الإسلام:**

كان لهجرة القبائل العربية واستيطانها في مناطق الفتح أثراً عظيماً في تثبيت الفتح الإسلامي فيها، ولم تكن هجرة العرب في عصر الفتوحات هي الهجرة الأولى التي تخرج فيها القبائل العربية قاصدة نواحي الشام والعراق، إذ نجد ذكر لهجرات وقعت فيما قبل العصر الجاهلي كهجرات الكلدانيين والبابليين والأكديين وغيرهم، بل ونجد ذكر لقبائل عربية سكنت تخوم بلاد الشام والعراق في أخبار الفتوح وكان لقومٍ منه ملك كالغساسنة والمناذرة[3].

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ت: أحمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م: ٢١١/١٣، حديث رقم: ١٦٨٩٤، وإسناده صحيح.

(٢) ابن خلدون، مقدمته: ١٣٦.

(٣) انظر: محب الدين الخطيب، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢،=

ولم تكن هجرة المسلمين العرب تتخذ شكلاً قبلياً كما حدث في هجراتهم الأولى قبل الإسلام، حيث كانت القبائل تهاجر بمجموعها طلباً للكلأ والماء، بل هاجروا ملبيين لفريضة من فرائض الإسلام وهي الجهاد، مع احتفاظهم بانتمائهم القبلي ورابطة الدم وافتخارهم بانتسابهم وهي الصفة التي تميز بها العرب عن غيرهم من الأمم، فكان الخليفة يبعث الى القرى والقبائل يستنفرها للجهاد، ثم بعد أن تحقق انتصار المسلمين الحاسم على الفرس والروم كان لابد لهم من مراكز ومعسكرات تشكل نطاق انطلاق الى آفاق أبعد لتحقيق فكرة الجهاد ونشر راية الاسلام، وهكذا انشئت الامصار الاسلامية الجديدة في العراق وخراسان والشام ومصر وشمال افريقية لتكون مراكز امداد وانطلاق لجيوش الفتح، وقد لقيت حركة الهجرة حماساً كبيراً من قبل العرب فخرجوا بأعداد كبيرة ازدادت تدفقًا بازدياد الانتصارات وتوسع الفتوح، ومن أبرز العوامل التي ساعدت على سهولة حركة هجرة القبائل العربية من عمق الجزيرة العربية إلى الأقطار الجديدة لدولة الخلافة واستيطان الثغور على الرغم من تعلق العربي الفطري بأرضه قربهم الزمني من أحداث هجرة النبيّ ﷺ وأصحابه إلى المدينة، إضافة إلى ما استقر في أنفسهم من عظم أجر المهاجر والمجاهد في سبيل الله.

وشكل استقرار القبائل العربية ببلاد خراسان وما وراء النهر عاملاً مهماً في تثبيت الفتح الإسلامي والحفاظ على مكتسباته إذ أثر كثيراً في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لسكان المنطقة، إضافة للإثر الإيجابي التي تركه على الخريطة السكانية للمنطقة من حيث التنوع السكاني إذ ذابت العناصر السكانية للبلاد المفتوحة في بوتقة الإسلام، وكما كان للفاتحين العرب حرية الاستيطان في أقطار دولة الخلافة كان لغيرهم من الشعوب التي انضوت تحت جناح

== ١٣٩٤هـ:٧-٢٥؛ منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م: ١٠٥-١٠٧.

دولة الخلافة كذلك حرية الحركة والتنقل والاستيطان حيثُ شاءوا إلاّ الحجاز، فقد حرص الخلفاء والأمراء على عدم غلبت الأعاجم عليها، كما اعتنوا بالحفاظ على توازن نسبة السكان فيها مع مواردها الاقتصادية والطبيعية.

ولم تكن الهجرة لخراسان والاستقرار فيها أمراً هيناً ميسوراً، بسبب كثرة حركات الانتقاض والارتداد فيها خاصة بعد فتنة مقتل عثمان ﷺ، وكانت بدايات الوجود العربي في خرسان قبل خلافة بني أمية على هيئة حاميات عسكرية مرابطة، إذ كان يترك فيها حاميات تحفظ للفتح استقراره بعد عودة الجيش المسلم إلى البصرة، ويشير إلى ذلك الطبري بقوله: "وكانوا إذا رجعوا ـ أي من غزو بلاد خراسان ـ خلفوا أربعة آلاف للعقبة"[1]، ويذكر اليعقوبي أن ابن عامر قسم خراسان إلى أربعة أرباع في خلافة عثمان ﷺ، ولعل المقصود أربع حاميات عسكرية محاولةً منه لضمان استقرار الفتح فيها، فكانت هذه الحاميات الأربعة هي بداية الاستقرار الإسلامي العربي في المنطقة، ولمّا كانت خراسان قاعدة متقدمة للقوات المسلمة في المشرق، فقد أراد الأمويون أن يجعلوها مركزاً لانطلاق الفتوح لما بعدها من البلاد، لذا كانت بدايات الاستيطان الفعلي والاستقرار فيها في عهد معاوية ﷺ، فنجد أخباراً على انتقال العرب وسكناهم بلاد خراسان في عهده، ومن ذلك ما ذكره البلاذري أن والي مرو أمير بن أحمر اليشكري أول من أسكن العرب فيها، ونجد واليه على العراق زياد بن أبي سفيان يسكن خمسين ألف عائلة من الكوفة والبصرة خراسان دون النهر، واستقر فيها أيضاً قوات عربية من أهل الشام من أهل فلسطين وحمص وقنسرين ودمشق، وكانت موضع اعتماد القادة والولاة الأمويين[2].

---

(١) الطبري، تاريخه: ٦٣٣/٢.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٠٠؛ اليعقوبي، تاريخه:١١٦/٢؛ صالح العلي، استيطان العرب في خراسان،=

واستمرت الهجرات تتوالى على بلاد خراسان وما وراء النهر، إذ رغب كثير من المسلمين العرب في الهجرة إليها بدافع الالتحاق بحركة الفتح والجهاد في الميادين الشرقية للدولة الإسلامية آنذاك، "ورغب قومٌ في الجهاد فطلبوا إليه أن يخرجهم ـ يقصد سلم بن زياد ـ ... وكان الناس يكلمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه"(١)، ومما يدل على الرغبة القوية عند أهل العراق في الهجرة إلى خراسان أن سلم كان ينتخب الوجوه والأعيان وأصحاب الشأن للخروج معه، فخرج بخروجهم خلق كثير من قبائلهم وعشائرهم ـ وإن لم تشر الرواية إلى ذلك ـ واستقروا بها، واستقرارهم يعني عنايتهم بجميع جوانب المهام الحياتية المختلفة، من بيع وشراء وزراعة وبناء وغير ذلك مما تقتضيه عمارة الأرض واستيطانها، وانتشر العرب واستقروا في جميع أنحاء بلاد خراسان في المدن والقرى والقلاع والحصون، حتى لم تخل مدينة أو قرية من وجود العرب بها، ويذكر السمعاني في وصفه لبلدة خلم بأنها من بلاد العرب، وقد أوجز اليعقوبي ذلك بقوله: "وفي جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن"(٢).

وفي بلاد ما وراء النهر اتخذ العرب من مدينة سمرقند قاعدة مهمة للحركات العسكرية منذ فتحها على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، واستوطن المقاتلة العرب مدينة بلخ التي فُتحت في ولاية عبد الله بن عامر وصارت قاعدة ثابتة للجيش المسلم الذي كان يكمل دوره بفتح أقاليم ما وراء النهر، وقد سكن العرب في بداية فتحهم لبلخ في منطقة البروقان والتي تبعد فرسخين عنها، وكانت

جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب والعلوم، ع: ٣، ١٩٥٨م: ٦٢.

(١) الطبري، تاريخه: ٣/٣٤٥.

(٢) أحمد بن إسحاق اليعقوبي، كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ: ١٢٥؛ وانظر: السمعاني، الأنساب: ٥/٨، ١٨٠.

في ذلك الوقت خراباً، فعمروها إلى أن نقلهم أسد بن عبد الله القسري في سنة (١٠٧هـ) إلى بلخ وذلك بعد أن فشا فيها الإسلام واستقر[١].

ويحسن بنا أن نشير إلى أن الأرض التي سكنها المسلمون وعمروها كانت إمّا أراضٍ غير مسكونة أو أموالاً وإقطاعيات للملوك والحكام، أو هجرها أصحابها كما فعل كثير من أهل كرمان، فآلت إلى الدولة الإسلامية تتصرف فيها، فعمرتها وأسكنتها جندها، وتركت لعامة الشعوب حرية التصرف في أراضيهم ومدنهم يعتنون بها ويتولون أمرها[٢].

ولم يكد يمضي القرن الأول الهجري حتى كانت النسبة إلى البلدان أو الحرف أو الصنائع، وغيرها من المعالم البلدانية والحضارية أمراً مألوفاً وواقعاً؛ فأصبحت الشهرة بالأصبهاني والسجستاني والرازي والمروزي والسمرقندي والهروي والجرجاني والبلخي والباقلاني والصيدلاني والجزار والبزار والسندي، وغيرها، "وقد كان وقع في صدر الإسلام الانتماء إلى المواطن، ... ولم يكن لاطّراح العرب أمر النّسب، وإنّما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النّسب يتميّزون بها عند أمرائهم"[٣]، ونظرة عابرة في كتب الرجال والبلدان تعطي كثيرة من الشواهد، وقد اعتبر بعض المؤرخين أهل خراسان فرساً دون التمعن في أسمائهم وأصولهم مستندين في ذلك إلى أن خراسان إقليم إيراني فارسي، لكن المؤرخين والإخباريين الأوائل استعملوا هذا المصطلح

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤١١؛ الطبري، تاريخه: ٦٣٢/٢، ١٢١/٤؛ العلي، استيطان العرب: ٧٥.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٨٣-٣٨٤؛ اليعقوبي، تاريخه :١٥١/٢؛ الطبري، تاريخه: ٤٥٨/٢، ٤٧١، ٤٩٥-٤٩٦.

(٣) ابن خلدون، المقدمة: ١٠٣.

"أهل خراسان" للدلالة على العرب المستقرين في خراسان، مثلما كان مصطلح أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل العالية وأهل الشام يستخدم للدلالة على العرب المستقرين في تلك الأمصار والنواحي(١).

ولقد أشارت بعض المصادر إلى استقرار عدد من الصحابة والتابعين وأبنائهم في خراسان، وقد قاموا بدورهم في تعليم أهلها الإسلام إلى جانب دورهم في الجهاد والفتوح، فعمروا المساجد وانطلقوا منها يدعون إلى الله تعالى حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً، ولم يمض زمن حتى اصطبغت تلك الأنحاء بالصبغة العربية الإسلامية ديناً ولغةً وحضارةً، وتبدو شواهد ذلك واضحة في الخطابة والكتابة، والدواوين والمراسلات والتوقيعات، وفي حلقات العلم وفي الوعظ والتذكير وفي خطب الجمع والعيدين، وفي التدوين والتأليف إلى غير ذلك من الأمور، وقد أشارت كتب الرجال إلى عدد هائل من العلماء المنسوبين إلى مدن خراسان وهم من أصول عربية، ولئن كانت حياة بعض من هؤلاء العلماء في أزمان متأخرة عن زمن الفتح فإن في جودهم هناك دلالة على وجود تلك الأصول واستقرارها في خراسان منذ أمد بعيد(٢).

ومما يدل على استقرار العرب في بلاد المشرق عامة وبلاد خراسان خاصة أسماء بعض المدن

---

(١) انظر: اليعقوبي، البلدان: ١٠٨؛ السمعاني، الأنساب: ١٤١/٣.

(٢) انظر: ابن حبان البستي، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م؛ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/٩٩٢م؛ تلخيص تاريخ نيسابور، ابن البيع محمد بن عبد الله النيسابوري، ترجمة: بهمن كريمي، كتابخانة ابن سينا، طهران؛ تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف السهمي، عالم الكتب، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م؛ تاريخ أصبهان، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م؛ تاريخ بيهق، ابن فندمه علي بن زيد البيهقي، دار اقرأ، دمشق، ط١، ٤٢٥هـ؛ وغيرها من كتب الرجال والتراجم.

والمواضع والسكك والدروب، إذ نقل العرب معهم إبان الفتح الإسلامي وبعده أسماء بعض قبائلهم ومدنهم ومواضعهم ومعالم مواطنهم في بلادهم الأولى إلى تلك الديار التي افتتحوها واستقروا فيها، ومن ذلك:

—**بشم**: موضع ببلاد هذيل، وسُمي به موضع بين الري وطبرستان(١).

—**مليح**: ماء باليمامة، وسُميت به قرية بهراة(٢).

—**قصر الأحنف** بمرو الروذ، سُمي بذلك نسبة للأحنف بن قيس(٣).

—**جهينة**: قبيلة من قبائل الحجاز، وأُطلق اسمها على قلعة بطبرستان(٤).

—**بُرسان**: بطن من بطون الأزد، وأطلق على قرية بسمرقند(٥).

—**جَرم**: قبيلة من اليمن، وسميت به مدينة ناحية بدخشان(٦).

—**الحيرة**: عاصمة المناذرة في العراق، أطلق على محلة في نيسابور وقرية ببلاد فارس(٧).

—**شوكان**: قرية مشهورة في اليمن ناحية ذمار، وسُميت بها بلدة في أطرف سرخس من بلاد خراسان(٨).

---

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان: ٣٣٩/١.

(٢) انظر: الحموي، معجم البلدان: ٣١٩/٤.

(٣) انظر: الحموي، معجم البلدان: ٥٥/٤.

(٤) انظر: الحموي، معجم البلدان: ١٠٠/٢.

(٥) انظر: السمعاني، الأنساب: ١٦٢/٢؛ الحموي، معجم البلدان: ٣٠٤/١.

(٦) انظر: السمعاني، الأنساب: ٢٥١/٣؛ الحموي: ٥٠/٢.

(٧) انظر: الحموي، معجم البدان: ٢٠٤/٢.

(٨) انظر: الحموي، معجم البلدان: ١٦٣/٣.

—**فنين**: موضع بنجد، وسُميت به قرية بمرو دُفن بها سليمان بن بريدة رضي الله عنه[1].

وغيرها من المدن والقرى والمواضع، وقد فعلوا ذلك في كل ناحية هاجروا إليها ليس في المشرق فحسب، بل حتى في الشام ومصر والمغرب والأندلس، لتبقى في أنفسهم ذكرى مواطنهم في جزيرة العرب حتى لكأنهم يعيشون في ديارهم التي هاجروا منها.

ونستطيع أن نقول بناءً على هذه الشواهد أنه لا يمكن أن يكون هذا الاتفاق في أسماء تلك المعالم ببلدان المشرق مع نظائرها في بلاد العرب أمراً من قبيل الصدفة، بل هي دلالة على حدوث هجرة عربية واسعة إلى بلدان المشرق، وعلى مبلغ الانتشار العربي الواسع في تلك البلاد.

ولم تكن الهجرة الشكل الوحيد من أشكال الاستقرار في بلاد المشرق، بل كان لبناء المدن والحواضر عظيم دور في تحقيق الاستقرار في المنطقة، وكانت في بداية أمرها عبارة عن معسكرات ومراكز ارتكاز وانتشار وامداد للجيش الإسلامي، ثم لا تلبث أن تضج بالحياة والسكان وتتحول إلى مدنٍ وحواضر زاهرة، ومن ذلك: مدينة عسكر مُكرم في الأهواز، ومدينتي المحفوظة والمنصورة بالسند والتي بناها الحكم بن عوانة الكلبي أيام خلافة هشام بن عبد الملك، إضافة إلى الأعمال الاستصلاحية التي قام بها المسلمون وتشير إلى اطمئنانهم إلى الأرض وعزمهم أن لا يغادروها، وقد بدأت هذه الأعمال مبكرة منذ الفتوح الأولى في العهد الراشدي، فهذا جزء بن معاوية يكتب إلى عمر رضي الله عنه يستأذنه في عمران بلاده، فأذن له فشق الأنهار وعمّر الموات، ويخبرنا البلاذري أن العرب في بلاد مكران عمروا الأرض وأدوا العشر واحتفروا القني، وفي أقصى الشرق في بلخ اتخذ عطاء بن السائب

---

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان: ٣/٤٤٨.

قناطر ثلاثة تسمى قناطر عطاء على نهر بلخ، ولابد لنا من الإشارة إلى قلة الأخبار التي تعُنى بنقل مثل هذه الظواهر العمرانية التي رافقت الفتح وعبرت عن مظاهر استقرار المسلمين[1].

إن استقرار العرب المسلمين في الأمصار وفي مدن البلاد المفتوحة أدى إلى إضعاف روح العصبية القبلية التي كانت سائدة قبل الإسلام، وكان لاختلاط القبائل وامتزاجها سواء بالجوار أو المصاهرة أثر في ذلك، وصار الانتماء للإقليم أو المدينة بدل الانتماء للقبيلة والجنس، فنجد ظهور لمصطلحات جديدة في كتب التاريخ والرجال كأهل الكوفة، وأهل البصرة، وأهل خراسان، وأهل الشام، وأهل العراق، وأهل مصر، ولأهل المغرب، مما يدل على ابتعاد العرب عن التعصب القبلي إلى أُفق أكثر اتساعاً متمثلاً بحياة المدينة، ويظهر أثر ذلك كله في منتصف القرن الثاني الهجري.

ب) الموالي عامل قوة واستقرار:

والمولى: لفظ مشتق من الولاء، والمولى في الشرع الإسلامي إمّا أن يكون مولى عتاقة، أو حلف، فمولى العتاقة هو العبد يعتقه سيده فينسب إليه، ومولى الموالاة يكون عادة بالحلف، يقول ﷺ: ((مولى القوم منهم، وحليفهم منهم))[2]، والباحثون في التاريخ الإسلامي حينما يذكرون الموالي يقصدون بهم كل من أسلم من غير العرب[3].

قال ابن الصلاح في مقدمته: "واعلم أن فيهم ـ يقصد رواة الحديث وعلمائه ـ من يقال فيه:

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٧٥، ٣٨٤، ٤٠٠؛ الطبري، تاريخه: ٤٩٧/٢؛ الحموي، معجم البلدان: ٣٢٨/٣، ٣٣٠/٤.

(٢) ابن حنبل، المسند، حديث رقم: ١٨٨٩٣، وإسناده حسن.

(٣) انظر: محمد الطيب النجار، الموالي في العصر الأموي ومذيل ببحث عن الرق والولاء في الإسلام، دار النيل للطباعة، ط١، ١٣٦٨هـ،١٩٤٩م: ١٤.

"مولى فلان" أو "لبني فلان" والمراد به مولى العتاقة، وهذا هو الأغلب في ذلك. ومنهم من أطلق عليه لفظ "المولى" والمراد بها ولاء الإسلام، ومنهم أبو عبد الله البخاري: فهو محمد بن إسماعيل الجعفي مولاهم، نسب إلى ولاء الجعفيين لأن جدّه ـ وأظنه الذي يقال له الأحنف ـ أسلم ـ وكان مجوسياً ـ على يد اليمان بن أخنس الجعفي جدّ عبد الله بن محمد المسندي الجعفي أحد شيوخ البخاري. وكذلك الحسن بن عيسى الماسرجسي مولى عبد الله بن المبارك: إنّما ولاؤه من حيث كونه أسلم ـ وكان نصرانياً ـ على يديه"[1].

لقد نتج عن المعارك والفتوح التي خاضها العرب الفاتحون وقوع أعداد كبيرة من الأسرى والسبي بأيديهم، وخاصة في المدن التي فُتحت عنوة، فكانوا في حكم الغنيمة يقسمون بين دولة الخلافة وبين من حضر الوقيعة من المسلمين المقاتلين، ويقع عليهم الرق والعتق فيدخلون في نسيج المجتمع المسلمين إمّا مستخدمين أرقاء أو معتقين مسلمين موالين للعرب الفاتحين، ينتسبون إلى قبائلهم ويشتركون معهم في الحرب والقتال، ويفرض لهم في العطاء تبعاً، أو معتقين مستأمنين تجري عليهم أحكام الإسلام، وأمّا سكان البلاد المفتوحة صلحاً فكانوا يتركون أحراراً على أن يؤدوا الجزية، فمن أسلم منهم سقطت عنه الجزية وأصبح من الموالي حلفاً، وكان للفتوحات الإسلامية أثر كبير في تحرير العبيد الذين قُتل أسيادهم في الصراع بينهم وبين المسلمين أو فروا تاركين عبيدهم من غير أسياد، فأصبح هؤلاء من الموالي بعد دخولهم الإسلام.

ونظام الموالاة يحفّز الشعوب على قبول الإسلام ومن ثم استقرار الفتح، لأنّ دخولهم في ولاء

---

(١) ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن، معرفة أنواع علوم الحديث "مقدمة ابن الصلاح"، ت: نور الدين زعتر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٤٠٠.

الفاتحين يعزّهم ويكسبهم منعةً بذلك الولاء، حيث سيجدون عزوة ومنعة ورابطة يعتزون بها تعوّضهم عن رابطة كانت لهم قبل الفتح، أو تمنحهم رابطة لم تكن، وتجعلهم من نسيج المجتمع العربي المسلم، وقد أفرد ابن خلدون فصلاً في الحديث عن نظام الموالاة وتأثيره على المولى وعلى القبيلة من الناحية الاجتماعية يقول فيه: "أن الشرف بالأصالة، والحقيقة إنما هو لأهل العصبية، فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي، والتحموا به كما قلناه، ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبتهم، وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها، كما قال ﷺ ((مولى القوم منهم))؛ وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف، ... كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم واصطناعهم لا يتجاوزه إلى شرفهم، بل يكون أدون منهم على كل حال. وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم؛ فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها"[1].

وفي بداية العصر الأموي تولى كثير من الموالي وظائف إدارية وكتابية، ومن ذلك أن معاوية ﵁ اتخذ مولاه أيوب حاجباً له، وجعل على شرطته "يزيد بن الحر مولاه"، وكان حاجب عبد الملك بن مروان أبو يوسف مولاه، وكاتب رسائله أبو الزعيزعة مولاه، وكاتب ديوان الخراج والجند سرجون الرومي، وسليمان مولى خشين وهو من نقل ديوان الشام للعربية، وكان حاجب الوليد سعيد مولاه، ووكّل أمر كتابة رسائله وخاتمه لجناح مولاه، وجعل سليمان على بيوت الأموال والخزائن والرقيق والنفقات عبد الله بن عمرو مولى بني عامر بن لؤي، وكان حاجب هشام مولاه غالب بن مسعود، ورئيس حرسه مولاه نصير، وكاتب رسائله سالم مولى سعيد بن عبد الملك، ونال عبد الحميد الكاتب الحظوة عند مروان بن محمد فأولاه أمر كتابة رسائله، وبرز عدد من قادة بني أمية من الموالي، كطارق

---

(١) ابن خلدون، مقدمته: ١٠٧.

بن زياد ومغيث الرومي الذين كان لهم فضل ودور عظيم في فتح بلاد الاندلس، وحيان النبطي أحد قادة قتيبة بن مسلم في خراسان من الموالي، وأورد الطبري سير عددٍ من رجال الموالي الذين كان لهم رأي ومشورة وعلم بالحرب، منهم الفضل بن بسام مولى بني ليث، وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم، والبختري بن مجاهد مولى بني شيبان(١).

وقد تولى كثير من الموالي القضاء في القرن الأول، كشريح بن الحارث، ورجاء بن حيوة مولى بني كنده وكان وزيراً لسليمان بن عبد الملك، ومحمد بن سيرين وكان أبوه مولى لأنس بن مالك ﷺ، ولم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه، ولا أجرأ على تعبير الرؤيا منه، وميمون بن مهران الذي ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء الجزيرة الفراتية وجعله على خراجها، والحسن البصري وكان والده مولى لزيد بن ثابت ﷺ وكان قاضي البصرة، وغيرهم كثير من سادة علماء المسلمين وقضاتهم(٢).

وسيأتي الحديث عن الموالي كعنصر من عناصر الجيش المسلم.

ج) **التعريب اللغوي في بلاد المشرق:**

انتشرت اللغة العربية بانتشار الإسلام، ذلك أنها لسانه، فالقرآن عربي، والآذان عربي، فكان اعتناقه دافعاً إلى تعلم لغته والأخذ منها حتى صار الناس ـ كما قال بعض الدهاقين ـ "كلهم عرباً" أي عروبة لسان وحضارة لا عروبة عرق(٣).

---

(١) انظر: ابن خياط، تاريخه: ٢٢٨، ٢٩٩، ٣١٢، ٣١٩، ٣٦٢، ٤٠٨؛ الطبري، تاريخه: ٣٧/٤، ١٤٤؛ الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ٨٠.

(٢) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١٠٠/٤، ٥٥٧، ٥٦٣، ٦٠٦، ٧١/٥.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه: ١٣٠/٤.

والمتأمل لأخبار الفتوح يعلم أن اللغة العربية انتشرت أول أمرها بين بعض الطبقات الخاصة والتي كانت تتولى الأمور الإدارية للدولة الأموية، إذ استعانت الدولة الأموية ومن قبلها دولة الخلافة الراشدة بأصحاب الخبرات من الفرس والروم ـ وإن ظلوا على دينهم ـ في إدارة وتنظيم شؤون الدولة، خاصة بعد تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان، إذ أصبح لزاماً على كل من أراد العمل في دواوين الدولة أن يتعلم العربية بإتقان، وأن يُجمل خطه بها[1].

وكذلك كان للمرازبة والدهاقنة وغيرهم نصيب من تعلم اللغة العربية، وذلك لأن العرب تركوا أمر إدارة وتنظيم مجتمعاتهم لهم بموجب عقود الصلح وشروط الفتح، فكانوا همزة وصلٍ بين الدولة الأموية وبين شعوبهم، وبحكم هذه المهمة أخذوا حظهم من اللغة العربية بالقدر الذي يسمح لهم بالقيام بمهمتهم، وربما اتقنوها.

ولم تكن صلة اللغة العربية وأهل البلاد مقصورة على هؤلاء المرازبة والدهاقين، بل نجد اتصالاً مباشراً بينهم وبين العرب حيث كانت الحاميات العسكرية، لتبادل المصالح والمنافع الحياتية، ولعل فيما تتركه المعسكرات والشركات الأجنبية في البلاد العربية اليوم من آثار لغوية صورة مشابهة لما كانت عليه الحال في القرن الأول في خراسان وما وراء النهر.

ومن ذلك اللغة الأوردية، وهي من أعظم لغات القارة الهندية انتشاراً اليوم، وكلمة "أوردو" تعني المعسكر، والأوردية لغة هجينة ألفاظها غنية بالمفردات اللغوية العربية وخليط من لغات أهل الهند ومن اللغة الفارسية واللغة التركية، وتُكتب بالحرف العربي شأنها شأن الفارسية وغيرها من لغات

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ١٩٦-١٩٧، ٢٩٨.

الشعوب المسلمة[1].

والمتأمل في حال اللغة الأردية يظهر له أنها لم تنبت في القرن الثامن الهجري الخامس عشر الميلادي فجأة من فراغ، بل كانت نتيجة تمازج حضاري واجتماعي بين شعوب وألسنة عدة استغرق فترة زمنية تقاس بمئات السنين انتهت بظهورها كلغة هجينة تجمع ألسن المسلمين في الهند على اختلاف مشاربهم وأعراقهم.

ولقد تمثل التعريب لا فيما يُنطق على ألسنة الناس فحسب، بل وحتى في أسمائهم، إذ يروي لنا البلاذري أنه لمّا "مات سلمان بن عبد الملك وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز بعده كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام والطاعة على أن ملكهم ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلم حليشة بن داهر والملوك، وتسموا بأسماء العرب"[2].

وهكذا، كانت اللغة العربية ملازمة للإسلام في انتشارها وتمددها، وذلك أن "اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب"[3]، فصارت لغة العلوم والفنون والتصانيف، وتركت بصمتها في اللغات من حولها إن شئت حرفاً وإن شئت فناً، وإن شئت مصطلحات وألفاظ وتراكيب لغوية، وكان تأثيرها على اللغات المشرقية بيناً واضحاً في حرفهم وفي مصطلحاتهم العلمية واليومية حتى يومنا هذا.

---

(١) انظر: لوبون، حضارات الهند: ٤٧٩؛ أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة: ٢٥/١؛ عبد الحي الحسني، الهند في العهد الإسلامي: ٧٣؛ محمود حجازي، مدخل إلى علم اللغة: ١٨٥.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٩.

(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت: ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م: ٥٢٧/١.

ثالثاً: المقوّمات العسكرية:

تعددت مقومات وعناصر قوات الفتح إسلامي، وكان أبرزها العنصر البشري ـ القادة والجند ـ، فقد تولى قيادة القوات الإسلامية في العصر الأموي قادة أكفاء فتح الله على أيديهم البلاد وقلوب العباد، وقد تميز خلفاء بني أمية في اختيار قيادتهم العسكرية والإدارية تميزاً غبطهم عليه بعض خلفاء بني العباس، فنجد منهم عناية بالنواحي الإدارة والمالية لتجهيز الجيوش، إذ اعتنوا بتعريب دواوين الجند وضبطها، وساروا على نهج عمر بن الخطاب ﷺ في صرف رواتب للجند وأسرهم، وإنشاء معسكرات وربط خاصة تشكل نقاط ارتكاز وإمداد للجيش المسلم، وحرصوا على صرف فيء كل إقليم فيه، واعتنوا بالخراج عناية خاصة، واعتنوا بتجهيز جيوش الفتح بكل ما يُحتاج إليه لتكون وافية العدة، صالحة لمواجهة الأعداء في كل الظروف وشتى المناسبات.

أ) **حسن اختيار القيادات العسكرية:**

عُرّفت القيادة العسكرية بأنها "فن التأثير على الرجال وتوجيههم نحو هدف معين يضمن طاعتهم واحترامهم وولاءهم وتعاونهم"(١).

وتعتبر القيادة الناجحة من أهم عوامل تحقيق النصر الحاسم في المعركة، وقد كان لصفا ت القائد أهمية في نجاح المعركة، إذ مهما توفرت شروط التمكين والنصر من إعداد وتدريب وتسليح وتنظيم للجيش فلا جدوى من ذلك كله إذا لم يكن القائد "كامل العقل ثابت القلب، تام الشجاعة وافر اليقظة، كثير الحذر شديد الحزم، بصيراً بأحكام الحروب ومواضع الفرص منها، عارفاً بالحيل والمكايد والخداع، عالماً بتدبير العساكر وترتيب الجيوش، خبيراً بالطرق مجتهداً في الخال الأمن على

---

(١) محمد محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م: ٢٧٥.

عساكره ...، عارفاً بالخيل وشياتها وآلاتها والقيام بمصالحها، وأصناف السلاح وما يستحسن منها وما يليق من لبسه من أنواعها في كل وقت من أوقات الحرب، مع كونه حسن السيرة، طاهر السريرة، نقي الجيب، صالح النية، سخياً ببذل المال مرتاحاً لطلبه، مؤثراً العفو على العقوبة، والصفح على المؤاخذة، وإذا وعد وعداً أنجزه، وإذا قال قولاً فعله"(١).

وعندما تولى معاوية رضي الله عنه الخلافة حرص على تعيين القادة الموالين له، ولكنه في الوقت نفسه لم يستبعد الشروط الأخرى الواجب توفرها في القائد، فكانت له قدرة وفراسة في معرفة من يصلح للقيادة، ومن تتوفر فيه صفات القائد الذي يتصف بالحزم ورسوخ العقيدة والثقة بالنفس وتحمل المسؤولية والأمانة.

وقد ظهر في تاريخ دولة بني أمية عدد من القادة الذين كان لهم شأن ودور في نجاح حركة الفتوحات الإسلامية، وأصبحت أساليبهم في إدارة المعارك نماذج رائعة تدرس في فن القيادة، منهم:

- **الربيع بن زياد الحارثي** رضي الله عنه (ت:٥٣هـ): استعمله زياد على خراسان عام (٥١هـ) ففتح بلخ صلحاً، وقُهستان عنوة(٢).
- **عبد الرحمن بن سمرة** رضي الله عنه (ت: ٥٠هـ): استعمله عبد الله بن عامر على سجستان، فاستعاد كابل وبُست رزان وخُشك الرُّخج وزابلستان ونسف(٣).

---

(١) عمر بن إبراهيم الأنصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، ت: جورج سكانلون، القاهرة، ١٩٦١م: ٤١.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٢٤٠/٣؛ ابن الأثير علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م: ٨٣/٣.

(٣) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٨٨.

- **عبد الله بن سوار العبدي** (ت:هـ): ولاه معاوية رضي الله عنه غزو ثغر الهند، فغزا القيقان، ثم وفد إلى معاوية وأهدى إليه خيلاً قيقانية، ثم رجع إلى القيقان وثار عليه الترك، فقتلوه[1].
- **سنان بن سلمة** بن المحبق الهذلي (ت:هـ): استعمله زياد على ثغر الهند، ففتح مكران عنوة ومصرها وأقام بها وضبط البلاد[2].
- **راشد بن عمرو الجديدي** (ت:هـ): استعمله زياد على ثغر الهند، فغزا مكران والقيقان، فظفر، ثم غزا الميد فقتل بها شهيداً[3].
- **المنذر بن الجارود** العبدي (ت:هـ): استعمله زياد على ثغر الهند، فغزا البوقان والقيقان وفتح قصدار[4].
- **الحكم بن عمرو** الغفاري رضي الله عنه: ولاه زياد على بلاد خراسان عام (٤٥هـ)، ففتح الصغانيان عام (٤٨هـ)، وعبر النهر، ويعتبر أول فاتح لبلاد ما وراء النهر[5].
- **عبيد الله بن زياد**: استعمله معاوية رضي الله عنه على خراسان عام (٥٤هـ)، ففتح راميثين وبيكند، وهما من بلاد بخارى، وكان شجاعاً مقداماً، يقول أحدهم:"ما رأيت أحداً أشد بأساً من عبيد الله بن زياد، لقينا زحف من الترك بخراسان، فرأيته يقاتل فيحمل عليهم فيطعن فيهم ويغيب عنا، ثم يرفع رايته تقطر دماً"[6].

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢١.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢١.

(٣) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٢.

(٤) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٢.

(٥) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٠٠؛ الطبري، تاريخه: ٢٠٤/٣، ٢١٦-٢١٧.

(٦) الطبري، تاريخه: ٢٤٤/٣، انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٠١؛ الطبري، تاريخه: ٢٤٢/٣، ٤٧٩.

- **سعيد بن عثمان** بن عفان: استعمله معاوية ﷺ على خراسان عام (٥٦هـ)، ففتح بخارى وسمرقند وترمذ صلحاً[١].

- **سلم بن زياد:** استعمله يزيد بن معاوية على خراسان وسجستان عام (٦١هـ)، ففتح خوارزم وبخارى وسمرقند صلحاً[٢].

- **المهلب بن أبي صفرة:** غزا ثغر السند في خلافة معاوية ﷺ (٤٤هـ)، ولاه مصعب بن الزبير حرب الخوارج الأزارقة بعد أن أجمع عليه أهل البصرة أمرهم، فأجلاهم إلى الأهواز، وقد عرف له عبد الملك بن مروان فضله، رغم أنه كان من قادة مصعب بن الزبير، فغضب على والي البصرة خالد بن عبدالله القسري بسبب إرساله أخاه لقتال الخوارج وإهماله المهلب، فكتب إليه مقرعاً: "فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك أعرابياً من أهل مكة على القتال وتدع المهلب إلى جنبك يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها، ابنها وابن أبنائها ....، فإذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيه برأي حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه"[٣]، إذ كان ذا رأي وصاحب خدعة، ثم ولاه حرب الخوارج بعد عزل خالد عن ولاية البصرة، فما زال في حربهم حتى قضى عليهم عام (٧٧هـ)، فاستعمله الحجاج على خراسان عام (٧٩هـ)، فغزا بخارى، وفتح كش وبلاد الختل صلحاً[٤].

لقد كان المهلب يقاتل برأيه كما يقاتل بسيفه، وقد أعانه على إحراز انتصاراته الساحقة على الخوارج أولاده، فقد وقع إلى الأرض من صلبه ثلاثمائة ولد؛ قال عبد الرحمن الكلبي عندما

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٠١؛ الطبري، تاريخه: ٢٤٩/٣.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٠٣؛ الطبري، تاريخه: ٣٤٥/٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ:٤١١/٣.

(٣) الطبري، تاريخه: ٤٢٦/٣، ٢٠٥، ٥٢٨-٥٢٩.

(٤) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢١؛ الطبري، تاريخه: ٦٠١/٣، ٦١٥، ٦١٦، ٦٣٢-٦٣٣، ٦٣٤.

رأى أولاد المهلب قد ركبوا عن آخرهم لحرب الخوارج: "آنس الله الإسلام بتلاحقكم، أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة إنكم أسباط ملحمة"[1]؛ وقد وصفهم أحدهم للحجاج فقال: "المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك سم ناقع، وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة.. كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها"[2]؛ وقد عرف الحجاج فضل المهلب فكان يكرمه ويجلسه إلى جانبه، وولاه خراسان عام (٧٨هـ)[3].

- **يزيد بن المهلب**: استعمله أبوه على كرمان عام (٧٧هـ)، ثم لمّا حضرته الوفاة استخلفه على خراسان، وأقره الحجاج، ففتح خوارزم، والبُتّم، وغزا نيزك باذغيس ففتح قلعته عام (٨٤هـ)، ثم عزله الحجاج، فالتحق بسليمان بن عبد الملك، فلمّا تولى الخلافة ولاه خراسان، فغزا جرجان وطبرستان وفتحها[4].

- **قتيبة بن مسلم** الباهلي: استعمله الحجاج على خراسان عام (٨٦هـ)، فاستعاد الطلقان والصغانيان وطخارستان عام (٨٦هـ)، وبيكند عام (٨٧هـ)، ونومشكث ورامثينه عام (٨٨هـ)، وفتح بخارى والطلقان عام (٩٠هـ)، وفتح مررروذ والطلقان والجوزجان، وقتل نيزك باذغيس، وغزا شامان وكش ونسف عام (٩١هـ)، وصالح سجستان عام (٩٢هـ)، وصالح خوارزم وفتح

---

(١) ابن خلكان أحمد بن محمد البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت: ٢٨٤/٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٧٠/٣.

(٣) انظر: ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٣٦٨/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٧٠/٣.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه: ٦٣٤/٣، ٦٥٠، ٦٥٦، ٦٨٤، ٤٤/٤، ٤٩، ٨٢.

سمرقند وحطم أصنامها عام (٩٣هـ)، وغزا بلاد الشاش وفرغانة عام (٩٤-٩٥هـ)، وفي عام (٩٦هـ) وصل إلى بلاد كاشغر فغزا حدود بلاد الصين، وكان يستعين بأخويه عبد الرحمن (ت:٩٦هـ) وصالح (ت:٩٦هـ)، إذ كان لهما دوراً كبيراً في نجاح فتوح قتيبة ببلاد ما وراء النهر(١).

- **مجاعة بن سعر** التميمي: استعمله الحجاج على ثغر الهند، فتح ناحية من قندابيل(٢).
- **محمد بن القاسم** الثقفي: ولاه الحجاج فتح بلاد السند، ففاح الديبل وحطم أصنامها، وفتح نيرون صلحاً، وتوالت مدن وقرى وادي السند تفتح أبوابها تبعاً للجيش المسلم، وانتصر في معركة الراور التي قتل فيها داهر ملك السند، وفُتحت كافة أراض وادي السند السفلى وعاصمتها برهمان آباد، وأعالي واد السند، وعاصمته الملتان والتي كانت تعرف بفرج الذهب عام (٩٥هـ)(٣).
- **سعيد بن عمرو الحرشي**: استعمله عمر بن هبيرة على خراسان عام (١٠٣هـ)، ففتح خجنده الصغد عام (١٠٤هـ)(٤).

وبرز من أمراء من البيت الأموي عدد من القادة العسكريين، منهم يزيد بن معاوية، وبشر بن مروان، ومسلمة بن عبد الملك، ومروان بن محمد، وكانت قوة الخليفة أو الوالي هي السند الأكبر في تعزيز قوة القادة، فقبيلة باهلة التي ينتمي إليها قتيبة بن مسلم لم يكن لها شأن يذكر، ومع ذلك حظي قتيبة بتأييد الحجاج ودعمه، وجعل صهره محمد بن القاسم على رأس جيشٍ عظيم على الرغم من

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٦٧٠، ٦٧٣، ٦٧٧، ٦٨١-٦٨٤، ٤/٣-٨، ١١، ١٩، ٢١، ٢٦، ٣٠، ٣٩.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٣؛ سعد الغامدي، الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند: ٣٩-٤٠، ٤٣، ٤٥.

(٣) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٤-٤٢٧؛ الطبري، تاريخه: ٣/٦٨١.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٩٨، ١٠١-١٠٣.

وجود كثير من الخبرات العسكرية ووجهه لفتح بلاد السند، واختار هشام بن عبد الملك نصر بن سيار لولاية خراسان بالرغم من عدم وجود عشيرة له فيها لأنه رأى فيه بأساً وحزماً وتجربةً[1].

ب) عناصر الجيش الأموي:

تشكل جيش الخلافة الأموي من عنصرين اثنين: العرب، والموالي، وقد كان العرب مادة الجيش الإسلامي في بداية حركة الفتوح وعماده، ورغم اعتماد الأمويين على العنصر العربي في بناء وتوسيع قواتهم العسكرية إلاّ أن ظروف الفتح واتساع رقعة البلاد الجغرافية ودخول كثير من أهلها الإسلام، دفعهم إلى الاستعانة بالمهارات العسكرية لأهل البلاد المفتوحة باختلاف أجناسهم، فانضوى تحت لواء جيش الخلافة أجناس متعددة كالفرس والترك والروم والبربر وغيرهم، وهم ما يُسمى في عرف المؤرخين المسلمين بالموالي.

لقد كان العرب منذ جاهليتهم مفطورين على حب الفروسية والنجدة، وساعدتهم بيئتهم الحربية على تنمية غريزة القتال فيهم، إذ اشتهر العرب بأيامهم وحروبهم التي كانت لا تكاد تنقطع، ونجد في أخبارهم وأشعارهم ذكر لجملة من الحروب كداحس والغبراء، وحرب البسوس، وحرب الفِجار، كما كانت لهم مع الفرس صولات وجولات، ومن أشهر أيامهم يوم الصفقة ويوم ذي قار، فلم يكونوا غرباء عن الحروب وفنونها، ولا عن السلاح وآلاته، بل كانوا ذوي خبرة تليدة وتجربة عريقة، متأصلةً فيهم الصفات الحربية، حيث تمرّس أسلافهم على خوض الحروب منذ الجاهلية، وتميزوا بأسلوب حياة يحفزهم على القتال إمّا دفاعاً أو بغياً، فالعربي إمّا بدوي يرعى الإبل والشياه، ويحمى لها الحمى حيث الكلأ والماء، وإمّا حضري مدني يحترف التجارة ويحرص على حماية أمواله وقوافله مما

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/١٩٠.

يعرض لها من أخطار، ثم هو من جهة ثالثة فاتك أو قاطع طريق يعيش على سلب القوافل ونهبها ويرى في ذلك بطولة وعزاً وشهامة، وحياة هذه طبيعتها تتطلب أن يتصف من يحياها بالقوة والشجاعة والاستعداد للقتال في كل وقت وحين، فصديقاه خيله وسلاحه، لا يغفل عنهما حيث ما كان(١).

فلمّا جاء الإسلام جمع العرب ووحدهم تحت رايته، وجمعهم على قلب رجلٍ واحد، وقضى على أسباب الفرقة والتشاحن بينهم، ووضع لهم قوانين ونظم غيرت من طريقتهم في الحياة، فما عادوا يحتكمون للقتال، بل صار لهم شرع وقانون رباني يجردون السيوف لحمايته والدفاع عنه.

وهكذا، فإن طبيعة المسلمين الحربية التي انحدرت إليهم من البيئة العربية الجاهلية كانت خيراً وبركة على الإسلام والمسلمين، وعاملاً مهماً في نجاح حركة الفتح الإسلامي.

أمّا الموالي فقد عرفهم الجيش المسلم منذ عهده الأول بعد هجرة النبيّ ﷺ إلى المدينة، إذ انضوى تحت لوائه صحابة أجلاء من غير العرب كبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وخباب بن الأرت ﷺ، وقد أمدوا الجيش المسلم بخبرات قومهم العسكرية، إذ أشار سلمان على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، في حين برع صهيب في الرماية وخباب في صناعة السلاح، وقد أشار البلاذري إلى أن عمر ﷺ فرض لأهل بدر عربهم ومواليهم وعبيدهم، وأنه كتب إلى أحد عماله يؤنبه على فرضه العطاء للعرب وتركه الموالي: "أمّا بعد، فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم"(٢)،

---

(١) اعتاد المؤرخون أن يطلقوا لفظ يوم وأيام على تلك الحروب، وعلّل ابن منظور ذلك بأن أغلب حروبهم كانت نهاراً، وإن كانت ليلاً سموها ليلة. انظر: ابن منظور، لسان العرب: ١٢/٦٥٠؛ وللاستزادة انظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقيق: عادل البياتي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م؛ محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) البلاذري، الفتوح: ٤٤٣.

كما كتب إلى أمراء الأجناد: "ومن اعتقتم من الحمراء فاسلموا فالحقوهم بمواليهم لهم مالهم وعليهم ما عليهم، وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلهم أسوتهم في العطاء"(١).

وقد كان الأساورة من أوائل العناصر غير العربية التي استخدمت ضمن جيش الفتح الإسلامي، وهم قوة عسكرية فارسية كانت تقاتل العرب في منطقة الأحواز، فلما رأوا هزائم الفرس تترا رغبوا في الإسلام على أن تكون لهم نفس حقوق العرب في العطاء، فسكنوا البصرة ودخلوا في حلف بني تميم وصاروا من مواليهم، وشاركوا في فتوح تستر وخراسان(٢).

كذلك كان الوضع بالنسبة لعناصر الجيش الفارسي من غير الفرس، كحمراء الديلم، وكانوا جنداً خاصة لكسرى الفرس، وأمد بهم رستم في القادسية فقاتلوا معه، وقد اعتزلوا القتال بعد هزيمة رستم، وطلبوا الأمان من العرب المسلمين فأمنوهم، فاسلموا، والتحقوا بجند المسلمين، وانزلهم سعد رضي الله عنه الكوفة، وفرض لهم في العطاء، ودخلوا في حلف بني تميم وشاركوا في فتح المدائن وجلولاء، والتحق بهم أيضاً جماعات من السيابجة والزط والاندغار، وأصل هؤلاء السيابجة والزط من السند، وقد وقعوا تحت الاحتلال الفارسي فاستعملوهم كقوة عسكرية يخضعون بهم غيرهم من الشعوب، واسكنوهم على سواحل الخليج العربي، أمّا الاندغان فهم من بلاد كرمان، وقد الحقهم أبو موسى الأشعري بالأساورة، فأسلموا وانضووا تحت ظل دولة الخلافة الراشدة، وصاروا من جند المسلمين(٣).

---

(١) البلاذري، الفتوح: ٤٤٤؛ وانظر: ٤٤٢، ٤٤٦.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٦٦-٣٦٧؛ الطبري، تاريخه: ٥٠٣/٢-٣٠٦؛ صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٣م: ٦٩.

(٣) انظر: البلاذري، الفتوح: ٢٧٩، ٣٦٦-٣٦٩، الحموي، معجم البلدان: ١٣٣/٤.

ولم يقتصر الأمر على الفرس، فقد قدم عبيد الله بن زياد بقومٍ من الترك من بلاد بخارى إلى البصرة واسكنهم فيها، وكانوا رماة ماهرين، ويبدوا أن قوة بأسهم ومهارتهم في الرماية من أسباب اعتماد ابن زياد عليهم، فاستخدمهم لحفظ الأمن إخضاع المتمردين وسموهم الناس ببخارية زياد(١).

وشارك الموالي في كثير من فتوح البلاد الواقعة على تخوم خراسان وبلاد ما وراء النهر، فعندما فتح قتيبة الشاش وفرغانة سنة (٩٤هـ) فرض على أهل بخارى وكش ونسف أن يمدوه بعشرين ألف مقاتل، ونجد ذكر لقومٍ من ترك بخارى وخوارزم في جيش قتيبة بن مسلم عند حصاره سمرقند، وكانت لهم كتيبة خاصة في جيش قتيبة أشار إليها الطبري في حديثه عن خبر مقتل قتيبة بن مسلم: ".. والموالي سبعة آلاف عليهم حيان، وحيان يقال إنه من الديلم، ويقال: إنه من خراسان، وإنما قيل له نبطي للكنته"(٢)، وقد صحب يزيد بن المهلب عند فتحه جرجان عدداً من الموالي، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز كان هناك عشرين ألفاً من الموالي في خراسان يحاربون مع جيش الخلافة، وكان في جيش نصر بن سيار آخر ولاة الأمويين لمّا فتح بلاد الشاش سنة (١٢١هـ) عشرون ألفاً من أهل بخارى وسمرقند وكش وأشروسنة، وكانت في الجيش الأموي فرقاً من الموالي خاصة على رأسها قادة منهم، كحريث بن قطبة وأخيه ثابت وحيان النبطي(٣).

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الموالي لم يكونوا يتعرضون للطغيان الذي رزحوا تحته أيام حكم الدولة الساسانية بعد الفتح، إذ كان التجنيد الإجباري يقع على كل رجلٍ قادر على حمل السلاح،

---

(١) انظر: ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ: ٢١٥/١؛ البلاذري، الفتوح: ٣٦٩.

(٢) الطبري، تاريخه: ٣٧/٤.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه: ٦٣٣/٣، ١٥/٤، ٣٧، ٤٩، ٦٤، ٢٠٠.

ولم تكن تدفع لهم مرتبات غالباً، بل هم تبع لصاحب الأرض التي يسكنونها ويزرعونها، أمّا تحت ظل دولة الخلافة الإسلامية فكان الأمر يعود إليهم إن شاءوا ـ بعد إسلامهم ـ أن يكتتبوا في ديوان الجند أو أن يكونوا من المتطوعة فلهم ذلك، ولم يكونوا يحملون على القتال قهراً كما كان الحال قبل الفتح الإسلامي[1].

ج) **التنظيمات العسكرية:**

أصبحت عملية إعداد الجند وتهيئة المقاتلين في العهد الأموي أكثر صعوبة، ذلك أن الفتن التي سبقت قيام دولة بني أمية أثرت في توجهات جند العراق القتالية، إذ وجد معاوية ﷺ تكاسلاً من أهل الكوفة في قتال الخوارج، فاتخذ اجراءات للحد من هذه الظاهرة: فرّغب رؤساء القبائل في ولائه، وأسكن جنداً من الشام في العراق، إضافة إلى حمل الناس على الخروج للقتال بفرض العقوبات الجزائية، ويمكننا اعتبار ولاية زياد بن أبي سفيان على البصرة سنة (٤٥هـ) البداية الحقيقية للتشديد في النفير ومعاقبة المتخلفين، إذ فرض أشد العقوبات على من يجرؤ من الجند على ترك النفير والتخلف عن القتال، فهو "أول من شد أمر السلطان، وأكد الملك لمعاوية، والزم الناس الطاعة، وتقدم في العقوبة، وجرد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة، وخافه الناس في سلطانه خوفاً شديداً حتى أمن الناس بعضهم بعضا، حتى كان الشيء يسقط من الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها، وساس الناس سياسة لم ير مثلها، وهابه الناس هيبة لم يهابوها أحدا قبله"[2].

---

(١) انظر: حسن بيرنا، تاريخ إيران القديم: ٣٩٧، ٤٠١؛ كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين: ٣٠٦-٣٠٧.

(٢) الطبري، تاريخه: ١٩٨/٣، وانظر: ١٦٩/٣، ١٨٣.

ولمّا تولى الحجاج العراق عام (٧٥هـ) فرض عقوبة شديدة تصل للإعدام على من يتخلف عن الخروج للقتال، فقد أعلن في خطبته عند قدومه الكوفة والياً عليها أن من وُجد في الكوفة من جند المهلب بعد ثلاثة أيام ضربت عنقه، وأوكل تنفيذ الأمر لعرفاء الجند وطلب منهم الحاق الجند بالمهلب واستلام البراءات منه بموافاتهم، وجعل الإعدام عقوبتهم إن أخلوا بعملهم أو تباطأوا في تنفيذه، وقد نفذ وعيده[1].

وقد أثمرت هذه الاجراءات إذ ازدادت أعداد المقاتلة في العراق خلال مدة ولاية زياد، فأصبح عدد المقاتلة في البصرة في عهده ثمانين ألفاً، وفي الكوفة ستين ألفاً، واستطاع الحجاج أن يجند لقتال الخوارج من الكوفة وحدها خمسين ألف مقاتل، وبلغ عدد جيش قتيبة بن مسلم في خراسان حوالي أربعة وخمسين ألف مقاتل، كما استطاع الحجاج في سنة (٨١هـ) أن يجهز جيشاً قوامه أربعون ألف مقاتل من مقاتلة البصرة والكوفة وسيره إلى سجستان لقتال الترك بقيادة عبدالرحمن بن الأشعث (ت:٨٥هـ)، وجهزهم بكل ما يحتاجونه من السلاح، وزودهم بالخيول الروائع حتى سمي الجيش بجيش الطواويس لحسن هيئتهم[2].

ولم يكن الأمويون أول من ابتدع أمر التجنيد الإلزامي للمقاتلين، إذ يعتبر ديوان الجند الذي أنشأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أول تنظيم فعلي لتجنيد المقاتلين الإلزامي، وكان عبارة عن سجلات يدون فيها أسماء المقاتلين وأنسابهم وأوصافهم وسلاحهم وخيولهم ومقدار أعطياتهم بحيث يسهل على الأمراء والقادة استنفارهم عند الحاجة، ورتب راتباً سنوياً لكل جندي وراتباً لولده وأهله يُصرف في

---

(١) انظر: أحمد بن يحيي البلاذري، أنساب الأشراف، ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م: ٢٧٦/٧؛ الطبري، تاريخه: ٥٤٧/٣-٥٤٨.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٤٤-٣٤٥؛ الطبري، تاريخه: ٥٨٠/٣، ٦١٧، ٦١٨، ٣٦/٤.

شهر الله المحرم من كل عام، فما دام المقاتل قد ضمن عطاءه وعطاء أهله فقد لزمه الجهاد إذا دعي إليه، وكان يناله العقاب الأدبي الصارم إذا تخلف، فتنزع عمامته ويقام في الناس ويشهر به، وسار على ذلك الخلفاء من بعده[1].

"والديوان موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق الأقاليم من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال"[2]، وحدد ابن خلدون وظائف الديوان بإحصاء واردات الدولة المالية وصادراتها، وإحصاء الجند بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أبانها[3].

وقد صار الديوان مؤسسة كبيرة تحظى باهتمام الخلفاء والولاة الأمويين نتيجة حركة الفتوح واتساع رقعة الدولة الاسلامية، وانفرد كل مصر من الامصار الاسلامية بديوانه، وتولى ديوان الجند العناية بكل ما يتعلق بالشؤون العسكرية كإعداد الجند واحصائهم وتولي استدعائهم للحملات العسكرية وبيان استحقاق كل منهم من الأرزاق والعطاء وتجهيزهم بالسلاح والعدد والمهمات الحربية، وأصبح أولئك المقاتلون جنداً نظامياً متفرغون للجهاد في سبيل الله والذود عن حياض الإسلام ودياره، فكان الولاة والقادة إذا ما أرادوا الإعداد لحملة عسكرية احضروا دفاتر الديوان وانتخبوا منها من أرادوا من المقاتلين[4].

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٤٥؛ الطبري، تاريخه: ٣٧٩/٢، ٤٧٨؛ علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث، القاهرة: ٣٠٣، ٣٠٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٢٥/٣.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية: ٢٩٧.

(٣) انظر: ابن خلدون، مقدمته: ١٩٠.

(٤) انظر: الطبري، تاريخه: ٥٤٣/٣، ١٤/٤، ٣٣٠.

وقد سار الأمويون على القواعد التي وضعها عمر بن الخطاب ﷺ في تأمين أعطيات الجند من واردات الخراج والجزية، إذ يوزع عطاء كل ديوان من واردات إقليمه، وما زاد فيحمل إلى الخليفة ليضعه في بيت المال، أو لإكمال نقص أعطيات الأجناد في أمصار آخرى، أمّا إذا نقص عطاء الجند في إقليم ما فالخليفة ملزم بإتمامه من بيت المال، والغنم بالغرم[1].

ومن ذلك تسميت نهاوند[2] بماه البصرة، والدينور[3] بماه الكوفة، وسبب ذلك أنه لما كثر سكان الكوفة في خلافة معاوية ﷺ وما عادت تكفيهم موارد عطاءها المخصصة لهم، أضيفت إليهم واردات الدينور، وكذلك البصرة أُضيفت لمواردها موارد نهاوند فسميت نهاوند بماه البصرة، ومن ذلك ما فعله عبد الملك بن مروان لمّا كتب إلى الحجاج ينهاه عن نقل خراج خراسان للعراق، ويأمره أن "دع بيد المهلب خراج جبال فارس فانه لابد للجيش من قوة ولصاحب الجيش من معونة"[4]، وقد اتخذ عبد الملك هذا الإجراء حتى يضمن ثبات جند المهلب وزيادة أعدادهم إذا وجدوا سعة في الرزق.

وقد كان لجند خراسان أهمية خاصة عند خلفاء بني أمية، وقد عبر عمر بن عبد العزيز عن ذلك صراحة في رسالته إلى والي خراج خراسان عقبة بن زرعة الطائي، ونصها: "وليس من ثغور المسلمين ثغر أهم إليّ ولا أعظم عندي من ثغر خراسان، فاستوعب الخراج، واحرزه من غير ظلم فإن يك كفاك لأعطياتهم فسبيل ذلك، وإلاّ فاكتب إليّ حتى أحمل إليك الأموال فتوفر أعطياتهم"[5].

---

(١) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ٦٤.

(٢) مدينة عظيمة قُرب أصبهان، فُتحت في عهد عمر ﷺ. الحموي، معجم البلدان: ٤/٤٠٩.

(٣) مدينة قرب قَرميسين وتتبع لإقليم الجبال قريبة من همذان، ينتسب لها جماعة من العلماء وأهل الفضل، والنسبة لها دينوري. الحموي، معجم البلدان: ٢/٣٧٠.

(٤) الطبري، تاريخه: ٣/٦٠١.

(٥) الطبري، تاريخه: ٤/٧٠؛ وانظر: البلاذري، الفتوح: ٣٠٣؛ الطبري، تاريخه: ٣/٦٠١؛ الحموي، معجم البلدان:=

د) **العناية بالجيش وتجهيزاته القتالية:**

اهتمت الدولة الإسلامية منذ نشأتها بالإعداد والتنظيم العسكري، وذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1]، فنجد فيهم الفارس والراجل، والعيون والرماة، وكما تنوعت وظائف أفراد الجيش المسلم تنوعت كذلك أسلحتهم وأدواتهم، وكان كل مقاتل ملزمٌ بأن يهيئ سلاحه، إذ يُشترط على المقاتلة من أصحاب العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالسلاح والخيول كلٌ على حسب عطائه، وكانت الخيول توسم وتوقف للجهاد في سبيل الله، وقد أوقف عمر ﷺ أربعة آلاف فرس موسومة في سبيل الله، فكانت تعطى للمقاتل على أن يضمن رعايتها والعناية بها، فإن أصيبت في سبيل الله فليس عليه شيء[2].

ومع توسع رقعة الفتوح كثرت الغنائم وزادت الأعطيات، فأصبح من السهل على الجند اقتناء السلاح، وكان حرص بعض القادة يدفعهم إلى أن يفرضوا على المقاتلين تجهيز أنفسهم بكامل السلاح، فهذا كثير بن شهاب وكان على الري وقزوين في خلافة معاوية ﷺ يفرض على جنده تجهيز نفسه بـ"ترس ودرع وبيضة ومسلة وخمس أبر وخيوط كتان وبمخصف ومقراض ومخلاة وتليسة"[3]، واشترط الحجاج على كل من عطاءه ثلثمائة درهم أن يأتي بفرسٍ وسلاح شاكٍ وقوس

== ٤٠٩/٤.

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) انظر: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ت: طه عبد الرؤوف سعد: ٥٨.

(٣) البلاذري، الفتوح: ٣١٤.

مع ستين سهماً، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله ألاّ يقبلوا من رجل له في العطاء مائة دينار إلاّ فرساً عربياً ودرعاً وسيفاً ورمحاً ونبلاً[1].

وكان ولاة بني أمية يعتنون بتجهيز الجيوش، ومن ذلك تجهيز الحجاج لجيش ابن الأشعث، وتجهيزه لجيش ابن القاسم، وكذا كان القادة يعتنون بتفقد تجهيزات الجند، ويتشكل الجيش المسلم من الفرسان ـ الخيالة ـ، والرّاجلة ـ المشاة ـ، والرماة، ويشكلون عادة أساس الجيش[2].

ولماّ توسعت الدولة الإسلامية واختلطت بغيرها من الأمم وعرفت فنوناً وأسلحة جديدة للقتال، تنوعت عناصر الجيش المسلم وصار فيه ـ إضافة إلى عناصره الرئيسة ـ المنجنيقيون والفعلة:

وكانت مهمة **المنجنيقيون** صناعة وإعداد المنجنيق ونصبه والعناية به، والمنجنيق من أدوات الحصار، وآلية عمله رمي الحجارة الضخمة لهدم أسوار المدن المحاصرة وإحداث ثغراتٍ فيها، وكان حجم بعض هذه المنجنيقات ضخمٌ جداً، فقد استخدم محمد بن القاسم في حصار الديبل منجنيقاً ضخماً نُعت بالعروس، وكان يقوم على خدمته خمسمئة رجل من المنجنيقيون، وكان لقتيبة منجنيقاً كبيراً يُسمى بالفحجاء[3].

أمّا **الفعلة** ـ وهم مجموعة من العمال وأصحاب المهن والحرفين من البنائين والنجارين والحدادين وعادة ما يكنون من الموالي ـ فمهمتهم تقديم الخدمات التي تتطلبها العمليات الحربية من فتح الطرق ونصب القناطر والجسور والمعابر وحفر الآبار، ونجد لهم ذكراً في كثير من الأعمال الحربية والعسكرية،

---

(١) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ٢٧٨/٧؛ ابن سعد، الطبقات: ١٧٢/٥.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٤؛ الطبري، تاريخه: ٦١٧/٣-٦١٨، ١٥/٤.

(٣) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢٥؛ الطبري، تاريخه: ٨/٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ١٨/٤.

ومن ذلك عقدهم الأطواف لسعيد بن عثمان على نهر بلخ لعبور لتسهيل مهمة عبوره، وكذلك في ولاية الجنيد بن عبدالرحمن على خراسان سنة (١١١هـ)، وهدمهم لسور مدينة بيكند عام (٥٠هـ)، ولم تكن أعدادهم بالقليلة، إذ قُتل أربعين رجلاً منهم تحت ذلك السور، ونجد لهم ذكرٌ عند دخول يزيد بن المهلب طبرستان سنة (٩٨هـ) إذ وكل لهم مهمة فتح الطريق أمام القوات الإسلامية، فكانوا يقطعون الشجر ويصلحون الطريق تسهيلاً لمرور الجيش المسلم، واستخدمهم الحجاج في تخريب القناطر والجسور المؤدية إلى البصرة ليعيق تقدم قوات ابن الأشعث[1].

ويتبين لنا مما سبق أن دولة الخلافة تنبهت إلى أهمية الخدمات والواجبات التي يقدمها الفعلة للقوات الإسلامية، لذلك كانوا يحاولون الاستفادة من خبرات المقاتلين من غير العرب الذين يقعون في أسرهم والانتفاع بخبراتهم في الحصار وشق الطرق، ونصب المعابر والقناطر والأطواف على الأنهار، وعقد الجسور على الوديان، فأضافوا باستخدام هذه القدرات الشيء الكثير إلى خبراتهم وإبداعاتهم القتالية.

رابعاً: المقوّمات الاقتصادية:

من المعلوم أنّ المال قوام الأعمال، وأنّ المهام الكبرى للدول والإمبراطوريات ترتكز بالأساس على الجوانب الاقتصادية والمالية لتحقيق الغايات البعيدة والمطالب العظيمة، ولذلك شكل الجانب الاقتصادي مقوماً مهماً من مقومات الفتوحات الأموية لبلاد المشرق.

وقد وضعت طرق جباية الجزية والخراج زمن الراشدين، ولم تحدث كثير تغيير في أمر الضرائب

---

(١) انظر: البلاذري، أنساب الأشراف: ٣٢٤/٧؛ ابن أعثم، الفتوح: ٣١٣/٣؛ الطبري، تاريخه: ٦٧٤/٣، ٥٠/٤، ١٣٨.

المفروضة سابقاً من الدولة الساسانية على الفلاحين وأهل الحرف والتجارة، إذ وقعت الجزية مكان ضريبة الرؤوس، والخراج مكان ضريبة الأرض، ونصف العشر مكان الضريبة التجارية، إلاّ أن هناك فرق أساسي بين الضريبة الساسانية والجزية والخراج في الدولة الإسلامية، وهو أن الفيصل في فرض الجزية والخراج ـ على غير الأراضي الخراجية ـ متعلق بالدين لا العرق، وبذلك ترك المجال مفتوحاً للمغلوبين ليرتقوا إلى صفوف الغالبين ويتمتعوا بامتيازاتهم بدخولهم في الإسلام، ولم يكن هذا ممكناً في ظل حكم الساسانيين وغيرهم(١).

والمتأمل لأحوال شعوب البلاد المفتوحة يجد أن كثيراً منهم ـ وبخاصة الفلاحين ورقيق الأرض ـ قد تخففوا من الضغط المادي الذي رزحوا تحته ردحاً من الزمان، إذ أن ما فُرض على شعوب البلاد المفتوحة بعد الفتح أخف مما كان يفرض عليهم قبله، ومثال ذلك ما ذكره الحموي من أن مقوقس مصر كان قد تضمن "مصر من هرقل بتسعة عشر ألف ألف دينار وكان يجبيها عشرين ألف ألف دينار، وجعلها عمرو بن العاص عشرة آلاف ألف دينار أول عام وفي العام الثاني اثني عشر ألف ألف ولما وليها في أيام معاوية جباها تسعة آلاف ألف دينار وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة عشر ألف ألف دينار"(٢)، فلم تكن الضرائب التجارية التي فرضتها دولة الخلافة إضافة إلى الجزية وخراج الأرض تشكل عبئاً على السكان، كما كان حال ضرائب الأباطرة والدهاقين والخانات ورجال الدين، إذ كان غرضهم الجمع والجمع فقط، فلم يراعوا في ذلك ضعيفاً أو عاجزاً، خلافاً للنظام الإسلامي الذي لا يفرض التكاليف المالية إلاّ على القادرين ـ كما سيأتي معنا ـ، ونستطيع أن نعتبر

---

(١) انظر: دانيل دينيت، الجزية والإسلام: ١٨٥.

(٢) الحموي، معجم البلدان: ٢٧٦/٤.

قول عمر بن عبد العزيز لواليه على خراسان "إن الله بعث محمداً ﷺ داعياً ولم يبعثه خاتناً"[1] قولاً فصلاً يبين طريقة تعامل الدولة الإسلامية مع من أسلم من شعوب البلاد المفتوحة، إذ يكفي منهم إظهار الدخول في الإسلام لإسقاط الجزية وغيرها من الضرائب التجارية التي فرضت على غير المسلمين عنهم.

ومن أوجه عدالة سياسة الضرائب عند المسلمين أنها تفرض على الكافر لكفره، حتى وإن كان من العرب، فلا فرق بين العرب وغيرهم في ذلك، ومنها مراعاة القدرة من عدمها في فرض الجزية، فلا تُفرض على غير قادر، وتجبى دون عسف ولا إرهاق، ومن أوجه الرفق في أخذ الجزية أن أهلها لا يجبرون على بيع متاعهم، وإنما يؤخذ منهم ما يسهل عليهم دفعه، ولو كانوا من أهل الحاجة قسم لهم من بيت المال ما يكفي حاجتهم، فهذا الأصل في تعامل المسلمين مع من دخل تحت ظل دولة الإسلام من غيرهم، وقد كان لهذه السياسة أثر عظيم في دخول كثير من البلاد في صلح المسلمين، ولا يعني ذلك أنه لم تكن هناك تطبيقات وقعت أحياناً خارج حدود هذا الإطار[2].

وتعددت مصادر الدخل في الخلافة الأموية، وكان لكل ولاية من ولايات الخلافة إدارتها المالية الخاصة في أغلب الأحايين، وذلك عائد إلى النظام الإداري اللامركزي الذي انتهجه كثير من خلفاء بني أمية، والذي اقتضى منح الولاة صلاحية واسعة خاصة الولايات التي كانت تشكل قواعد للفتوحات كولاية العراق مثلاً، ونلاحظ أن الأمويين قد صاروا إلى حدٍ بعيد على نهج الخلفاء الراشدين واتبعوا القواعد الأساسية التي سنّها عمر بن الخطاب ﷺ، ونستنتج ذلك من سكوت المصادر

---

(١) الطبري، تاريخه: ٤/٦٤.

(٢) انظر: أبو عبيد، الأموال: ٣٤، ٥٤، ٥٦.

عن ذكر أي تغيير في طريقة سياسة الأمويين للمال مع أنهم قد اعتادوا تتبع التغييرات الحاصلة في هذا الباب واعتنوا بتدوينها.

والمتتبع لمصادر الدخل للدولة الإسلامية منذ العهدين النبوي والراشدي يستطيع أن يحصيها في عدد من النقاط كالتالي:

– الزكاة:

وتعد أول مصادر الدخل في الدولة الإسلامية، ومعلوم أنّ من مصارف الزكاة سهم المجاهدين في سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[1]، وجاء في تفسير الطبري بسنده: "﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: الغازي في سبيل الله"[2]، فلذلك تعد الزكاة مقوماً من مقومات الفتوحات الإسلامية المادية، وقد ذكرها أبو عبيد في كتابه كمصدر من مصادر دخل الدولة الإسلامية[3].

"ولا يجوز أن يصرف الفيء في أهل الصدقات، ولا تصرف الصدقات في أهل الفيء، ويصرف كل واحدٍ من المالين في أهله، وأهل الصدقة من لا هجرة له، وليس من المقاتلة عن المسلمين، ولا من حماة البيضة، وأهل الفيء هم ذوو الهجرة الذّابون عن البيضة، والمانعون عن الحريم، والمجاهدون للعدو"[4].

---

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م: ٥٢٧/١١.

(٣) انظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، كتاب الأموال، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م: ٢٣.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية: ٢٠٣.

- **العشر**:

وهو من الزكاة، ويكون في الزروع الثمار، فهو حكم متعلق بإنتاج الأراضي الزراعية المملوكة للمسلمين، والعشر يكون في الأراضي التي تُسقى بمياه جُلبت لها بغير مشقة، كمياه الأنهار والسيول والأمطار، وقد عمل المسلمون على استصلاح الأراضي وزراعتها وإحياء مواتها، فهذا جزء بن معاوية يكتب إلى عمر ﷺ يستأذنه في عمران بلاده، فأذن له فشق الأنهار وعمّر الموات، ويخبرنا البلاذري أن العرب في بلاد مكران عمروا الأرض وأدوا العشر واحتفروا القني[1].

ويقع العشر ـ أيضاً ـ على التجّار من غير المسلمين، فيؤخذ من الحربي العشر ومن الذمي نصف العشر، ضريبة دخولهم بلاد المسلمين والسماح لهم بالإتجار فيها[2].

- **الخراج**:

عُرف مصطلح الخراج منذ عهد النبي ﷺ، وتعني الضريبة السنوية المفروضة على عين الأراضي الزراعية، يدفعها المزارع لبيت مال المسلمين، قال أبو يعلى الفراء: "فأما الكلام في الخراج فهو ما وضع على رقاب الأرضين من حقوق تؤدي عنها"[3]، وكانت خيبر أول أرض جرت عليها أحكام الخراج في عهد رسول الله ﷺ.

والخراج من الأحكام الخاص بالأرض، وأحكام الأرضون كلها تنقسم إلى أربعة أقسام: الأول:

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٨٤؛ الطبري، تاريخه: ٢/٤٩٧؛ أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ١٦٢.

(٢) ابن قدامة المقدسي عبد الله بن أحمد، المغني، ت: طه الزيني، مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م: ٣٥١/٩.

(٣) أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية: ١٦٢.

ما استأنف المسلمون إحياءه، فهو أرض عشر لا خراج، والثاني: ما أسلم عليه أربابه، والثالث: ما أُخذ من المشركين عنوةً وقهراً، وإمام المسلمين مخير فيهما ـ الثاني والثالث ـ إمّا أن يجعلها أرض خراج وقفاً على المسلمين أو أرض عشر، والرابع: ما صولح عليه المشركون من أرضهم فحصلت للمسلمين بغير قتال، وهي مناط أحكام الخراج، ومنها الأراضي التي خلت من أهلها فصارت للمسلمين بدون قتال[1].

وكان ولاة بني أمية يشرفون على أمر جبي الخراج وتعيين العمال على خراج الكور والقرى التابعة لهم، وكان يجبى عيناً ونقداً، وقد واجهت الحجاج مشكلة انكسار خراج العراق بسبب إسلام الفلاحين والتحاقهم بالمدن والحواضر الإسلامية، مما أدى إلى نقص الأيدي العاملة في الأراضي وبالتالي إلى قلة المحصول وانكسار الخراج، فـ "كتب إلى البصرة وغيرها أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها"، فردهم إلى أراضيهم ليزرعوها[2].

ويقسم خراج كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية فيه، وما فضل رُد إلى بيت مال المسلمين، وقد أوصى عمر رضي الله عنه حين طُعن فقال: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيراً، فإنهم جباة المال، وغيظ العدو، وردء المسلمين، وأن يقسم بينهم فيؤهم بالعدل، وأن لا يحمل من عندهم فضل إلا بطيب أنفسهم"[3].

ويراعى العدل في قسمة خراج الأرض بين أهلها وبين الفيء، إذ يجب أن يُترك لمن يقوم على

---

(١) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ٢٢٧-٢٢٨، وقد أفرد الإمام الماوردي الباب الثالث عشر من كتابه للكلام عن الخراج وأحكامه.

(٢) انظر: البلاذري، الفتوح: ٢١٧؛ الطبري، تاريخه: ٦٤٨/٣.

(٣) انظر: يحيي بن آدم، الخراج، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٤هـ: ٦٧.

زراعة الأرض والعناية بها ما يغنيهم وزيادة، وما يعينهم على استصلاح الأرض وزراعتها والقيام بشؤونها.

ويُحكي أن الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السواد، فمنعه، وكتب إليه: " لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وأبق لهم لحوماً يعقدون بها شحوماً"[1].

– الفيء:

وهو الراجع إلى المسلمين من مال الكفار بغير قتال، قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[2]، ومنه **خمس الغنيمة** لقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[3]، ومنه **خراج الأرض** التي **افتتحت عنوة**، ومنه خراج أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صولحوا على خراج مسمى منها، ومنه **العشر** من أموال أهل الحرب إذا دخلوا بلاد الإسلام للتجارة ونصف عُشر أموال أهل الذمة إذا اتجروا في غير بلادهم، وما يؤخذ من أموال من نقض العهد منهم، ومنه المال الذي يصالح عليه العدو، أو يهدونه إلى سلطان المسلمين، كالحمل الذي يحمل من بلاد النصارى ونحوهم، ويدخل فيه جميع الأموال التي ترجع لبيت مال المسلمين كالأموال التي ليس لها مالك معين، مثل من مات من المسلمين وليس له وارث معين؛ وكالغصوب، والعواري، والودائع التي تعذر معرفة أصحابها؛ وغير ذلك من

---

(١) انظر: الماوردي، الأحكام السلطانية: ٢٣١.

(٢) الحشر: ٦.

(٣) الأنفال: ٤١.

أموال المسلمين[1].

وخمس الغنيمة من الفي، والغنيمة: الغنيمة: ما أخذ منهم ـ أي الكفار ـ قهراً بالقتال، واشتقاقها من الغُنم، وهو الفائدة، وذكرها الله في القرآن وسماها أنفالاً، لأنها زيادة في أموال المسلمين، فقال: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[2]، وأخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "وأحلت لي الغنائم"[3].

ـ الجزية:

عرفها ابن قدامة في المغني بقوله: "هي الوظيفة المأخوذة من الكافر، لإقامته بدار الإسلام في كل عام، وهي فِعلة من جزى يجزي: إذا قضى، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[4]، فهي ما جُبي من أموال أهل الذمة مما صُلحوا عليه من جزية رؤوسهم والتي بها حقنت دماؤهم وحرمت أموالهم.

والأصل فيها الكتاب، والسنة، والإجماع، أما الكتاب، فقول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[5].

---

(١) انظر: ابن قدامة، المغني: ٤٥٣/٦.

(٢) الأنفال: ١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قول النبي ﷺ:"أحلت لكم الغنائم"، حديث رقم: ٣١٢٢؛ وانظر: ابن قدامة، المغني: ٤٥٣/٦.

(٤) البقرة: ٤٨.

(٥) التوبة: ٢٩.

وأما السنة، فما روى المغيرة بن شعبة ﷺ أنه قال لجند كسرى يوم نهاوند: "أمرنا نبينا، رسول ربنا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية"[١].

وفرضت الجزية على كل من رفض اعتناق الاسلام من اليهود والنصارى والصابئين والسامرة وحتى المجوس لقول رسول الله ﷺ: ((سنوا بهم سنة أهل الكتاب))[٢].

وقد أمر رسول الله ﷺ أن يُقاتَل العرب من عبدة الأوثان حتى يُسلموا ولا تقبل منهم جزية، وتقبل الجزية من أهل الكتاب من العرب وغيرهم، واشترط على بعض دافعي الجزية القيام بضيافة المسلمين على نحو ما قرر على أهل تبالة وجرش[٣].

ولم تؤخذ الجزية في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين إلاّ من كل رجلٍ بالغ قادر، فلم تفرض على صبي ولا امرأة ولا من ليس في يديه من الدنيا شيء[٤].

وتُفرض الجزية مشتركة بعض الأحايين كما فعل خالد بن الوليد مع أهل الحيرة، إذ صالحهم على مائة ألف درهم، ويقال على ثمانين ألف درهم في العام، "وعلى أن يكونوا عيوناً للمسلمين"، وشرط عليهم جباية ما صالحهم عليه حتى يؤدوه الى بيت مال المسلمين، وإن طلبوا المعونة من المسلمين قدمت إليهم، وتكون مؤونة العون من بيت مال المسلمين[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، حديث رقم: ٣١٥٩.

(٢) انظر: ابن قدامة، المغني: ٢١٢/٩.

(٣) انظر: أبو يوسف، الخراج: ٧١، ٨١؛ البلاذري، الفتوح: ٧٠.

(٤) انظر: أبو عبيد، الأموال: ٤٥.

(٥) انظر: البلاذري، الفتوح: ٢٤٤؛ ٣٨٠-٣٨١

وتسقط الجزية عن السكان إن دهمهم العدو وخشي المسلمون من عجزهم عن الوفاء بما عاهدوهم عليه، أو تستثني بعضهم، ومن ذلك فعل عبد الله بن عامر ﵁ مع عظيم هراة وبوشنج وباذغيس، وترفع عمن يستعين بهم المسلمون في أعمالهم "ومن استعنّا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضاً عن جزائه"[1]، والنص من معاهدة سويد بن مقرن ﵁ مع أهل جرجان، وقد طبق ذلك في معاهدة عتبة بن فرقد ﵁ مع أهل أذربيجان، ومعاهدة سراقة بن عمرو ﵁ مع شهربراز وأهل أرمينية[2].

واتبع الامويين نهج الخلفاء الراشدين في أمر فرض الجزية في الفتوحات عامةً، وفي فتح بلاد المشرق خاصة، فقد صالح يزيد بن المهلب أهل جرجان على صلح سعيد بن العاص وكانت مائتي ألف درهم، وصالح يزيد أهل طبرستان على "نقد أربعة آلاف درهم وعلى سبعمائة ألف درهم مثاقيل ووقر أربعمائة جماز زعفراناً، وأن يخرجوا أربعمائة رجل على رأس كل رجل منهم ترس وطيلسان وخام فضة ونمرقة حرير"[3]، وفتح يزيد الرويان ودنباوند على مال وثياب وآنية، وصالح قتيبة بن مسلم غوزك على سبعمائة ألف درهم وضيافة المسلمين ثلاثة أيام[4].

ويختلف قدر الجزية بقدر يسار أهل البلاد وطاقتهم، وفي هذا يعلق أبو عبيد أن الرسول ﷺ فرض على أهل اليمن ديناراً على كل حالم، وقيمة الدينار يومئذ إنما كانت عشرة دراهم أو اثنتي عشر

---

(١) الطبري، تاريخه: ٥٣٨/٢.

(٢) انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسة للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م: ٤٤٤، ٤٥٦-٤٥٧، ٤٤٥.

(٣) البلاذري، الفتوح: ٣٣٣.

(٤) انظر: البلاذري، الفتوح: ٣٣١، ٣٣٣، ٤١١.

درهماً، فهذا دون ما فرضه عمر ﷺ على أهل الشام والعراق إذ زاد عليهم بقدر يسارهم وطاقتهم(١).

ونلاحظ تغيير طريقة جباية الجزية عمّا كانت عليه في بداية أمرها، إذ لم تفرض على الفرد كما كان أمر فرضها على أهل الكتاب من العرب، وإنّما فُرضت على مجمل أهل البلاد وتُرك أمر جمعها والوفاء بها إلى الحكام المحليين كالدهاقنة وغيرهم، مع تشديد قادة الفتح على ضرورة فرض الجزية على الحالم بقدر طاقته، ونجد أن عمر ﷺ فرض على دهاقين أهل السواد على الرجل ثمانية وأربعين درهماً، وعلى أوسطهم من التجار على رأس كل رجل أربعة وعشرين درهماً في السنة، وعلى سائر من بقي منهم على الرجل اثنا عشر درهماً، ويذكر أبو عبيد في كتابه الأموال أن عمر بن الخطاب بعث حذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف ﷺ فأحصوا عدد أهل السواد، وكُلف دهقان كل ناحية بجمع ما عليهم وجبايتها للمسلمين، فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته(٢).

ونستنتج من رواية أبي عبيد أن الدهاقين كانوا مسؤولين عن جباية الأموال بعد إحصاء عدد السكان في العراق، وأمّا في بلاد خراسان وما وراء النهر فلم أقع على خبر يذكر قيام الدولة الإسلامية بعملية إحصاء للسكان كما وقع في سواد العراق، وأن عمر بن الخطاب ﷺ استعان بالدهاقين لأن لديهم الخبرة التي تساعدهم على القيام بهذا العمل على الوجه الأكمل لكونهم أعرف بسكان منطقتهم وأوضاعهم المادية، ويعود ذلك في تقديري لاختلاف التكوين السكاني للأهل بلاد المشرق من ناحية اللغة والعادات والتعداد السكاني، إضافة إلى اختلاف طريقة تشكل المدن والقرى التابعة لها، فلم يعرف العرب في جزيرتهم غير البادية والحاضرات محدودة الرقعة الجغرافية والسكان كمكة والطائف

---

(١) انظر: أبو عبيد، الأموال: ٥٠.

(٢) انظر: أبو يوسف، الخراج: ٤٧؛ أبو عبيد، الأموال: ٦٥.

والمدينة ونجران، فلّما خرجوا خارج حدودها وجدوا نواحي كاملة تتبع لمدينة واحدة بقراها ومزارعها وأنهارها وجبالها، فكان لابد من وجود وسيط يعرف أحوال المدن وأهلها وتنوع أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ليتولى أمر جباية الجزية وغيرها مما فرضته دولة الخلافة على سكان المنطقة موضوع الفتح بالنيابة عنها، وليس هناك إشارات تدل على أن الأمويين قد خالفوا هذا المبدأ أو أنهم زادوا نسبة الجزية على السكان، بل نجدهم يتبعون هذا النهج مع سكان بلاد ما وراء النهر وما افتتحوا من بلاد خراسان.

ومن هنا وقع اللغط في أمر الجزية في العهد الأموي، فمع دخول أغلب أهل المدن والقرى في الإسلام، كانت نسبة الجزية تزيد على الفرد بنقص عدد المعاهدين بإسلامهم، وصار جمعها يتعذر على من وكل بها من أهل البلاد، وكانوا ملزمين بدفعها، لذا وقع الحيف على من أسلم منهم حتى تنبه له عمر بن عبد العزيز، فاتخذ عدد من الإجراءات لرفع الحيف عمن أسلم.

**** **** ****

المبحث الثاني

معوقات الفتح الإسلامي في العهد الأموي لبلاد المشرق

عائق: لفظٌ مفرد، وهو اسم فاعل من عاق، وجمعه: عوائق، ويطلق على غير العاقل، وتعوق فلان: تثبط وتأخر، وعوقه عن الأمر: منعه منه(١).

وجاء في تهذيب اللغة: "عاق يعوق عوقاً، ومنه التعويق والاعتياق، وذلك إذا أردت أمراً فصرفك عنه صارف، تقول: عاقني عن الوجه الذي أردتُ عائق، وعاقتني العوائق، والواحدة عائقة"(٢).

وجاء في لسان العرب: العوق: الأمر الشاغل، وعوائق الدهر: شواغله، والتعوق والتعويق: التثبيط(٣).

---

(١) انظر: أحمد عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٥٧٧/٢

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ١٨/٣.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب: ٢٨٠/١٠.

والمقصود **بالمعوقات** هنا جملة العوامل التي جعلت الفتح صعباً عسيراً، ومنعت تقدمه واستمراره، وتمكنت من إيقافه وتحويله من طور الهجوم إلى طور الدفاع.

وقد رأينا في المبحث الأول جملة المقوّمات التي وطّأت للفتح ودعّمته، وفي هذا البحث سنعرض لجملة من معوقات حركة الفتح الإسلامي في بلاد المشرق، وبخاصة في بلاد ما وراء النهر، إذ واجه الفتح عراقيل ومعوّقات ساهمت في بطء حركته ثمّ في تراجعه وتقهقره وتحوّله من الهجوم إلى الاكتفاء بالدفاع، ومن أبرز هذه المعوقات في تقدري ما يلي:

أولاً: طبيعة جغرافية منطقة الفتح وسكانها:

شكلت الطبيعة الجغرافية للمنطقة عائقاً مادياً أمام حركة الفتح في بلاد المشرق، إذ تميّزت تلك البلاد بوعورة التضاريس، حيث انتشرت فيها سلاسل من الجبال الشاهقة، ووديان من الأنهار الهادرة، وشتاء قارس البرودة، وثلوج لم يعرفها العرب من قبل، ولا ننسى المفازة التي تقطع بين بلاد فارس وبلاد خراسان، ناهيك عن البعد الجغرافي بين مراكز المسلمين الحضارية وبين تلك البلاد، فكل ذلك كان له أثر في بطء تقدم الفتح واستقراره في المنطقة.

وكان لطبيعة الترك القتالية دور في إعاقة فتح بلاد ما وراء النهر، إذ تميزوا بما يُسمى اليوم حرب العصبات، فبرعوا في نصب الكمائن في درب الجيش المسلم، وساعدتهم جغرافية أراضيهم في ذلك، مع سرعة حركتهم ومهارتهم في امتطاء الخيل والقتال عليها وبراعتهم في الرمي، في حين تميز أهل فارس وأهل السند باستخدامهم لأساليب قتالية لم يعرفها العرب المسلمون، كاستخدام الأفيال وغيرها، فكانت الجبهة المشرقية من أشد الجبهات القتالية على المسلمين[١].

---

(١) انظر: البلاذري، الفتوح: ٤٢١؛ ابن الأثير، الكامل: ٤/٢٠٠.

لقد كان التميز العسكري إلى جانب أعداء المسلمين، وكثيراً ما كانت البلاد المفتوحة تنتقض وتضطرب وتسودها الفوضى والفتن حين يختلف المسلمون وتتفرق صفوفهم، لقد قاومت البلاد المفتوحة بضراوة وعنف شديدين، ونجد أخباراً مثلاً عن فتح بخارى أكثر من ست مرات، ونجد أخباراً كثيرة عن انتفاض السكان على الحاميات المسلمة وطردها خارج مدنهم، ولعل من أسباب تلك المقاومة مناعة البلاد الطبيعية، وتفوق المقاومين من أهل البلاد على الفاتحين عدداً وعدة، كما أن تغلغل المسلمين بعيداً عن قواعدهم الرئيسة والأمامية والمتقدمة وطول الإمداد ساعد أعداءهم على مقاومتهم بشدة وعنف.

ثانياً: اضطراب الأوضاع الداخلية في بعض فترات حكم دولة الخلافة الأمويّة:

تميز حكم بني أمية بتحقيق الاستقرار على صعيد جميع ولايات دولة الخلافة إلاّ زمناً يسراً، وشكل اضطراب الأوضاع الداخلية عائقاً عظيماً لحركة الفتح الإسلامي، ففي أيام خلافة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ) تعطل الفتح والغزو نتيجة للثورات الداخلية التي شهدتها دولة الخلافة، ومن ذلك خروج الحسين بن علي ﷺ بتحريض ممن ادعى نصرته ومشايعته من أهل الكوفة، ومقتله، ومبايعة عبد الله بن الزبير ﷺ سنة (٦١هـ) خليفة في بلاد الحجاز وتأسيسه لدولة عاصمتها مكة، ووقعة الحرة سنة (٦٣هـ)، وما وقع من اضطراب داخل البيت الأموي عام (٦٤هـ) بعد تنازل معاوية بن يزيد عن الأمر، وقد استمر هذا الاضطراب زمن خلافة يزيد بن معاوية، وحكم مروان بن الحكم (٦٤-٦٥هـ)، وزمناً من أيام حكم عبد الملك بن مروان(١).

وكان لضعف خلفاء بني أمية المتأخرين دور في توقف حركة الفتح في زمن حكمهم، وقد وقع

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٢٧٤، ٣٤٧، ٣٥٢، .

ذلك بعد زمن خلافة هشام بن عبد الملك، إذ بدأ الوهن والضعف والتدهور يدب في دولتهم بعد مقتل أول خليفة أموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك عام (١٢٥-١٢٦هـ) و"اضطراب حبل بني مروان وهاجت الفتنة" وكانت نهاية دولتهم في دمشق عام (١٣٢هـ)[1].

وقد كان لعدد من العوامل دور في وقوع هذه الاضطرابات الداخلية، منها حركات التمرد والخروج على حكم دولة الخلافة الأموية، والعصبية القبلية، إضافة إلى الموالي من الفرس الذين كانوا يسعون إلى استعادت أمجاد دولتهم بالقضاء على الحكم الأموي العربي الخالص، وقد توقف الفتح أيام تفرق المسلمين، وكانت خسائرهم بالأرواح في اقتتالهم الداخلي، أضعاف خسائرهم بالأرواح في قتالهم لنشر الإسلام.

- **دور الثورات في إعاقة حركة الفتح:**

لقد كان العراق ـ خاصة ـ مرتعاً خصباً لكثيرٍ من القلاقل والفتن، ففيه الكوفة مركز الشيعة الذين ينظرون للأمويين كمغتصبين للخلافة من آل علي بن أبي طالب ﷺ، وفيه نشأ الفكر الخارجي، إضافة إلى بقايا الفرس ونزعتهم القومية ضد العرب والتي ازدهرت في العراق بين الموالي الفرس أكثر من سواهم، والذين كانوا يسعون إلى استعادت أمجاد دولتهم بالقضاء على الحكم الأموي العربي الخالص، فكانوا يستغلون أي فرجة للعمل من خلالها لتحقيق ذلك، ولم يظهروا كحزب معارض له كيانه واستقلاله، ولكن كانوا ينضون تحت ظل أي ثورة أو حركة مناوئة للدولة الأموية.

كما كانت هناك ثورات ذات دافع وطموح شخصي مثل ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي والذي تستر بغطاء آل البيت، والمطرف بن المغيرة (ت:٧٧هـ)، وعبد الرحمن بن الأشعث، ويزيد بن

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٢٣٥/٤، ٢٥٢.

المهلب، وكلها كانت في مشرق الدولة الإسلامية[1].

كما نجد أن الخوارج قد خرجوا على الدولة الأموية منذ تأسيسها عام الجماعة لمآ تنازل الحسن ﷺ لمعاوية ﷺ عن الخلافة، إذ أبوا الدخول فيما دخل فيه المسلمون، واتسمت ثورات الخوارج بطابع السرعة والفوضوية، إذ كانوا يخرجون دون تنظيم وإعداد، وكان الحجاج من أبرز الولاة الذين تصدوا لخطرهم وبذلوا الجهد للقضاء عليهم، حتى انتقلوا من العراق إلى بلاد المغرب، ومن أشهر ثوراتهم في العراق والمشرق ثورة نافع بن الأزرق والتي قضى عليها المهالبة عام (٧٨هـ) بعد قتال دام تسعة عشر سنة، وثورة شبيب بن يزيد الشيباني عام (٧٦هـ) والتي انتهت على يد جند الشام أيام ولاية الحجاج عام (٧٨هـ)، وثورة شوذب عام (١٠٠هـ) في خلافة عمر بن عبد العزيز، والتي انتهت عام (١٠١هـ) على يد سعيد بن عمرو الحرشي، وكانت أخرها وأعظمها أثراً ثورة الضحاك بن قيس عام (١٢٧هـ)[2].

وقد اتسعت دائرة الخوارج في جسد الدولة الأموية مع مرور الوقت حيث تعددت ثوراتهم، في خراسان والجزيرة الفراتية، كما كان لهم ظهور في اليمن ومصر ونجد، وفي أواخر الدولة الأموية أصبح لهم شأن في بلاد المغرب، ورغم كثرة الجهود وتعدد المعارك التي خاضها ولاة بني أمية معهم لم يستطيعوا القضاء النهائي عليهم، فكانوا من أبرز معوقات مواصلة الغزو والفتح.

أمّا الشيعة فكانت لهم حادثتين مشهورتين في العراق، الأولى لمآ غرروا بالحسين ﷺ وخذلوه، فكانت فاجعة كربلاء عام (٦١هـ)، ثم لمآ قرروا التوبة عن خذلانهم له، وعرفوا بالتوابين عام (٦٥هـ)،

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٤٥١/٣، ٥٩٢، ٦٢٢، ٦٥٢، ٧٥/٤.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ١٦٩/٣، ٣٩٧، ٤٢٤، ٥٤٣، ٥٥٥، ٦١٢، ٦٢/٤، ٧٣، ٧٤، ٢٨٣؛ طاهر بن محمد الإسفراييني، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ت: كامل الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م: ٥١/١.

وأخرها كانت ثورة زيد بن علي بن الحسين عام (١٢٢هـ)[1].

وعلى الرغم من أن دولة بني أمية واجهت أعدائها بكل حزم وقوة، "فلا تكاد تغلب على عدو حتى يبرز لها عدو آخر، حتى إذا أذن الله أن تتغلب عليه فاجأها عدو غيره أو فاق العدو الأول ليستأنف معها المعركة من جديد"، إلاّ أنها تكبدت خسائر أضعفتها وأوهنت قوتها وكان ذلك من أبرز أسباب سقوطها.

- **دور العصبية القبيلة في إضعاف سلطة الدولة الأموية وإعاقة حركة الفتح:**

تعود جذور الاختلاف بين القيسية واليمنية إلى معركة مرج راهط عام (٦٤هـ) والتي انتصر فيها مروان بن الحكم ومعه اليمنيين، ثم خبت جذوة الصراع نتيجة لقوة دولة الخلافة، وإن كانت تطل برأسها بين فينة وأخرى[2].

وكان مما غذى العصبية القبلية في الناس أن الولاة كانوا عادة يقربون رجالات قبائلهم ويولونهم زمام الأمور، وكان العقلاء دائماً ما يشيرون على الخلفاء بتولية رجال من خارج القبائل المسيطرة لاستعادة التوازن، ومن ذلك تولية عبد الملك بن مروان لأمية بن عبد الله بن خالد الأموي على خراسان سنة (٧٤هـ) بعد مقتل عبد الله بن خازم، وكان واليها من قبل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ومن سادة مضر فيها، وتولية الحجاج لقتيبة بن مسلم الباهلي لبلاد المشرق سعياً لتحجيم دور الأزد فيها، وتولية هشام بن عبد الملك خراسان لنصر بن سيار، سعياً للحد من أثر العصبية القبلية في خراسان

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٣٠٥، ٤٠٨، ٤/١٩٣.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/٣٨٠.

وإرساء لقوة دولة الخلافة فيها[١].

وقد شهد آخر عهد الدولة الأموية فترة من الاضطرابات الناتجة عن تفشي العصبية القبيلة، إذ عاد الصراع بين الطرفين كأشد ما يكون، وقد أجج نارها نقمة الوليد بن يزيد على خالد بن عبد الله القسري والي هشام على العراقين، ومقتله، فنقم عليه جند الشام من اليمانية، وهم قوة كبيرة ليس في الشام فحسب، بل في خراسان أيضاً والتي كانت الدعوة العباسية فيها في مرحلة الاستعداد والتهيؤ للانقضاض على البيت الأموي كله.

يقول الطبري: "وكان من أعظم ما جنى على نفسه ـ يقصد الوليد ـ حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده على نفسه بني عميه بني هشام وولد الوليد ابني عبد الملك بن مروان، مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عظم جند أهل الشام"[٢]، فاجتمعت عليه نقمة الفريقين حتى قتل في داره، وهو أول خليفة أموي يتعرض للقتل، وفسدت الشام على بني أمية بعد أن كانت قاعدتهم وركنهم الركين، فاضطر آخر خلفائهم إلى نقل العاصمة من دمشق إلى حران[٣].

وكان الذي تزعم جند اليمانية في الخروج على الوليد ابن عمه يزيد بن الوليد، وقد جر بفعلته تلك على دولة بني أمية كوارث كانوا في غنىً عنها، وشغلهم بصراع مرير فيما بينهم أضعف كيانهم وأنهك قواهم، واضطر أن يحابي اليمنيين الذين ساعدوه في الوصول إلى الخلافة وأن يغدق عليهم

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٥٤٥/٣، ٦٧٠، ١٨٩/٤.

(٢) الطبري، تاريخه: ٢٣٥/٤.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه: ٢٣٥/٤، ٢٤٣؛ عماد الدين خليل، التأصيل الإسلامي للتاريخ، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م: ٦١.

الأموال، فأدى ذلك إلى إفلاس بيت المال، مما اضطره إلى إنقاص أعطيات الجند، فسمي الناقص، وهبت في وجهه ثورات المضرية في حمص وفلسطين وغيرها، فقضى مدة خلافته القصيرة في قمعها[1].

وبعد وفاته اجتمع الأمويون على مروان بن محمد، غير أن هذا الاجتماع لم يُطفئ جذوة الصراع بين القيسية واليمانية، بل زادها اشتعالاً، وما لبثت نارها أن امتدت إلى كافة أنحاء الدولة، فثارت اليمانية في حمص والغوطة وفلسطين، وتمكن مروان من إخماد هذه الثورات على حساب قوة ووحدة جيش الشام، إذ فقد الأمويون تأييد عرب اليمن في الشام وخراسان، وقد كانوا يشكلون قوة لا يستهان بها في جيش الدولة الأموية، وتحولت هذه القوة من بني أمية إلى الدعوة العباسية التي كانت وقتذاك قد نشطت في بلاد خراسان، وقد كان تحول اليمنيين إلى الدعوة العباسية من أهم عوامل نجاحها[2].

وأما في خراسان فقد بقي أبو مسلم الخراساني شهوراً لم يتمكن خلالها من الاستيلاء على مرو قاعدة خراسان، على الرغم من تمكنه من السيطرة على المواقع المحيطة بها مستغلاً الصراع بين اليمنيين والقيسيين، وقد بذل نصر بن سيار جهوداً مضنية لجمع الفريقين وتحقيق الوفاق بينهما مرة أخرى دون جدوى، إذ كان أبو مسلم يذكي العداء بينهما، وكان دخوله لمرو سنة (١٣٠هـ) البداية الحقيقية لنجاح الدعوة العباسية ونهاية دولة بني أمية[3].

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٢٣٥-٢٧٩.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٢٨٠، ٢٨١.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٣١٩.

▪ دور الموالي في إضعاف الدولة الأموية وإعاقة حركة الفتح:

إن الفكرة الشائعة عن خلفاء بني أمية أنهم كانوا متعصبين ضد الموالي، فاستغلوهم واضطهدوهم واحتقروهم، وأن تلك كانت سياسة عامة للدولة، وكان من نتائج ذلك سخط الموالي الذي تولد عنه ضعف الدولة الأموية وسقوطها، وهذه الفكرة من نتائج تأملات المستشرقين ودراستهم للتاريخ الإسلامي، كفلوتن وكريمر وبروان، وتلقفها عنهم ونقلها بعض المؤرخين المحدثين مثل زيدان وحسن إبراهيم حسن والخربوطلي، وجلّ اعتمادهم على أخبار متفرقة وردت في كتابي العقد الفريد والأغاني وغيرها من المصنفات القصصية والأدبية في التراث العربي، وهي أخبار يعترينا الشك في صحتها، والمتأمل لروايات وأخبار الموالي في فترة خلافة بني أمية لا يجد أثراً لمنهج متبع من الخلفاء أو من ولاتهم لاستحقار الموالي والتعالي عليهم ومنعهم من شغل مناصب عليا في الدولة الإسلامية، بل نجد منهم العمال والقادة والقضاة والعلماء، فليس "ثمة من منصب إلاّ وكان فيه للموالي نصيب، وهذا يدل على أن الأمويين كانوا ينظرون إلى الأمور نظرة موضوعية ويحاولون الاستعانة بجميع العناصر التي تثبت كفاءتها وقدرتها على الاشتراك في إدارة الدولة وتثبيت سلطان بني أمية سواء أكانوا من العرب أو الموالي"[1].

والموالي الذين يقصدهم المستشرقون لا يشكلون نسبة حقيقة من مجموع الموالي أيام خلافة بني أمية، إذ أن مواليهم هم مجموعة من الفرس الذين ما زالوا يحملون إرث الإمبراطورية الساسانية وتفوق

---

(١) نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي: ٣٤٩؛ وانظر: فان فلوتن، الشيعة والاسرائيليات: ٢١، ٣٥؛ فيليب حتي، تاريخ العرب: ٢/٢٩٩-٣٠٠؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٣م: ٤/٥٨-٦١؛ حسن إبراهيم حسن، التاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ١/٢٧٨-٢٧٩؛ علي حسني الخربطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، مصر: ١٩٥٩م: ٢٥٥-٢٥٦.

العرق الفارسي الآري، وتراودهم الأماني بإحياء أمجادهم وإيقاف انتشار المد الإسلامي، فتستروا بستار الإسلام للوصول لمآربهم، وتلبس بعض منهم به واصطبغ بصبغته، متخذاً ذلك وسيلة للعمل مع كل الحركات المناوئة لسلطان دولة الخلافة، وصاروا يتلمسون الثغرات الواهية للتنفيس عن سخطهم، وما امتلأت به جوانحهم من بغضاء، فوجدوا في حركات الخروج على سلطان دولة بني أمية كثورة المختار الثقفي في الكوفة ودعوة أبي مسلم الخراساني الفرصة السانحة للنيل من العرب، وسعوا لإبراز القومية الفارسية، وإحياء التراث الفارسي وتمجيده، وقد ظهر هذا الاتجاه في العراق وبلاد فارس خاصة، فظهرت الشعوبية بوجهها القبيح المعادي للعرب.

و"الشعوبية: هم أصحاب بدعة يقولون: العرب والموالي عندنا واحد لا يرون للعرب حقًا ولا يعرفون لهم فضلًا، ولا يحبونهم، بل يبغضون العرب، ويضمرون لهم الغل والحسد والبغضة في قلوبهم. وهذا قول قبيح ابتدعه رجل من أهل العراق وتابعه نفر يسير فقُتل عليه"[1].

ونستطيع أن نقول: إن التأليف في مثالب العرب، ونقل الروايات التي تصور تعاليهم وعنجهيتهم على الموالي، أكانت صحيحة أم مؤلفة لزرع فكرة وتحقيقها، كان لها دور في تشكيل هذه الصورة، لا سيما وأن ممن كتب في هذا الاتجاه أُناس لهم بصمة في نقل وتدوين روايات التاريخ الأموي كأبو عبيدة معمر بن المثنى وابن الكلبي والهيثم بن عدي، واتخذ بعضهم من كتب الأدب ستاراً لتمرير مثل هذه الصور وكأنها مجرد قصص قصاص ولا بأس إن صحت أم لم تصح، وإن كان بعضهم

---

(١) حرب بن إسماعيل الكرماني، كتاب السنة، دار اللؤلؤة، لبنان، ط١، ١٤٢٥/ ٢٠١٤: ٦٩، والرجل الذي ذكره لم يسمه على ما جرى عليه الأئمة أنهم لا يذكرون اسم المخالف للسنة إذا لم يشتهر أمره تحقيراً له.

أعلن صراحة عدائه للعرب كابن المقفع، وربما كان بعضهم مجرد قصاصين برعوا في تأليف القصص لجذب الجمهور، غافلين عن الأثر الذي سيتركونه في صفحات التاريخ السياسي والاجتماعي للأمة.

ولو نظرنا إلى تطبيقات التعامل مع السكان في العصر الأموي لرأينا أنفسنا أمام ثلاث طبقات، المسلمين، والمعاهدين، والحربيين، والمسلمين تتفاوت درجاتهم ومكانتهم بتفاوت أعمالهم وخدمتهم للإسلام ودولته، وقد عرف كثير من الموالي ذلك، فسعوا لطلب العلوم الشرعية والبراعة فيها، حتى صار منهم القضاة والفقهاء، واكتتبوا في ديوان الجند، فصاروا من جند المسلمين يقاتلون للذب عن الإسلام ودولته، وانخرطوا في مجتمعهم الجديد بكامل كيانهم وطاقتهم، بعيداً عن الطبقية المقيتة التي كانت تحجم قدرهم وتجعلهم مجرد أدوات وأملاك لغيرهم من أصحاب النفوذ والسلطان.

وأصحاب النفوذ هؤلاء ساءهم أن يخرج الأمر من أيديهم، وأن تكون نهاية سلطانهم وتحكمهم بأرزاق البلاد والعباد، فانقسموا قسمين: الأول: دخل في الإسلام بغرض الحفاظ على مصالحه الشخصية، والثاني: حرص على اغتنام الفرص لهدم وتقويض هذا الكيان من الداخل، وكانت أمامهم أداتين رئيستين: الأولى إحياء النعرة الفارسية الجاهلية والحفاظ على جذوتها مشتعلة، والثاني ركوب أي موجة ربما يكون لها أثر في ثلم جسد الدولة الإسلامية من الداخل أو الخارج.

ولتفعيل الأداة الأولى سعوا إلى إحداث ثغرات في نسيج المجتمع المسلم، فخلطوا بين تصرفات فردية ترجع إلى جاهلية بقية في بعض النفوس في التعامل مع من تره أقل منها شأناً ونسباً، وبين موقف السلطة الإسلامية، فجعلوا من احتقار العرب لأصحاب المهن والحرف عامة وترفعهم عنها وعنهم، والتي كانت وقتها مقتصرة على غير العرب من الفرس والروم والترك والنبط وغيرهم تحيز من الدولة الإسلامية وامتهانها لغير العرب، فجعلوا من بعض الأعراف القبلية المجحفة منهجاً للدولة الأموية ككيان حاكم.

ومن هذه الثغرات قضية العطاء، إذ كان العرب مميزين عن الموالي في العطاء، ولم يكن في هذا الأمر شيء تستنكره الأوضاع السياسية في مطلع أيام الدولة الإسلامية، إذ إن الديوان الذي أوجده عمر بن الخطاب ﵁ نشأ في الأصل على مبدأ التفضيل، وأساسه الاتصال برسول الله نسباً، والسبق للإسلام، وعرف بعد ذلك بشرف العطاء، والعرب قد سبقوا الموالي في الالتحاق بديوان الجند، فلا يصح مساواتهم معهم، وعدم التساوي في العطاء كان أيضاً بين العرب أنفسهم، فعندما نقل معاوية ﵁ بيت مال الدولة من الكوفة إلى دمشق، زاد في عطاء أهل الشام وانقص عطاء أهل العراق، فالتميز في العطاء لا يقصد به التمييز بين مسلمي العرب وغيرهم(١).

وقد يسأل القارئ: لم أفردت موضوعاً عن توضيح دور الموالي في إعاقة حركة الفتح وإضعاف دولة الخلافة الأموية؟ والجواب على ذلك يكون من وجهين:

الوجه الأول: أن وقوع الخطأ من البشر وارد، وقد وقع ظلم على أقوامٍ من الموالي نتيجة لسياسة فرض الجزية التي انتهجها المسلمون من بداية الفتوحات، وكان لها صور عرضنا لها في المبحث الأول من هذا الفصل، ومنها فرض الجزية مجملة على أهل البلاد، وترك أمر جمعها والوفاء بها إلى الدهاقنة وغيرهم.

والدهاقنة هم المشرفون على الأراضي وعلى الجباية من السكان الأصليين، وكانوا قبل الفتح يقومون بهذه الوظيفة لدى الدولة الساسانية، " وكان منوشهر ... أول من وضع الدهقنة فجعل لكل

---

(١) انظر: أمجد ممدوح الفاعوري، دور العناصر العربية في الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، م: ٨، ع: ٣+٤، ٢٠١٤م: ٦٩-٧٤.

قرية دهقاناً، وجعل أهلها له خولاً وعبيداً، وألبسهم لباس المذلة، وأمرهم بطاعته"[1]، واستمرّوا على ذلك بعد الفتح، حيث وجدهم المسلمون قوّة إدارية جاهزة يمكن الاستعانة بهم في القيام بجمع الجزية والخراج ونحوه، تغني عن إنشاء جهاز لتحقيق المطلوب، فكان أمر سجلات الأرض والتعداد السكاني لسكان خراسان وبلاد ما وراء النهر مسلمهم وكافرهم في أيدي الرؤساء المحليين كالدهاقنة وغيرهم، وكانوا موكلين بجمع الجزية والخراج وإيصالها إلى بيت مال المسلمين، وكانوا يجمعونها بالطريقة التي يريدون ويحتفظون بما يشاؤون منها، ويوفون للدولة الإسلامية بما صالحوهم عليه من أموال، ولذلك نلاحظ أن الدهاقنة كانوا يقاومون حركة الدخول في الاسلام، لأن كثرة المسلمين تعني قلة عدد من تجبى منهم الجزية والخراج، إضافة إلى تقلص سلطانهم بسبب انتشار الإسلام في منطقتهم، فكانت مصلحتهم في الحد من دخول الناس في الإسلام، لذا كانوا يُحمّلون من أسلم جزية من بقي على دينه، تنفيراً للسكان من الإسلام.

ومن ذلك أن الأشرس لما تولى أمر خراسان عام (١١٠هـ) بعث أبو الصيداء إلى سمرقند ومن حولها يدعوا أهلها إلى الإسلام، فلمّا فشا الإسلام فيهم وسقطت عنهم الجزية، وأقع في أيدي سادتهم ودهاقنتهم، فـ "جاء دهاقين بخاري إلى أشرس فقالوا: ممن تأخذ الخراج، وقد صار الناس كلهم عرباً؟"، ولم يكتفوا بذلك بل شككوا في إسلام من أسلم حتى أن الأشرس كتب إلى عماله: "إن في الخراج قوة للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية .."، فكانت النتيجة أن "كفرت السغد وبخارى، واستجاشوا الترك" على المسلمين،

---

(١) الطبري، تاريخه: ١/٢٢٨.

ولا شك أن للدهاقنة دور كبير في تأليب الأمور ضد دولة الخلافة، وظل الأشرس في صراع مع الترك طيلة فترة ولايته حتى عُزل[1].

وقد تنبه نصر بن سيار والي خراسان أيام هشام بن عبد الملك عام (١٢١هـ) لهذا الأمر، فعين منصور بن عمر بن أبي الخرقاء ليشرف على جمع الجزية والخراج، وأعلن "أيما رجل منكم من المسلمين كان يؤخذ منه جزية من رأسه، أو ثقل عليه في خراجه، وخفف مثل ذلك عن المشركين، فليرفع ذلك إلى المنصور بن عمر، يحوله عن المسلم إلى المشرك"[2]، فكان من نتيجة ذلك أن رفع عن ثلاثين ألف رجل من المسلمين الجزية، ووضعت على ثمانين ألفاً من المشركين، ونظر في أمر الأراضي الخراجية فحددها، وميزها عن أراضي العشر، ثم أجرى عليها الصلح الذي كان بين أهلها وبين المسلمين؛ وهكذا، حجم نصر سلطة الحكام المحليين، وازدادت فعالية هذا القرار الجديد بتعيين الدولة لمراقبين ماليين مسلمين بجانب الحكام المحليين، لمراقبة ومنع أي ظلم قد يقع على السكان مسلمهم وكافرهم عربهم وعجمهم[3].

والوجه الثاني: "أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطير في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً، لهم فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى"[4]، فانضووا تحت لواء

---

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/١٢٩-١٣٠؛ حمود حسين، الدهاقنة في المشرق الإسلامي: ٦٧.

(٢) الطبري، تاريخه: ٤/٢٠٠.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٢٠٠.

(٤) ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة: ٢/٩١.

أي ثورة أو حركة مناوئة للدولة الأموية مجرد محاولة منهم للقضاء على الإسلام الذي قام أول ما قام على يد قادة أشداء من العرب، من أمثال خالد بن الوليد ﷺ، وسعد بن أبي وقاص ﷺ، والنعمان بن مقرن ﷺ، وقتيبة بن مسلم، والمهلب بن أبي صفرة، ومحمد بن القاسم، وغيرهم كثير من قادات وأبطال الفاتحين، الذين تمكنوا من تقويض أركان الإمبراطورية الساسانية، وحرروا الشعوب التي كانت ترزح تحت نيران احتلالها من ذل الكفر وعبوديته إلى عز الإسلام، وقوضوا سلطات كثير من الحكام والأمراء ورجال الدين الذين كانت لهم مطامح ومطامع سياسية واقتصادية واجتماعية يسعون لتحقيقها تحت ظل دولتهم، فتبدل بهم الحال، مما دفع بالكثير منهم لإظهار سخطه على دولة الفتح، لأنها حدت من نفوذه، وجعلته هو ومن كانوا عبيداً له في يوم من الأيام على درجة سواء في الحقوق والواجبات، وساعدهم على انتهاج هذه السياسة ما امتلأ به شرق الدولة الإسلامية على عهد الأمويين من الفتن والثورات العديدة والمتلاحقة، ولم يحل بينهم وبين تحقيق مآربهم غير يقظة الولاة الأمويين في العراق، وقبضهم على ناصية الأمور بيد من حديد، وهذا أمر بدهي تقتضيه سلامة الدولة الإسلامية، ولا يُبَرر اتخاذه دليلاً على سوء معاملة الأمويين للموالي.

ثالثاً: وقوع الظلم والعسف:

ليس ثمت أدعى إلى التقهقر والفشل في الدول من انتشار الظلم والعسف وهضم حقوق الناس، وهذا المظهر القبيح ظهر في الدولة الأمويّة، واستفحل في آخرها، "وأمور الناس إنما تستقيم مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق

وإن لم يشترك في إثم، ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال إن الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"(1).

ولقد وقعت مظالم عظيمة في عهد الأمويين، فقد سفكوا الدماء بغير حق، فقُتل الحسين بن علي رضي الله عنه على يد والي العراق أيام خلافة يزيد بن معاوية، وهُتكت حرمة المدينة واستبيحت يوم الحرة، وحُوصرت الكعبة ورميت بالمنجنيق، واستحل الحرم، وقُتل الخليفة الشرعي عبد الله بن الزبير رضي الله عنه في عهد مروان وابنه عبد الملك، ولم يفي بعض خلفائهم ببعض عهودهم، فهذا عبد الملك بن مروان يقتل عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق بعد أن أمنه، وغير ذلك من الدماء التي سفكت بدون وجه حق، إذ كان زياد بن أبي سفيان والحجاج بن يوسف يأخذان بالظن، وغيرها من المظالم(2).

وقد استغل أعداء الدولة الأموية هذه المظالم فأسرفوا في الدعاية ضدها والتأليب عليها، فكثرت حركات الخروج والثورات نتيجة لبعض هذه المظالم، كحركة التوابين، وثورة المختار الثقفي، وثورة المطرف بن المغيرة، وخروج زيد بن علي سنة (١٢١هـ)، وغيرها(3).

رابعاً: ظهور الدعوة العباسية:

كان بداية ظهور الدعوة العباسية بداية القرن الثاني الهجري في حدود سنة (١٠٠هـ)، وابتدأ هذه الدعوة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقد عمل العباسيون على تفادي الأخطاء التي وقعت فيها الحركات قبلهم، وأدركوا أن من أهم أسباب فشل العلويين في الوصول إلى الخلافة هو

---

(١) أحمد بن تيمية، الاستقامة، ت: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م: ٢٤٧/٢.

(٢) انظر: الطبري، تاريخه: ٣/ ٣٠٥، ٣٥٢، ٣٦١، ٥٣٨، ٥١١.

(٣) انظر: الطبري، تاريخه: ١٩٣/٤.

التسرع والاعتماد على حب الناس لهم، دون عمل منظم، واتخذوا شعاراً خادعاً لدعوتهم هو الدعوة إلى الرضا من آل محمد ﷺ، اجتذبوا به غلاة الشيعة، ونادوا برفع المظالم، وإقامة الحقوق، وإلغاء عسف بني أمية للناس، وقد تدثرت هذه الدعوة في بداية نشأتها بدثار السرية، واتخذت من خراسان مركزاً لها، وذلك لخلو أهواء أهلها من مشايعة أحد الفرق القائمة وقتئذ، ولبعدها عن عاصمة الخلافة الأموية، وجدّة الإسلام في أهلها لغةً وعقيدةً، فانتشرت الدعوة فيهم مثل انتشار النار في الهشيم[1].

وقد عمل العباسيون على استقطاب جميع الأحزاب المناوئة لبني أمية، سواء كانت من العرب أو من الموالي، واتخذوا الدعاة يسيرون بين الناس ويبثون الدعايات المغرضة ضد بنى أمية يزرعون بها عداوتهم وبغضهم في قلوب الناس، فيضخمون الأخطاء اليسيرة، ويختلقونها أحياناً.

وكل ذلك نتج عنه ضعف حركة الجهاد، وتحوّل دور المسلمين المرابطين على حدود دولة الخلافة من الهجوم إلى الدفاع، وذلك من أعظم معوّقات الفتح.

**** **** ****

(١) انظر: الطبري، تاريخه: ٤/٦٦.


الخاتمة

الخاتمة

الحق أن البحث في هذا الباب واسع بذلت جهدي في حصره ما استطعت، وقد خرجت منه بعدة نتائج، منها:

١) بيان كيفية التدوين والمراحل التي مر بها تدوين التاريخ الإسلامي مع الرد على المزاعم الباطلة بأن التاريخ الإسلامي قد جرى نقله رواية شفوية دون تدوين طوال القرن الأول الهجري وحتى منتصف القرن الثاني، وتعدد الموضوعات التي شملها التدوين التاريخي في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية وأن ذلك راجع إلى سعة المفهوم علم التاريخ عند العلماء المسلمين.

٢) عرض مناهج مجموعة من المؤرخين المسلمين، وقد اتضح أن مناهجهم في التأليف متعددة الصور، فيها سلبيات وإيجابيات وهم ليسوا سواء في التدقيق وإيضاح المصادر، فإن منهم من التزم بالإسناد بصفة عامة مثل خليفة ابن خياط والبلاذري والطبري، فمنهم من ذكر الأسانيد لكنه يجمعها مرة ويفردها، ومنهم من ترك الأسانيد بالكلية واكتفى بإيضاح بعض المصادر في مقدمته.

٣) عدم اهتمام مؤرخي الشيعة بحركة الفتوحات في العهد الأموي، إذ أن جل مروياتهم تدور حول ما شجر بين الصحابة وأخبار فتنة مقتل عثمان ﷺ، والطعن في خلفاء وولاة بني أمية، وربما كان لهذا دور في قلة المادة والروايات التي وصلتنا لحركة الفتح في بلاد المشرق، فاقتصر نقلهم على الأحداث التي لها ارتباط بمعتقداتهم أو تختص بالكوفة والعراق وذلك لأنها مركز التشيع آنذاك، وكذا بالروايات التي تطعن في مخالفيهم نقلاً أو وضعاً، ويستغلون بعض الحقائق بما يوافق هواهم.

٤) شارك في تدوين أخبار التاريخ الإسلامي ورواياتها مجموعة من الرواة والاخباريين والمؤرخين الضعفاء أو المتهمين، ومن أهل الأهواء كالشيعة والخوارج والشعوبية والزنادقة، لذا يجبب على الدارس الحصيف معرفة أحوال الرواة وعقائدهم، وآراء علماء الجرح والتعديل فيهم.

٥) أن كثير من الدراسات الحديثة لتاريخ بني أمية إنّما بُنيت على تكهنات واستنتاجات ما أنزل الله بها من سلطان ولا دليل لها ولا مستند، فهي مبنية على كل خبر دُس لتشويه تاريخ القرن الأول، والمتأمل لمرويات العصر الأموي يجد أن كل من عجز عن الدس في سيرة المصطفى وسنته وسيرة خلفائه من بعده اتخذ من قصة العداء الهاشمي الأموي عكازاً يتوكأ عليه للدس في تاريخ القرن الأول وتشويه سير رجاله.

٦) لقيت حركة الهجرة حماساً كبيراً من قبل العرب فخرجوا بأعداد كبيرة ازدادت تدفقاً بتوسع الفتوح وازدياد الانتصارات، إضافة الى تشجيع دولة الخلافة للهجرة حتى اسقطت من العطاء من لم يقاتل في البلاد المفتوحة ومن لم يهاجر إليها، وكان لهجرة القبائل العربية واستيطانها في مناطق الفتح أثراً عظيماً في تثبيت الفتح الإسلامي فيها.

٧) لم تكن الهجرة الشكل الوحيد من أشكال الاستقرار في بلاد المشرق، بل كان لبناء المدن والحواضر عظيم دور في تحقيق الاستقرار في المنطقة.

٨) انتشار الإسلام واللغة العربية عزز من انتشار السلم والأمن في جميع اقطار الدولة الإسلامية وساهم في إزالة الحواجز أمام شعوب المنطقة وقبائلها، مما أفضى إلى ازدهار حركة التنقل والتجارة ونشوء مراكز اقتصادية استقطبت هجرات جديدة لها، ونتج عن ذلك نشاط حركة الهجرة بين أقاليم الدولة الإسلامية، لا سيما وأن كثيراً من القبائل كانت ترافق الوالي المعين منها إلى الإقليم الذي وُلي أمره، فأدى ذلك إلى تخالط وتمازج شعوب المنطقة مع القبائل العربية أي كان اتجاه الهجرة.

٩) كثر المولي بعد الفتح الإسلام، خاصة الموالاة بالحلف، ذلك أن الإسلام عزّ العرب ورفع من شأنهم حتى صاروا سادة وأصحاب شوكة وقوة، فكان أهل البلاد الأخرى يحتمون بهم ويتحالفون معهم، وعادة إمّا يكونون أسرى حرب استرقوا ثم أعتقوا، فصاروا موالي بالعتق، وإما أن يسلموا وينضووا تحت لواء الإسلام ويتحالفون مع قبيلة من العرب اعتزازاً بشوكتها وقوتها واعترافاً بفضلها ودورها في دخولهم للإسلام.

١٠) من أبرز المقومات المعنوية التي كان لها عظيم الأثر في نجاح حركة الفتوحات وتثبيت الفتح الإسلامي فريضة الدعوة إلى الله وفريضة القتال والجهاد في سبيل الله، وقد كان لعدل الإسلام وسماحته الأثر الكبير في قبول الناس له خاصة إذا ما قرنّا ذلك بما أُشتهر عن الاضطهاد الديني الذي مارسته الزرادشتية والهندوسية والنصرانية على غيرها من الملل والنحل وقتئذ.

١١) برز اهتمام الأمويين بالدعوة إلى الله في حرص خلفاء بني أمية على بناء المساجد وعمارتها، وبعث الدعاة والعلماء إلى المناطق المفتوحة ليفقهوا الناس ويعلموهم أمور دينهم.

١٢) اعتنى عمر بن عبد العزيز بتثبيت الفتح عناية فائقة وجعله الهدف الأول، وذلك عن طريق العناية ببعث البعوث والسرايا الدعوية إلى أرجاء الدولة، وأجرى الأرزاق على العلماء ورتب لهم الرواتب كي يتفرغوا لنشر العلم ويكفوا مؤونة الاكتساب.

١٣) كان لسماحة الإسلام أعظم الأثر في إقبال أبناء البلاد المفتوحة ودخولهم فيه، وكذا للبنود والشروط العادلة التي تضمنتها معاهدات الصلح وعلى أساسها نُظمت العلاقة بين المسلمين الفاتحين وبين أبناء البلاد المفتوحة، وأشاعت معاهدات الأمان والتزام المسلمين الكامل بها، وطريقة تعامل الجيوش المسلمة مع المغلوبين الطمأنينة والأمان بينهم، وأزالت ما كان يعتريهم من الخوف الناتج عن خبرتهم المريرة الناتجة عن خضوعهم الجبري لدولتي فارس والروم، والتي أرغمت رقابهم وهجرتهم من بلادهم واستعبدتهم وحملتهم على غير دينهم وعقيدتهم.

١٤) وحدة الصف الإسلامي، ووحدة القيادة المسلمة، أعظم عامل من عوامل تمدد واستقرار الفتوحات الإسلامية، ويدلّ على ذلك توقف امتداد الفتوحات، بل وانحسارها أيام الفتنة، وقد خسر المسلمون من أنفسهم أيام تفرقهم أضعاف من ارتقوا شهداء في قتالهم أثناء حركة الفتوح، وإضافة لما خسروه من بلاد سالت دمائهم في سبيل إخراجها من تحت أباطرة الكفر وساداته.

١٥) كان من أهم عوامل نجاح حركة الفتوحات الأموية تمتعها بحكومة مركزية قوية واقتصاد غني مستقر، وجيش يتميز بالإيمان بعقيدته التي يدافع عنها ويعمل على نشرها، ويلتزم بالطاعة والامتثال لأوامر قادته، وبالولاء لخليفته.

١٦) من الأمور التي تميز بها خلفاء بني أمية براعتهم في انتقاء الرجال ذوي الكفاءات الإدارية والعسكرية الفذة، فاستطاعوا من خلالهم ضبط ولاياتهم، ومنحوهم صلاحيات عامة تخولهم لاتخاذ القرارات دون الرجوع للخليفة، وكانت الإدارة اللامركزية هي السائدة في أيام خلفاء بني أمية.

١٧) استفاد العرب من الخبرات العسكرية لشعوب البلاد المفتوحة، فظهرت وحدات قتالية جديدة اقتضتها طبيعة المعارك وظروفها، كالمنجنيقيون والدبابون، والفعلة، ومهمتهم تهيئة كل مستلزمات المعركة من أدوات الحصار، وفتح الطرق ونصب الجسور، وتهديم الحصون والقلاع، وإنشاء المعسكرات وبنائها، وإخلاء الجرحى من ميدان المعركة وإسعافهم.

١٨) إنّ المهام الكبرى للدول والإمبراطوريات ترتكز بالأساس على الجوانب الاقتصادية والمالية لتحقيق الغايات البعيدة والمطالب العظيمة، ولذلك شكل الجانب الاقتصادي مقوماً مهماً من مقومات الفتوحات الأموية لبلاد المشرق.

١٩) تعددت مصادر الدخل في الخلافة الأموية، وكان لكل ولاية من ولايات الخلافة إدارتها المالية الخاصة في أغلب الأحايين، وذلك عائد إلى النظام الإداري اللامركزي الذي انتهجه كثير من خلفاء بني أمية، والذي اقتضى منح الولاة صلاحية واسعة خاصة الولايات التي كانت تشكل قواعد للفتوحات كولاية العراق مثلاً.

٢٠) أن الدهاقين كانوا مسؤولين عن جباية الأموال في بلاد المشرق، وقد استعانة بهم الدولة الإسلامية لأن لديهم الخبرة التي تساعدهم على القيام بهذا العمل على الوجه الأكمل لكونهم أعرف بسكان منطقتهم وأوضاعهم المادية، ويعود ذلك في تقديري لاختلاف التكوين السكاني للأهل بلاد المشرق من ناحية اللغة والعادات والتعداد السكاني، إضافة إلى اختلاف طريقة تشكل المدن والقرى التابعة لها عما عرفه العرب في بلادهم.

٢١) شكلت الطبيعة الجغرافية لبلاد المشرق عائقاً مادياً أمام حركة الفتح في بلاد المشرق، إذ تميّزت تلك بلاد بوعورة التضاريس، حيث انتشرت فيها سلاسل من الجبال الشاهقة، ووديان من الأنهار الهادرة، وشتاء قارس البرودة، وثلوج لم يعرفها العرب، ولا ننسى المفازة التي تقطع بين بلاد فارس وبلاد خراسان، ناهيك عن البعد الجغرافي بين مراكز المسلمين الحضارية وبين تلك البلاد، فكل ذلك كان له أثر في بطء تقدم الفتح واستقراره في المنطقة.

٢٢) واجهت دولة بني أمية أعدائها بكل حزم وقوة، إلاّ أنها تكبدت خسائر أضعفتها وأوهنت قوتها وكان ذلك من أبرز أسباب سقوطها، وكان لعدد من العوامل دور في ذلك، منها حركات التمرد والخروج على حكم دولة الخلافة الأموية، والعصبية القبلية، إضافة إلى الموالي من الفرس الذين كانوا

يسعون إلى استعادت أمجاد دولتهم بالقضاء على الحكم الأموي العربي الخالص، وكان للدعاة العباسيين دور في تحقيق ذلك.

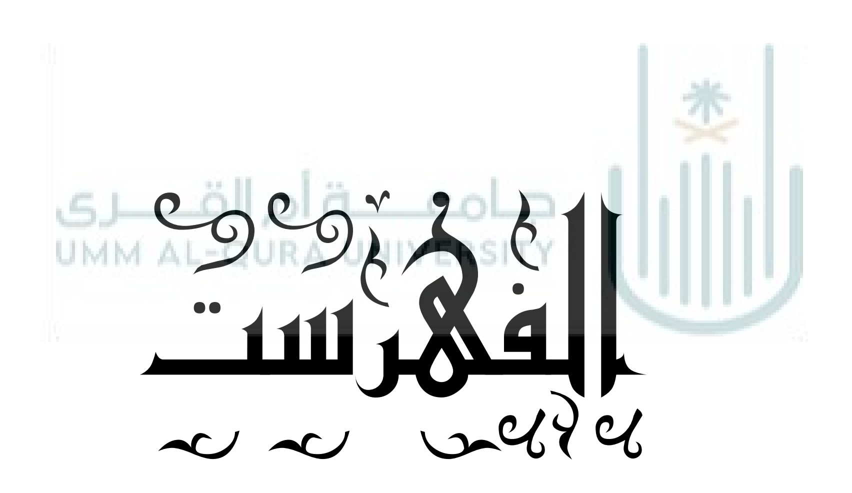
٢٣) عمل العباسيون على استقطاب جميع الأحزاب المناوئة لبني أمية، سواء كانت من العرب أو من الموالي، واتخذوا الدعاة يسيرون بين الناس ويبثون الدعايات المغرضة ضد بنى أمية يزرعون بها عداوتهم وبغضهم في قلوب الناس، فيضخمون الأخطاء اليسيرة، ويختلقونها أحياناً.

وأخيراً، فالحمد لله الذي هداني وأعانني على إخراج هذا البحث، وأسأله حسن القبول، ولا أقول بأني في منجى من العثار، بل كل عمل لابد فيه من نقص ولغط، فما كان في عملي هذا من لغط فمن ذنبي والشيطان، وما كان في من صواب فبتوفيق من الرحمن، ونسأله حسن القبول والغفران.

والحمد لله رب العالمين



**** **** ****


الفهرست

فهرس المصادر والمراجع

المصادر:

١) القرآن الكريم.

٢) موسوعة الحديث الشريف الكتب الستة طبعة مصححة ومرقمة ومرتبة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- ابن الأثير: علي بن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ).

٣) الكامل في التاريخ ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- الأزدي: أبي إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري (ت: ١٦٠هـ).

٤) تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٠م.

- الأزهري: أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠هـ).

٥) تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

- ابن أعثم الكوفي: أبي محمد أحمد بن أعثم (ت: ٣١٤هـ).

٦) كتاب الفتوح، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

- الأنصاري: أبي حفص عمر بن إبراهيم.

٧) تفريج الكروب في تدبير الحروب، ت: جورج سكانلون، القاهرة، ١٩٦١م.

- الأنطاكي: داوود بن عمر (ت: ١٥٩٢هـ).

٨) تذكرة أولي الألباب الجامع للعجب العجاب، القاهرة، ط١٩٥٢م.

- البلاذري: أحمد بن يحيي بن جابر بن داوود البلاذري (ت: ٢٨٩هـ).

٩) أنساب الأشراف، ت: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/٩٩٦م.

١٠) فتوح البلدان، ت: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- البيروني: أي الريحان محمد بن أحمد (ت: ٤٤٠هـ).

١١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

- ابن تيمية: أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت: ٧٢٨هـ).

١٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت: ناصر العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٣) الاستقامة، ت: محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- الثعالبي: أبي منصور عبد الملك محمد ين إسماعيل (ت: ٤٢٩هـ).

١٤) تاريخ غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك فارس وسيرهم، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٣م.

- ابن حجر العسقلاني: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت: ٨٥٢هـ).

١٥) تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٦) طبقات المدلسين، تحقيق عاصم عبد الله القريوتي، مكتبة المنار، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٧) تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٥هـ.

١٨) فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٩) لسان الميزان، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٩هـ.

- ابن الجوزي: أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد القرشي التيمي (ت: ٥٩٧هـ).

٢٠) الموضوعات، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- أبو جعفر العقيلي: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد (ت: ٣٢٢هـ).

٢١) الضعفاء الكبير، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ابن أبي حديد: عبد الحميد بن هبة الله (ت: ٦٥٦هـ).

٢٢) شرح نهج البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ.

- ابن حزم: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ).

٢٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- الجصاص: أبي بكر أحمد بن علي الرازي (ت: ٢٧٠).

٢٤) أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٥) جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن حنبل: أبي عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت: ٢٤١هـ).

٢٦) المسند، تحقيق أحمد شاكر وحمزة الزين، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- حرب بن إسماعيل الكرماني: أبي محمد إسماعيل الكرماني الحنظلي (ت: ٢٨٠هـ).

٢٧) كتاب السنة، دار اللؤلؤة، لبنان، ط١، ١٤٢٥/ ٢٠١٤.

- **ابن حوقل: أبي القاسم محمد بن علي بن النصيبي (ت: ٣٦٧هـ).**

٢٨) صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

- الخطيب البغدادي: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٣هـ).

٢٩) تاريخ مدينة السلام المعروف بتاريخ بغداد، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٠) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد أبو زيد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ).

٣١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣٢) مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- ابن خلكان: أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي (ت: ٦٨١هـ).

٣٣) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

- خليفة ابن خياط: خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت: ٢٤٠هـ).

٣٤) تاريخ خليفة بن خياط، ت: أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٥) كتاب الطبقات، ت: أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- الذهبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ).

٣٦) سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الرازي: ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد (ت: ٣٢٧هـ).

٣٧) الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ/١٩٥٢م.

- السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر (ت: ٩٠٢هـ).

٣٨) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التواريخ، تحقيق سالم الظفيري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

- ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ).

٣٩) الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٤٠) الطبقات الكبرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- الإسفراييني: طاهر بن محمد (ت: ٤٧١هـ).

٤١) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ت: كامل الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- ابن سلام: أبي عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ).

٤٢) كتاب الأموال، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

- السمعاني: أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن أبي المظفر التميمي (ت: ٥٦٢هـ).

٤٣) الأنساب، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- السهمي: أبي قاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم (ت: ٤٢٧هـ).

٤٤) تاريخ جرجان، عالم الكتب، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- سيبويه: عمرو بن عثمن بن قنبر الحارثي (ت: ١٨٠هـ).

٤٥) الكتاب، ت: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد (ت: ٥٤٨هـ).

٤٦) الملل والنحل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- الشوكاني: محمد بن علي (ت: ١٢٥٥هـ).

٤٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت.

- ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي (ت: ٢٣٥هـ).

٤٨) المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

- الاصطخري: أبي القاسم إبراهيم بن محمد الكرخي (ت: ٣٤٦هـ).

٤٩) مسالك الممالك، تحقيق دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧م.

- الصفدي: خليل بن أيبك بن عبد الله الألبَكِي الصفدي (ت: ٧٦٤هـ).

٥٠) الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- ابن الصلاح: أبي عمر عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الموصلي (ت: ٦٤٣هـ)

٥١) معرفة أنواع علوم الحديث "مقدمة ابن الصلاح"، ت: نور الدين زعتر، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- الصنعاني: عبد الرزاق بن همام (ت: ٢١١هـ).

٥٢) المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠هـ).

٥٣) تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- ابن العربي: أبي بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت: ٥٤٣هـ).

٥٥) العواصم من القواصم، الأوقاف السعودية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

- ابن القيم الجوزية: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت: ٧٥١هـ).

٥٦) أحكام أهل الذمة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٥٧) زاد المعاد في هدي خير العباد، شعيب الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٥، ١٤٠٧هـ.

٥٨) مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥٩) منهاج السنة النبوية، ت: محمد رشاد، جامعة الإمام سعود، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- ابن عبد البر: أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت: ٤٦٣هـ).

٦٠) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- ابن عبد الحكم: أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت: ٢٥٧هـ).

٦١) فتوح مصر والمغرب، ت: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٥هـ.

- ابن عدي: أبي أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ).

٦٢) الكامل في ضعفاء الرجال، ت: عادل عبد الموجود، المكتبة العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ابن عذارى: أبي العباس أحمد بن حمد بن عذاري (ت: ٦٩٥هـ).

٦٣) البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب.

- ابن قتيبة الدينوري: أبي محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ).

٦٤) عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ: ٢١٥/١.

٦٥)الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء والمنحول لابن قتيبة، ت: علي شيري، دار الأضواء، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٦٦) المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.

- ابن قدامة المقدسي: أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة بن مقدام العدوي (ت: ٦٢٠).

٦٧) المغني، تحقيق طه الزيني، مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م: ٣٥١/٩.

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: ٦٧١هـ).

٦٨) الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- القزويني: أبي عبد الله كريا بن محمد (ت: ٦٨٢هـ).

٦٩) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

- ابن قطلُوبغا: ابي الفداء قاسم السُّودوني (ت: ٨٧٩هـ).

٧٠) الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، تحقيق شادي بن محمد آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء، ط١، ١٤٣٢هـ /٢٠١١م.

- ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْ الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ).

٧١) البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- مالك بن أنس: أبي عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الحميري (ت: ١٩٧هـ).

٧٢) الموطأ، ت: محمد فؤاد عب الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥مز

- الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت: ٤٥٠هـ).

٧٣) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ت: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧٤) المدائني، علي بن محمد، المردفات من قريش، نوادر المخطوطات، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر مصطفى الحلبي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ابن المبارك: عبد الله بن المبارك المروزي (ت: ١٨١هـ)

٧٥) كتاب الجهاد، ت: نزيه حمّاد، دار المطبوعات الحديثة.

- المدائني: أبي الحسن علي بن محمد بن أبي يوسف (ت: ٢٢٤هـ).

٧٦) كتاب التعازي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- المزي: أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن القضاعي الكلبي (ت: ٧٤٢هـ).

٧٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت: ٣٤٦هـ).

٧٨) التنبيه والإشراف، دار الصاوي، القاهرة.

٧٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

- معمر بن المثنى: أبي عبيدة التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ).

٨٠) أيام العرب قبل الإسلام، جمع وتحقيق: عادل البياتي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- المقدسي: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: ٣٨٠هـ).

٨١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.

- المقريزي، أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت: ٨٤٥هـ).

٨٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٧٦٦هـ).

٨٣) النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي (ت: ٧٧١هـ).

٨٤) لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- ن.أ.بلوش.

٨٥) فتح السند، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

- ابن النديم: أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد (ت: ٣٨٤هـ).

٨٦) الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- ابن هشام: أبي محمد عبد الملك بن أيوب الحميري (ت: ٢١٨هـ).

٨٧) سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- وكيع: أبي بكر محمد بن خلف بن حبان الضبي (ت: ٣٠٦هـ).

٨٨) أخبار القضاة، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي (ت: ٢٠٧هـ).

٨٩) فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- اليعقوبي، أبي العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ).

٩٠) تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٩١) كتاب البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- ياقوت الحموي، أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ).

٩٢) معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٩٣) معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- يحيي بن آدم: أبي زكريا بن آدام بن سلمان القرشي (ت: ٢٠٣هـ).

٩٤) الخراج، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٤هـ: ٦٧.

- أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء (ت: ٤٥٨هـ).

٩٥) الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت: ١٨٢هـ).

٩٦) الخراج، ت: طه عبد الرؤوف سعد.

المراجع:

١) إبراهيم شعوط، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، مطبعة دار التأليف، ط٤، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٢) ابن عثيمين، محمد بن صالح، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

٤) أحمد الشامي، الخلفاء الراشدون، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

٥) أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى الهندوسية والجينية والبوذية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١١.

٦) أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، مكتبة الآداب، القاهرة.

٧) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٨) إدوار عطية، العرب، ت: محمد قنديل البقلي، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة.

٩) آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ت: يحيي الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت.

١٠) أرمنيوس فامبري، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ت: أحمد الساداتي ويحيي خشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية.

١١) آقابزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ط٢.

١٢) أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٣) أنور الجندي، الإسلام وحركة التاريخ، دار الكتاب المصري، ط١، ١٩٨٠م.

١٤) برنارد لويس، العرب في التاريخ، ت: نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤م.

١٥) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ت: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

١٦) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، مصر، ١٩٠٣م.

١٧) حسن إبراهيم حسن، التاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط١٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٨) حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٣.

١٩) حمدي شاهين، الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة.

٢٠) دانيل دينيت، الجزية والإسلام، ت: فوزي جاد الله، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٠م.

٢١) دومنيك سورديل، الإسلام في القرون الوسطى، ت: علي المقلد، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٢٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢٣) سالم أحمد محل، العلاقات العربية الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد، دار غيداء، عمّان، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٤) سيد عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر.

٢٥) شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٦) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٣م.

٢٧) صالح أحمد العلي، الفتوحات الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٨) الصفصافي أحمد القطوري، إطلالة على ثقافة الترك وحضارتهم القديمة، مطبعة النسر الذهبي، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٩) عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

٣٠) عبد الحي فخر الدين الحسني، الهند في العهد الإسلامي، دار عرفات، الهند، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣١) عبد الله الطرزي، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب، عالم المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٢) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٥، ١٩٧٦م.

٣٣) علي حسني الخربطلي، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي، دار المعارف، مصر: ١٩٥٩م.

٣٤) عماد الدين خليل، التأصيل الإسلامي للتاريخ، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٣٥) عمر فروخ، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م.

٣٦) غوستاف لوبون، حضارات الهند، ت: عادل زعيتر، دار العالم العربي، القاهرة، ط٢، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣٧) فان فولتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ت: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

٣٨) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ت: محمود حجازي، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٩) فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب، دار الكشاف للنشر، بيروت، ١٩٥١م.

٤٠) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ت: منير بعلبكي، دار الملايين، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م.

٤١) كلود كاهين، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ت: بدر الدين قاسم، دمشق، ط١، ١٩٧٣م.

٤٢) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ت: بشير فرنسيس، مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

٤٣) محب الدين الخطيب، اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٤٤) محمد أحمد جاد المولى وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤٥) محمد الراوي، الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٤٦) محمد الطاهر عاشور، تفسير التحوير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٤٧) محمد الطيب النجار، الموالي في العصر الأموي ومذيل ببحث عن الرق والولاء في الإسلام، دار النيل للطباعة، ط١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٤٨) محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٩) محمد جاسم المشهداني، موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٥٠) محمد جبر أبو سعدة، ابن أعثم الكوفي ومنهجه التاريخي في كتاب الفتوح، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٥١) محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسة في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٥٢) محمد حميد الله في كتابه مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٣) محمد عزة دروزة، القرآن والمبشرون، طبعة المكتب الإسلامي، ط٣، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٤) محمد محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٦م.

٥٥) محمد مرسي أبو الليل، الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، القاهرة، ١٩٦٥م

٥٦) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٧، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٥٧) محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٥٨) محمود شيت خطاب، قادة فتح بلاد فارس (إيران)، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٥٩) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة.

٦٠) مصطفى أبو ضيف، دراسات في تاريخ الدولة العربية عصور الجاهلية والنبوة الراشدين والأمويين، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط٤، ١٩٨٦م.

٦١) منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.

٦٢) موريس لومبارد، الجغرافيا التاريخية، ت: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.

٦٣) هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت: إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.

٦٤) ويليام ديورانت، قصة الحضارة، ت: زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٥) يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية وسقوطها، ت: محمد أبو ريدة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.

الرسائل العلمية:

١) خالد الغيث، مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢) عماد جوابرة، علي بن محمد المدائني ودوره في كتابة التاريخ، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، غير منشورة.

٣) محمد بن صامل السلمي، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٤) مرعي بن عبد الله الشهري، أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله عز وجل في الفقه الإسلامي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٥) فوزي محمد الساعاتي، موارد البلاذري في كتابه فتوح البلدان، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، غير منشورة.

٦) نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الدوريات العلمية:

١) سعد حذيفة الغامدي، الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية التاسعة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢) سعد حذيفة الغامدي، معركة الرَّوار قادسية الفتح الإسلامي، دارة الملك عبد العزيز، مجلد ١٣، العدد ٣، ١٩٨٨م.

٣) صالح أحمد العلي، استيطان العرب في خراسان، جامعة بغداد، مجلة كلية الآداب والعلوم، ع: ٣، ١٩٥٨م.

٤) صالح حسن الشمري، الاتفاقيات والمعاهدات وعهود الصلح في العصر الأموي وأثرها في استقرار الدولة، مجلة الجامعة المستنصرية، كلية للآداب، ع:٤٩، ٢٠٠٨م.

٥) صالح درادكة، الحرس والشرطة في صدر للإسلام، مجلة دراسات العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، م: ١٤، ع: ٤، نيسان، ١٩٧٨م.

٦) عبد العزيز العمري، نصارى العرب في العراق وموقفهم من الفتوح الإسلامية في عهد الراشدين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع: ١١، ١٤١٥هـ.

٧) عبد الهادي شعيرة، الممالك الحليفة أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم، مجلة كلية الآداب، جامعة فاروق الأول، م:٤، ١٩٤٨م.

٨) أمجد ممدوح الفاعوري، دور العناصر العربية في الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الجامعة الأردنية، م: ٨، ع: ٣+٤، ٢٠١٤م: ٦٩-٧٤.

**** **** ****



فهرس الموضوعات